خمسة أيام في باريس

FIVE DAYS IN PARIS

DANIELLE STEEL
دانيال ستيل



المحتويات

الفصل الأول

كان الطقس في باريس دافئاً على نحو غير اعتيادي حين هبطت طائرة بيتر هاسكل في مطار شارل ديغول. توقفت الطائرة قرب الباب تماماً، وبعد بضع دقائق، والحقيبة في يده، كان بيتر هاسكل يسير في المطار وهو يبتسم حين وصل إلى صف الجمارك، على رغم حرارة النهار وعدد الأشخاص المزدحمين أمامه في الرتل. أحب بيتر هاسكل باريس.

كان يسافر عموماً إلى أوروبا أربع أو خمس مرات في السنة. فالإمبراطورية الصيدلانية التي يديرها تملك مراكز بحث في ألمانيا وسويسرا وفرنسا، فضلاً عن مختبرات ومصانع عملاقة في إنكلترا. ومن الممتع دوماً المجيء إلى هنا، وتبادل الأفكار مع فرق الأبحاث لديه، واستكشاف سبل جديدة للتسويق، وهذا موطن قوته الحقيقي. لكن المسألة تعدت ذلك هذه المرة، وكانت أكثر من مجرد رحلة بحث أو كشف عن منتج جديد. فهو هنا لولادة "طفله" فيكوتك. حلم حياته. سوف يغير "فيكوتك" حياة ونظرة جميع الأشخاص المصابين بالسرطان. سوف يعدّل بصورة جذرية برامج المعالجة ومبدأ المعالجة الكيميائية في العالم أجمع. سيكون أحد أهم إسهامات بيتر للجنس البشري. فخلال الأربعة أعوام الماضية، عاش من أجله هو، فضلاً عن عائلته. ولا شك في أنه سيدرّ الملايين على شركة ويلسون - دونوفان. والأكثر من ذلك أن دراسات الشركة توقعت أن تتجاوز المكاسب خلال السنوات الخمس الأولى قيمة المليار دولار. لكن ليس هذا المهم بالنسبة إلى بيتر. المهم هو الحياة، ونوعيتها، الباهتة بشدة، التي تومض ببصيص الشموع في ليل السرطان المظلم. وسوف يساعدهم فيكوتك. في البداية، بدا ذلك مثل حلم مثالي، لكنهم أصبحوا الآن على بعد إنشات قليلة من النصر النهائي، وكان بيتر يشعر بالحماس كلما فكّر في ما هو على وشك الحدوث.

لغاية الآن، كانت النتائج الأكثر حداثة مثالية. فقد سارت اجتماعاتهم في ألمانيا وسويسرا على نحو رائع. وكانت التجارب التي أجريت في المختبرات أكثر أهمية مما تم إنجازه في الولايات المتحدة. لقد أصبحوا واثقين الآن. إنه آمن. يمكنهم الانتقال إلى المرحلة الأولى من التجارب البشرية، ما أن توافق دائرة الأغذية والأدوية الأميركية عليه، ما يعني إعطاء جرعات قليلة من الدواء إلى عدد محدد من الأشخاص المتطوعين والحسني الاطلاع، ومراقبة كيفية تفاعلهم.

تقدمت شركة ويلسون دونوفان بطلبها إلى دائرة الأغذية والأدوية الأميركية في شهر يناير، أي قبل بضعة أشهر، واستناداً إلى المعلومات التي يجري تطويرها الآن، سوف تطلب الشركة وضع فيكوتك على "الخط السريع"، والشروع في التجارب البشرية للعقار، وفي النهاية إطلاق الدواء، ما إن تتأكد دائرة الأغذية والأدوية الأميركية من مدى سلامته وتثبت لها شركة ويلسون – دونوفان ذلك. والواقع أن عملية "الخط السريع" تستعمل لتسريع مختلف الخطوات نحو الموافقة، في حالة العقاقير المستعملة في الأمراض المهددة للحياة. وبعد الحصول على موافقة دائرة الأغذية والأدوية الأميركية، سوف تباشر الشركة التجارب مع مجموعة من مئة شخص يوقعون علانية على بيانات موافقتهم ويعترفون بالمخاطر المحتملة للعلاج. إنهم مصابون جميعاً بالمرض إلى حد اليأس، وسيكون ذلك أملهم الوحيد، وهم يعرفون ذلك. والواقع أن الأشخاص الذين يوقعون على تجارب من هذا النوع يكونون شاكرين لأي نوع من المساعدة تتوافر لهم.

أرادت شركة ويلسون – دونوفان التقدم بأسرع ما يمكن نحو التجارب السريرية على المرضى، ولهذا السبب من المهم جداً اختبار سلامة فيكوتك الآن قبل الجلسة القانونية لدائرة الأغذية والأدوية الأميركية في سبتمبر، والتي ستضعه على "الخط السريع". كان بيتر واثقاً تماماً من أن الاختبار الذي يجريه بول لويس سوكارد، رئيس المختبر في باريس، سيؤكد الأخبار الجيدة التي تلقاها للتو في جنيف.

"عطلة أو عمل، سيدي؟" بدا موظف الجمارك غير مهتم فيما ختم على جواز سفر بيتر وبالكاد ألقى نظرة سريعة عليه بعدما نظر إلى الصورة. كان يملك عينين زرقاوين وشعراً داكناً ويبدو شاباً أكثر من أعوامه الأربعة والأربعين. كانت قسماته ناعمة، وجسمه طويلاً، ويوافق معظم الأشخاص على أنه وسيم.

"عمل"، قالها بفخر تقريباً. "فيكوتك". النصر. الخلاص لكل كائن بشري يكافح ألم العلاج الكيميائي والسرطان.

سلّم الموظف جواز السفر إلى بيتر، وحمل بيتر حقيبته ومشى خارجاً للعثور على سيارة أجرة. كان يوماً مشمساً في شهر يونيو، وبما أنه لم يبقَ لديه أي شيء في جنيف، حضر بيتر إلى باريس قبل يوم مما هو مقرر. لقد أحب هنا، وسيكون من السهل عليه العثور على شيء للقيام به، حتى لو اقتصر الأمر على نزهة طويلة على ضفاف نهر السين. أو ربما سيوافق سوكارد على لقائه قبل الموعد الذي حدده، رغم أن اليوم الأحد. كان الوقت لا يزال مبكراً، ولم يملك الوقت بعد للاتصال بسوكارد. ورغم أن سوكارد رجل فرنسي جداً، وجاد جداً، وأكثر من صارم قليلاً، سوف يتصل به بيتر من الفندق ويرى ما إذا كان حراً، ويرغب في تغيير موعد اجتماعهما.

تعلم بيتر التحدث ببعض الفرنسية على مرّ السنوات، رغم أنه يجري كل أعماله مع سوكارد باللغة الإنكليزية. لقد تعلم بيتر هاسكل الكثير من الأشياء منذ أن غادر وسط الغرب. فقد كان واضحاً، حتى بالنسبة إلى موظف الجمارك في مطار شارل ديغول، أن بيتر هاسكل رجل مهم، وصاحب ذكاء وتكلّف مهمين. كان هادئاً ولطيفاً وقوياً، ويوحي بجو من الثقة. وفي الرابعة والأربعين، كان رئيس إحدى أكبر الشركات الصيدلانية في العالم. لم يكن عالماً، وإنما رجل تسويق، تماماً مثل فرانك دونوفان، رئيس مجلس الإدارة. وقبل ثمانية عشر عاماً، وعن طريق الصدفة تقريباً، تزوج بيتر هاسكل من ابنة فرانك. لم يكن ذلك "خطوة ذكية" من قِبَله، أو محسوبة سلفاً. وبالنسبة إلى

بيتر، كان ذلك حادثاً، نوعاً من القدر حارب ضده طوال الأعوام الست الأولى التي عرفها فيها.

لم يشأ بيتر الزواج من كايت دونوفان. لم يعرف حتى من تكون حين التقيا، عندما كانت هي في التاسع عشرة وهو في العشرين، في جامعة ميتشيغان. في البداية، كانت مجرد تلميذة شقراء جميلة في السنة الأولى، لكنه بعد موعدين أصبح مولعاً بها. وكانا يخرجان معاً طوال خمسة أشهر تقريباً قبل أن يوجه أحدهم ضربة ويقول إنه شاب ذكي جداً للخروج مع الصغيرة الجميلة كايتي. ثم شرح لــــه الأمر. كانت الوريثة الوحيدة لثروة ويلسون - دونوفان، أكبر شركة صيدلانية في البلاد. شعر بيتر بالإهانة وغضب من كاتي لعدم إخباره بالحقيقة، مع كل سخط وسذاجة شاب في العشرين.

"كيف استطعت؟ لماذا لم تخبريني؟" قال لها غاضباً.

"أخبرك ماذا؟ هل يفترض بي تحذيرك من يكون أبي؟ لم أظن أنك تهتم". تألمت بشدة من هجومه، وكانت خائفة من أن يتركها. فهي تعرف مدى فخره ومدى فقر أهله. لقد أخبرها أنهم اشتروا هذه السنة أخيراً مزرعة الألبان التي عمل فيها والده طوال حياته. كانت المزرعة مرهونة تماماً وخشي بيتر على الدوام من أن يفشل العمل فيضطر إلى التخلي عن المدرسة والعودة إلى المنزل في ويسكونسين لمساعدتهم.

"أنت تعرفين تماماً أني أهتم. ماذا يفترض بي أن أفعل الآن؟". كان يعرف أفضل من أي شخص آخر أنه لا يستطيع التنافس في عالمها، وأنه لا ينتمي إلى هناك، ولن يفعل أبداً، ولا تستطيع كاتي العيش أبداً في مزرعة في ويسكونسين. لقد شاهدت الكثير من العالم، وكانت متكلفة جداً حتى لو بدت أنها لا تعرف ذلك. والمشكلة الحقيقية هي شعوره بأنه لا ينتمي هو أيضاً إلى عالمه معظم الوقت. فمهما حاول جاهداً أن يكون "واحداً منهم" عند العودة إلى المنزل، سيكون هناك دوماً شيئاً مختلفاً وشيئاً أكثر مدنية فيه. كان يكره العيش في المزرعة حين كان ولداً، وحلم بالذهاب إلى شيكاغو أو نيويورك والانتماء

إلى عالم الأعمال. كان يكره حلب الأبقار، وتكديس كومات القش، وتنظيف الروث بلا نهاية من الاسطبلات. لقد ساعد والده طوال سنوات، بعد المدرسة، في مزرعة الألبان التي كان يديرها والتي أصبحت الآن ملكاً لوالده. وعرف بيتر ماذا يعني ذلك. في النهاية، عليه العودة إلى المنزل، حين ينتهي من الكلية، ويساعدهم. كان يخشى ذلك، لكنه لم يكن يبحث عن مخرج سهل. كان يؤمن في القيام بما يجدر به فعله، وتحمل مسؤولياته، وعدم محاولة القيام بأي طرق مختصرة. لطالما كان ولداً جيداً، حسب قول أمه، حتى لو عنى ذلك تنفيذ الأشياء بالطريقة الصعبة. كان يرغب في الكفاح لكل شيء أراده.

لكن حين عرف بيتر من تكون كاتي، بدا لـــه الارتباط بها أمراً خاطئاً. فمهما كان صادقاً، بدا ذلك مثل مخرج سهل، مثل رحلة سريعة إلى القمة، مثل طريق مختصرة. ومهما كانت هي جميلة، أو كان مغروماً بها، عرف أنه لا يستطيع فعل أي شيء حيال ذلك. فقد كان مصراً جداً على أن لا يظهر بشكل انتهازي بحيث انفصلا بعد أسبوعين من معرفته هويتها الحقيقية، ولم ينجح أي شيء قالته لـــه في تغيير رأيه. شعرت هي باضطراب شديد وكان هو منزعجاً من خسارتها أكثر مما استطاع الإفصاح أمامها. كانت هذه سنته الجامعية الثانية، وسوف يعود في شهر يونيو إلى المنزل لمساعدة والده في ويسكونسين. وبنهاية الصيف، قرر أخذ إجازة من الجامعة طوال سنة كاملة لمساعدة والده في الانطلاق جيداً في العمل. فقد عانوا من شتاء قاسٍ في العام الفائت، ورأى بيتر انه يستطيع قلب المعادلة باعتماد بعض الأفكار الجديدة والخطط الجديدة التي تعلمها في الكلية.

والواقع أنه كان باستطاعته فعل ذلك، لولا استدعاؤه للخدمة العسكرية وجرى إرساله إلى فيتنام. أمضى عاماً كاملاً بالقرب من دا نانغ، ثم جرى إرساله للعمل مع الاستخبارات في سايغون. كانت هذه مرحلة مربكة بالنسبة إليه. وكان في الثانية والعشرين من عمره حين غادر فيتنام، ولم يجد أياً من الأجوبة التي أرادها. لم يعرف ما الذي يجدر به فعله لبقية حياته، ولم يشأ

العودة للعمل في مزرعة والده، لكنه رأى أنه يجدر به فعل ذلك. فقد توفيت أمه فيما كان في فيتنام وعرف كم كان الأمر صعباً بالنسبة إلى والده.

ما زالت أمامه سنة جامعية واحدة، لكنه لم يشأ العودة إلى جامعة ميتشيغان مجدداً، إذ شعر نوعاً ما أنه أصبح كبيراً عليها. وكان مرتبكاً بشأن فيتنام أيضاً. فالبلد الذي أراد كرهه، والذي عذبه كثيراً، أصبح يعشقه بدل ذلك، وشعر فعلياً بالأسى حين غادره. فقد أقام بعض العلاقات العاطفية الصغيرة هناك، ولاسيما مع الموظفات في الجيش الأميركي ومع فتاة فيتنامية شابة فائقة الجمال. لكن الأمور كانت معقدة كلها، وتأثرت العلاقات بلا ريب بحقيقة مفادها أنه لم يكن أحد يتوقع العيش في اليوم التالي. لم يتصل أبداً بكاتي دونافان مجدداً، رغم أنه تلقى منها بطاقة معايدة تم تحويلها لـــه من ويسكونسين. لقد فكّر بها كثيراً عند وصوله إلى دا نانغ، لكن بدا لـــه أن عدم مراسلتها أكثر بساطة. ماذا يستطيع أن يقول لها؟ آسف لأنك أنت غنية وأنا فقير... استمتعي بحياتك في كونكتيكوت، وأنا سأجرف الروث في مزرعة الألبان لبقية حياتي... إلى اللقاء...

لكن فور عودته إلى المنزل، اتضح للجميع في ويسكونسين أنه لم ينسجم مرة أخرى مع الوضع، وألح عليه والده للبحث عن عمل في شيكاغو. والواقع انه وجد واحداً بسهولة في شركة تسويق، وراح يذهب إلى الجامعة في الليل، ونال شهادته، وكان قد باشر للتو في وظيفته الأولى حين ذهب لحضور حفلة أقامها صديق قديم لـــه من ميتشيغان، والتقى بكاتي هناك. لقد انتقلت للعيش في شيكاغو هي أيضاً، وكانت على وشك التخرج من نورث وسترن. وحين شاهدها للمرة الأولى مجدداً، نجحت في حبس أنفاسه. لقد كانت أكثر جمالاً من أي وقت مضى. لقد مضت ثلاثة أعوام منذ أن شاهدها للمرة الأخيرة. وأصيب بالذهول حين أدرك أنه على رغم مرور ثلاثة أعوام على إجبار نفسه للبقاء بعيداً عنها، ما زالت رؤيتها تجعل كل شيء يرتعد داخله.

"ماذا تفعلين هنا؟" سألها بعصبية، كما لو أنه يفترض أن تكون موجودة

قط في ذكرياته المدرسية. لقد طاردته لأشهر عدة بعدما غادر الكلية، ولاسيما حين ذهب لأداء خدمته العسكرية. لكنه أحالها إلى ماضيه وتوقع أن تبقى فيه. إلا أن مشاهدتها مجدداً أعادتها فجأة إلى الحاضر.

"إني أتابع الدراسة"، قالت وهي تحبس أنفاسها فيما تنظر إليه. لقد بدا أكثر طولاً ونحافة، وكانت عيناه أكثر زرقة وشعره أكثر دكنة مما تذكر. بدا كل شيء فيه أكثر وضوحاً وجمالاً من ذكرياتها اللامتناهية عنه. لم تنسه قط. كان الرجل الوحيد الذي تخلى عنها، بسبب هويتها وما يظن أنه لا يستطيع منحه أبداً لها. "سمعت أنك كنت في فيتنام"، قالت بنعومة، وأومأ هو برأسه. "لا بد أن الأمر كان مريعاً". كانت تخشى جداً من إخافته مجدداً، من القيام بخطوة خاطئة. إنها تعرف مدى فخره، وبمجرد النظر إليه، عرفت أنه لن يقترب منها أبداً. وراقبها هو أيضاً. كان يتساءل عما أصبحت عليه، وعما تريده منه. لكنها بدت بريئة جداً بالنسبة إليه، وغير مؤذية البتة، على رغم خلفيتها المشؤومة ظاهرياً، والخطر الذي أقنع نفسه بأنها تمثله. فبالنسبة إليه، كانت تشكل خطراً على كرامته، وهي بمثابة رابط بين ماضٍ لا يستطيع عيشه مجدداً ومستقبل أراده، ولكن من دون أية فكرة عن كيفية تحقيقه. لقد شاهد الكثير من العالم منذ أن التقاها للمرة الأخيرة، وحين ينظر إليها الآن، يستطيع بالكاد تذكر ما خاف منه كثيراً في الماضي. لم تعد تبدو لــــه مخيفة الآن، وبدت شابة جداً، وساذجة جداً، وجذابة على نحو لا يقاوم.

تحدثا لساعات في تلك الليلة، وأخذها إلى المنزل في النهاية. ثم اتصل بها بعد ذلك، رغم إدراكه بأنه لا يجدر به فعل ذلك. بدا الأمر سهلاً جداً في البداية، حتى أنه قال لنفسه إنهما يستطيعان أن يكونا مجرد صديقين، وهذا أمر لا يؤمن به كلاهما. لكن كل ما عرفه هو أنه أراد التواجد بقربها. كانت متألقة ومرحة، وتفهم الأشياء المجنونة التي يشعر بها، مثل عدم انسجامه في أي مكان، وما أراد القيام به في حياته. ففي النهاية، أراد تغيير العالم، أو على الأقل إحداث فرق فيه. كانت الشخص الوحيد في حياته الذي فهم هذا الأمر.

كان لديه الكثير من الأحلام في ذلك الوقت، والكثير من النوايا الجيدة. واليوم، بعد عشرين عاماً، يجعل فيكوتيك كل هذه الأحلام القديمة تتجسد حقيقة.

استقل بيتر هاسكل سيارة أجرة من مَطار شارل ديغول، ووضع السائق حقيبته في الصندوق وأومأ برأسه حين أخبره بيتر إلى أين يريد الذهاب. كان كل شيء في بيتر هاسكل يوحي بأنه رجل مهم ورجل مثير للإعجاب. ورغم ذلك، إذا نظرت في عينيه، تلاحظ اللطافة، والقوة، والتكامل، والقلب الحنون وحس الدعابة. فبيتر هاسكل هو أكثر من بذلات أنيقة، وقميص أبيض منشّى، وربطة عنق ماركة هيرمس، وحقيبة باهظة الثمن.

"الجو حار، أليس كذلك؟" قال بيتر أثناء توجهه إلى المدينة وأومأ السائق برأسه. عرف من لكنته في اللغة الفرنسية أنه أميركي، لكنه كان يتحدث اللغة كما يجب، وأجابه السائق بالفرنسية، بكلمات بطيئة، كي يتمكن بيتر من فهمه.

"الطقس جميل منذ أسبوع. هل أنت قادم من أميركا؟" سأله السائق باهتمام. كان الناس يستجيبون لبيتر بهذه الطريقة، إذ كانوا ينجذبون إليه حتى لو لم تكن هذه طبيعتهم. لكن حقيقة إجادته اللغة الفرنسية أثرت في السائق.

"جئت من جنيف"، شرح بيتر، وخيّم الصمت مجدداً، فيما ابتسم لنفسه وهو يفكر في كاتي. لطالما تمنى أن تسافر معه، لكنها لم تفعل ذلك أبداً. في البداية، كان الأولاد صغاراً، وانهمكت لاحقاً في عالمها وواجباتها المتعددة. ولذلك، لم تسافر معه أكثر من مرتين أو ثلاث مرات على مر السنوات. سافرت معه مرة إلى لندن، ومرة إلى سويسرا، لكنها لم تأتِ أبداً إلى باريس.

كانت باريس مميزة بالنسبة إليه، لأنها ذروة كل شيء حلم به على الدوام، ولم يعرف أبداً أنه يريده. لقد عمل بكدّ للحصول على ما يريده، على مر السنوات، رغم أن بعض إنجازاته بدت وكأنها وصلت إليه بسهولة. لكنه كان يعرف أفضل من أي شخص آخر أن الحقيقة ليست كذلك. فلا توجد مساومات في الحياة. عليك العمل لما تريد الحصول عليه، والا تنتهي من دون شيء.

لقد خرج مع كاتي طوال عامين، بعد أن عثر عليها مجدداً. بقيت هي في شيكاغو بعد تخرجها، وحصلت على وظيفة في معرض فني، لمجرد التمكن من البقاء قرب بيتر. كانت مجنونة به، وكان هو مصرّاً على أنهما لن يتزوجا أبداً. وظل يصرّ على أنهما سيتوقفان في النهاية عن رؤية بعضهما البعض وتعود هي إلى نيويورك وتبدأ بمواعدة رجال آخرين. لكنه لم يستطع أبداً إنهاء العلاقة معها أو إجبارها على فعل ذلك. لقد كانا مولعين جداً ببعضهما آنذاك، وعرفت كاتي أنه يحبها فعلاً. وفي النهاية، تدخل والدها. كان رجلاً ذكياً. لم يقل أي شيء بشأن علاقتهما مع بيتر، وإنما تحدث فقط عن عمله. فقد شعر في قرارة نفسه أنها الطريقة الوحيدة لجعل بيتر يتخلى عن موقفه الدفاعي. أراد فرانك دونوفان أن يعيد بيتر وابنته إلى نيويورك، وبذل ما بوسعه لمساعدة كاتي على إقناعه.

تماماً مثل بيتر، كان فرانك دونوفان رجل تسويق، ورجلاً ناجحاً جداً. تحدث إلى بيتر عن مهنته، وبرنامج حياته، ومستقبله، وعرض عليه وظيفة في شركة ويلسون – دونوفان. لم يقل أي شيء بشأن كاتي. والواقع أنه أصرّ على أن الوظيفة لا علاقة لها أبداً بها. وطمأن بيتر بأن العمل في شركة ويلسون – دونوفان سيحقق الكثير لمهنته، ووعده بأن أحداً لن يفكر قط بأن لذلك علاقة بكاتي. فالعلاقة بينهما، حسب فرانك، هي مسألة منفصلة تماماً. لكنها وظيفة تستحق التفكير، وأدرك بيتر ذلك. وعلى رغم كل مخاوفه آنذاك، كان العمل في شركة كبيرة في نيويورك هو تماماً ما يريده، وكذلك كانت كاتي.

فكّر كثيراً في المسألة، وناقشها إلى ما لا نهاية، وحتى والده رأى أنها خطوة جيدة حين اتصل به بيتر لمناقشة المسألة معه. عاد بيتر إلى المنزل في ويسكونسين للتحدث في الموضوع مع والده خلال نهاية أسبوع طويلة. أراد والده الأفضل لــه، وشجعه على القبول بعرض دونوفان. فقد لاحظ شيئاً في بيتر لم يكن بيتر نفسه يفهمه بعد. بالفعل، لديه مزايا القيادة التي يملكها القليل من الرجال، فضلاً عن قوة هادئة وشجاعة غير اعتيادية. وعرف والده أنه

مهما فعل بيتر، سوف يكون جيداً في عمله. وشعر أن الوظيفة مع شركة ويلسون - دونوفان كانت البداية فقط بالنسبة إليه. لطالما ضايق والدة بيتر حين كان بيتر ولداً صغيراً، وقال لها إنه سيصبح رئيساً يوماً ما، أو على الأقل حاكم ويسكونسين. وفي بعض الأحيان، كانت تصدقه. فكان من السهل تصديق الأشياء العظيمة بشأن بيتر.

أما أخته موريال فقالت الأشياء نفسها عنه أيضاً. فبالنسبة إليها، لطالما كان شقيقها بيتر بطلاً، قبل وقت طويل من ذهابه إلى شيكاغو أو فيتنام، أو حتى قبل ذهابه إلى الجامعة. فقد كان هناك شيء مميز فيه. وأدرك الجميع ذلك. ولذلك أخبرته الشيء نفسه مثل والدهما: إذهب إلى نيويورك، وابحث عن المجد. حتى أنها سألته ما إذا كان يفكر في الزواج من كاتي، لكنه أصرّ على أنه لن يفعل ذلك، وبدت آسفة عند سماعها ذلك. فقد رأت أن كاتي فاتنة ومثيرة، ووجدت موريال أن كاتي جميلة في الصور التي حملها بيتر معه.

دعاه والده إلى إحضارها إلى المنزل قبل وقت طويل، لكن بيتر أصرّ على أنه لا يريد منحها أوهاماً زائفة بشأن مستقبلهما. فهي قد تتكيف جيداً في المنزل وتتعلم كيفية حلب الأبقار من موريال، ولكن من ثم ماذا؟ هذا كل ما يستطيع منحها إياه ولا مجال أبداً أن يجرّ كاتي إلى الحياة القاسية التي ترعرع فيها. فهو يرى أن هذه الحياة قتلت أمه. لقد ماتت من السرطان، من دون الرعاية الطبية الملائمة أو المال اللازم لذلك. حتى أن والده لم يكن مشتركاً في التأمين. لطالما ظن أن أمه ماتت من الفقر والتعب، والكثير من المشقة في حياتها. وعلى رغم مال كاتي الكفيل برفع مستواها، كان يحبها كثيراً للحكم عليها بهذه المعيشة، أو حتى للسماح لها بمشاهدتها عن كثب. ففي الثانية والعشرين، تبدو شقيقته منهكة تماماً. لقد تزوجت مباشرة بعد تخرجها من الثانوية فيما كان هو في فيتنام، وأنجبت ثلاثة أولاد في ثلاثة أعوام من الشاب الذي أحبته في الثانوية. وحين كانت في الحادية والعشرين، بدت حزينة وكئيبة. كان يريد لها الكثير من الأشياء، لكن بمجرد النظر إليها، عرف أنها

لن تحصل عليها أبداً. لن تخرج أبداً من هنا. لن تذهب حتى أبداً إلى الجامعة. وأصبحت عالقة الآن. عرف بيتر، تماماً مثلما عرفت شقيقته، أنها ستعمل هي وزوجها في مزرعة والدها لبقية حياتهما، إلا إذا خسر المزرعة أو ماتا هما. ما من طريق أخرى للخروج - إلا لبيتر - ولم تشعر موريال بالامتعاض من ذلك. كانت سعيدة لأجله. لقد حالفه الحظ، وكل ما عليه فعله هو القبول بالعرض الذي قدمه لـــه فرانك دونوفان.

"اقبل بذلك، بيتر"، همست موريال لـــه حين جاء إلى المزرعة للتحدث إليهم. "إذهب إلى نيويورك. يريدك البابا أن تفعل ذلك"، قالت بحماس. "جميعنا نريد ذلك". بدا وكأنهم يقولون جميعاً لـــه أن ينقذ نفسه، ويقبل بالعرض، ويحلّق بعيداً عن الحياة التي ستغرقه إذا سمح لها بذلك. أرادوه أن يذهب إلى نيويورك ويجرّب الفرصة الكبيرة.

كانت هناك غصّة كبيرة في حنجرته حين غادر المزرعة في نهاية الأسبوع. وقف والده وموريال لمراقبته وهو يرحل، ولوّحا لـــه إلى أن اختفت سيارته تماماً. بدا وكأن ثلاثتهم عرفوا أنها لحظة مهمة في حياته. أكثر أهمية من الكلية. وأكثر أهمية من فيتنام. لقد كان يقطع الرابط بينه وبين المزرعة في قلبه وروحه.

حين عاد بيتر إلى شيكاغو، أمضى الليل لوحده. لم يتصل بكاتي. لكنه اتصل بوالدها في صباح اليوم التالي. وقبل عرضه، فيما شعر بيديه ترتعشان حين أمسك بالهاتف.

بدأ بيتر العمل في شركة ويلسون - دونوفان بعد أسبوعين، ومنذ أن وصل إلى نيويورك، كان يستيقظ كل صباح وهو يشعر كأنه فاز بالجائزة الكبرى.

كانت كاتي تعمل في معرض فني في شيكاغو، بمثابة موظفة استقبال، وتخلت عن وظيفتها في اليوم نفسه الذي ترك هو عمله، وانتقلت إلى نيويورك للعيش مع والدها. كان فرانك دونوفان مسروراً. لقد نجحت خطته. وعادت

ابنته الصغيرة إلى المنزل. كما عثر على رجل تسويق جديد لامع في الصفقة. كانت التسوية جيدة بالنسبة إلى كل المعنيين بها.

وخلال الأشهر القليلة التالية، ركز بيتر على العمل أكثر من الحياة العاطفية. وأزعج ذلك كاتي في البداية، لكن حين شكت الأمر إلى والدها، طلب منها أن تكون صبورة. وفي النهاية، استرخى بيتر وأصبح أقل قلقاً بشأن المشاريع غير المنجزة التي لديه في المكتب. لكنه أراد عموماً أن ينجز كل شيء بصورة مثالية، لمجرد تبرير ثقة فرانك فيه، والتعبير لــــه عن مدى امتنانه لوجوده هنا.

لم يعد يذهب إلى المنزل في ويسكونسين، لأنه لم يملك أبداً الوقت لذلك. وفي غضون ذلك، بدأ يخصص المزيد من الوقت للتسلية في جدول مواعيده، الأمر الذي بعث الارتياح في نفس كاتي. ذهبا إلى الحفلات والمسرحيات، وعرّفته إلى كل أصدقائها. وتفاجأ بيتر حين أدرك كم يحبونه، وكم شعر بالارتياح في حياتها.

شيئاً فشيئاً، وخلال الأشهر القليلة التالية، لم تعد الأشياء التي أرعبت بيتر قبلاً من كاتي تثير قلقه. فقد كانت مهنته جيدة، ولم يكن أحد منزعجاً من الموقع الذي وصل إليه أو كيفية وصوله إليه، الأمر الذي أثار دهشته. في الواقع، بدا أن الجميع يحبونه ويقبلون به. هكذا، وتكريساً للمشاعر الجيدة، ارتبط رسمياً بكاتي تلك السنة، الأمر الذي لم يفاجئ أحداً، سوى بيتر ربما. لكنه كان يعرفها منذ وقت طويل وأصبح يشعر بارتياح كبير في عالمها، بحيث شعر أنه ينتمي إليه. قال فرانك دونوفان إن الأمور يفترض أن تكون هكذا، وابتسمت كاتي. لم تشك لوهلة في أن بيتر هو الرجل المناسب لها. لطالما عرفت ذلك وكانت واثقة تماماً من أنها تريد أن تكون زوجته.

أما شقيقة بيتر، موريال، فشعرت بالحماس لــــه حين اتصل بها ليعلن لها الخبر، وفي النهاية، كان والد بيتر الشخص الوحيد الذي عارض ارتباطهما، الأمر الذي أثار خيبة بيتر. فبقدر ما شعر والده بأن الوظيفة في شركة ويلسون –

توتوقان هي فرصة ممتازة، عارض الزواج كلياً. وكان مقتنعاً تماماً بأن بيتر سيندم على ذلك في النهاية لبقية حياته.

بنيّ، "سوف تكون دوماً اليد المستأجرة إذا تزوجت بها. ليس هذا صحيحاً، ليس هذا عدلاً، لكن هكذا هي الأمور. ففي كل مرة ينظرون إليك، سوف يتذكرون كيف كنت في البداية، وليس ما أنت عليه الآن". لكن بيتر لم يصدق ذلك. لقد ترعرع في عالمها. وأصبح عالمه الآن. وقد أصبح عالمه الخاص جزءاً من حياة أخرى. لم يعد يبدو أنه جزء منه بعد الآن، وأصبح غريباً تماماً. بدا وكأنه نشأ في ويسكونسين عن طريق الصدفة، أو كأنه شخص آخر ولم يذهب أبداً إلى هناك. حتى فيتنام بدت لــه الآن أكثر واقعية من أيامه الأولى في المزرعة في ويسكونسين. وبدا من الصعب التصديق أحياناً أنه قضى هناك أكثر من عشرين عاماً. ففي سنة واحدة تقريباً، أصبح بيتر رجل أعمال، رجلاً من العالم، ومواطناً من نيويورك. كانت عائلته لا تزال عزيزة بالنسبة إليه، وسوف تبقى دوماً كذلك. لكن فكرة العيش كمزارع في مزرعة الألبان لا تزال تسبب لــه الكوابيس. ورغم أنه حاول قدر الإمكان إقناع والده بأنه ينجز الشيء الصحيح، لم يفلح أبداً في ذلك. كان السيد هاسكل الكبير متشبثاً بمعارضته، رغم أنه وافق أخيراً على حضور الزفاف، ربما بسبب ملله من سماع مناقشات بيتر وهو يحاول إقناعه بأن ما يقوم به هو صحيح.

في النهاية، أصيب بيتر بالخيبة حين لم يحضر والده الزفاف. لقد تعرض لحادث في الجرار الزراعي قبل أسبوع، واضطر إلى ملازمة الفراش مع رضوض في الظهر وكسر في الذراع، وكانت موريال على وشك أن تضع مولودها الرابع. لذا، لم تستطيع المجيء ولم يشأ زوجها جاك السماح لها بالحضور جواً إلى نيويورك. شعر بيتر بالحرمان في البداية، ثم انهمك في دوامة النشاط من حوله، كما هي حال كل شيء في حياته الجديدة.

ذهبا إلى أوروبا لقضاء شهر العسل، ومرت أشهر طويلة بعد ذلك من دون أن يملكا الوقت للذهاب إلى ويسكونسين. فقد كانت كاتي تعدّ لــه المشاريع

على الدوام، أو والدها فرانك. وعلى رغم كل وعودهما ونواياهما الجيدة، لم يذهب أبداً بيتر وكاتي إلى ويسكونسين لزيارة عائلته في المزرعة. لكن بيتر وعد والده بأنهما سيأتيان لقضاء فترة العيد، ولن يحول أي شيء دون ذلك هذه المرة. لم يخبر حتى كايت عن المشروع. أراد مفاجأتها. فقد بدأ يشك في أنها الطريقة الوحيدة للذهاب إلى هناك.

لكن حين تعرض والده لنوبة قلبية ومات قبل العيد، شعر بيتر بالخيبة الكبيرة. شعر بالذنب والحزن والندم على كل الأمور التي لم يحققها أبداً، على رغم رغبته في ذلك. وحسب ما تبين في النهاية، لم تقابله كايت أبداً.

اصطحبها بيتر إلى الدفن. كانت المراسم متجهمة، وسط المطر المنهمر، ووقفت هي وبيتر في إحدى الجهات مثل الحمقاوين. كان بيتر حزيناً بوضوح، وبقيت موريال على مسافة بعيدة منه، تبكي وهي تقف بالقرب من زوجها وأطفالها. لوحظ وجود تناقض كبير بين المزارعين وأهل المدن. وبدأ بيتر يدرك كم أصبح منفصلاً عنهم، كم سافر بعيداً منذ أن غادر، وكم أصبحت الأشياء المشتركة بينهم قليلة في الوقت الحاضر. لم تشعر كاتي بالارتياح معهم، وأبلغت بيتر بذلك. واللافت أن موريال كانت باردة جداً معها، وهذا ليس من طبيعتها. وحين قال بيتر شيئاً عن الموضوع أمام موريال، تمتمت لــه بأن كاتي لا تنتمي إلينا. فرغم أنها زوجة بيتر، لم تعرف أبداً والدهما. كانت ترتدي معطفاً أسود باهظاً وقبعة من الفرو، وبدت منزعجة لوجودها هناك، وقد قالت موريال ذلك، الأمر الذي أثار حزن بيتر كثيراً. وجهت تعليقاً واضحاً إلى بيتر، وتناقشا حول المسألة وبكى كلاهما في النهاية. إلا أن قراءة الوصية فرضت المزيد من التوتر بينهما. فقد ترك والدهما المزرعة إلى موريال وجاك، وشعرت كايت بالغضب الواضح لحظة سمعت ما قاله المحامي.

"كيف استطاع فعل ذلك بك؟" قالت بغضب في غرفة نومه القديمة. اشتملت الغرفة على أرضية من القرميد المشمّع، وكان الطلاء القديم على الجدران مشققاً ومتقشراً. كان هذا بعيداً جداً عن المنزل الذي اشتراه فرانك

لهما في غرينتش. "لقد حرمك من الإرث!"، قالت كايت غاضبة، وحاول بيتر شرح المسألة. فقد فهم الأمر أكثر من زوجته.

"هذا كل ما يملكونه، كايت. هذا المكان البائس. إنها كل حياتهم هنا. أما أنا فلديّ مهنة، ووظيفة جيدة، وحياة معك. لا أحتاج إلى ذلك. لا أريد حتى ذلك، وكان أبي يعرف هذا". لم يعتبر بيتر الأمر بمثابة إهانة أو ظلم. أراد أن تحصل موريال على المزرعة لأنها تعني كل شيء بالنسبة إليها.

"كان يمكنك بيعها وتقاسم المال معها، وكان باستطاعتها الانتقال إلى مكان آخر أفضل"، قالت بهدوء، لكن تبين لبيتر أنها لم تفهم المسألة.

"لا يريدون فعل ذلك.، كايت، وهذا ما كان يخشاه أبي ربما. لم يشأ أن تبيع المزرعة. فقد احتاج إلى كل حياته لشرائها". لم تخبره أنها اعتبرت الأمر بمثابة كارثة، لكنه استطاع ملاحظة ذلك من نظراتها الموجهة إليه ومن الصمت الذي نشأ بينهما. فبالنسبة إلى كايت، كانت المزرعة أسوأ مما أخبرها بيتر حين كانا في الجامعة، وشعرت بالارتياح لأنهما لن يضطرا أبداً للعودة إلى هنا مجدداً. وهي لن تعود إلى هنا على الأقل. وإذا كان لديها أي شيء تقوله بشأن ذلك، بعدما حرمه والده من الإرث، لن يعود بيتر إلى هنا أيضاً. وبالنسبة إليها، أصبحت ويسكونسين الآن منسية في الماضي البعيد. أرادت من بيتر المضي قدماً.

كانت لا تزال موريال غاضبة حين غادرا، وشعر بيتر بالانزعاج حين أحسّ أنه يقول وداعاً لها، وليس فقط لوالده. بدا وكأن هذا ما أرادته كايت، رغم أنها لم تفصح لــــه علانية عن ذلك. فقد بدا وكأنها تريد أن تجعل كل روابطه وجذوره وولائه وعواطفه متصلة بها. بدا وكأن كايت شعرت بالغيرة من موريال، ومن التاريخ الذي تمثله في حياته، ولذلك فإن عدم حصوله على حصة من المزرعة كان عذراً جيداً لإنهاء المسألة لمرة واحدة ونهائية.

"كنت محقاً في الرحيل من هنا قبل أعوام"، قالت كايت بهدوء حين ابتعدا عن المزرعة، وبدت غير مدركة لبكاء بيتر. فكل ما أرادته هو العودة إلى

نيويورك بأسرع ما يمكن. "بيتر، أنت لا تنتمي إلى هنا"، قالت بحزم. أراد التناقش معها، والقول لها إنها مخطئة، لكنه عرف انها محقة وشعر بالذنب حيال ذلك. فهو لا ينتمي إلى هنا. ولم يكن كذلك أبداً.

فيما صعدا إلى الطائرة في شيكاغو، شعر بالارتياح في داخله. لقد هرب مجدداً. فقد شعر نوعاً ما بالخوف من أن يترك لـــه والده المزرعة ويتوقع منه أن يديرها. لكن والده كان أكثر حكمة من ذلك، وفهم بيتر بصورة أفضل. فبيتر لا علاقة لـــه أبداً بالمزرعة الآن. إنه لا يملكها، ولا تستطيع أن تستبدّ به، مثلما كان يخشى. لقد أصبح حراً أخيراً. إنها مشكلة جاك وموريال الآن.

حين أقلعت الطائرة عن الأرض متوجهة إلى مطار كيندي، عرف أنه ترك المزرعة خلفه مع كل ما تمثله. لكنه تمنى فقط ألا يكون قد خسر شقيقته في الوقت نفسه.

كان هادئاً في رحلة العودة إلى المنزل، وبكى على والده بصمت في الأسابيع القليلة التالية. تحدث عن الموضوع قليلاً مع كايت، لأنه شعر أنها لا تريد سماع ذلك. اتصل بموريال مرة أو مرتين، لكنها كانت مشغولة دوماً مع الأولاد، أو مستعجلة لمساعدة جاك في العمل. لم تملك الوقت أبداً للتكلم، وحين كانت تفعل، لم يحب بيتر التعليقات التي قالتها بشأن كاتي. فانتقادها الصريح لزوجته ولّد هوة واضحة بينهما، وتوقف عن الاتصال بها بعد فترة. شغل نفسه في عمله، ووجد العزاء في ما يحصل في المكتب. كان يشعر بالكثير من الارتياح هناك. والواقع أن كل حياته الجديدة في نيويورك بدت بمثابة الوجود المثالي بالنسبة إليه. لقد تناغم معها بصورة مثالية، في شركة ويلسون - دونوفان، بين أصدقائهما، في الحياة الاجتماعية التي سعت إليها كايت. بدا وكأنه ولد أصلاً في هذه الحياة، ولم تكن لديه حياة أخرى قبل ذلك.

بالنسبة إلى أصدقائه في نيويورك، كان بيتر واحداً منهم. كان لبقاً ومتكلفاً، وكان الناس يضحكون حين يقول إنه ترعرع في مزرعة. وفي أغلب الأوقات، لم يكن أحد يصدقه. بدا كواحد من أهل بوسطن أو نيويورك. وكان

يعرف جيداً كيفية إقامة التعديلات التي يتوقعها منه آل دونوفان. فقد أصرّ فرانك على أن يعيشا في غرينتش، كونكتيكوت، تماماً مثله هو. أراد أن تكون "صغيرته" بالقرب منه، فضلاً عن أنها اعتادت على الأمر وأحبت ذلك. كانت شركة ويلسون - دونوفان مرتكزة في نيويورك، واحتفظا بشقة صغيرة هناك، لكن آل دونوفان عاشوا دوماً في غرينتش، كونكتيكوت، التي تبعد مسافة ساعة بالسيارة عن نيويورك. كان التنقل سهلاً، وكان بيتر يركب القطار مع فرانك كل يوم. أحب بيتر العيش في غرينتش، وأحب منزلهما، وأحب الزواج من كاتي. وفي معظم الأوقات، كانا يتفقان على نحو مذهل، علماً أن الخلاف الوحيد بينهما كان اعتقادها في حقه في وراثة المزرعة ومن ثم بيعها. لكنهما توقفا عن مناقشة المسألة منذ وقت طويل، احتراماً للآراء المختلفة التي يملكها كل منهما.

والشيء الوحيد الآخر الذي أزعجه هو أن فرانك اشترى أول منزل لهما. حاول بيتر معارضة الأمر، لكنه لم يشأ إغضاب كاتي. وقد توسلت إليه أن يدع والدها يفعل ذلك. تذمر بيتر، لكنها فازت هي في النهاية. أرادت منزلاً كبيراً لكي يتمكنا من تأسيس عائلة بسرعة، ولا شك في أن بيتر عاجز عن شراء المنزل الذي اعتادت عليه، والذي رأى والدها أنه يجدر بها العيش فيه. هذه هي المشاكل التي كان بيتر خائفاً منها. لكن آل دونوفان عالجوا كل شيء بلباقة. فقد أطلق والدها على المنزل الجميل اسم "هدية الزفاف". وبالنسبة إلى بيتر، بدا ذلك مثل قصر كبير. فقد كان كبيراً كفاية للاتساع لثلاثة أو أربعة أولاد، واشتمل على مصطبة جميلة، وغرفة طعام، وغرفة جلوس، وخمس غرف نوم، ومكتب كبير لــــه، وغرفة عائلية، ومطبخ ريفي مذهل. كان هذا المنزل مختلفاً جداً عن المزرعة القديمة التي تركها والده لشقيقته في ويسكونسين. وتوجب على بيتر الاعتراف بأنه أحب هذا المنزل.

أراد والدها أيضاً توظيف أحد للتنظيف والطهو. لكن بيتر فرض رأيه هنا وأعلن أنه سينجز الطهو بنفسه إذا اضطر لذلك، لكنه لن يسمح لفرانك

بمنحهم هذا النوع من المساعدة. وفي النهاية، تعلمت كاتي الطهو، لفترة وجيزة على الأقل. لكن بحلول العيد، شعرت بانزعاج كبير من دوار الصباح، ولم تستطع القيام بأي شيء وتوجب على بيتر إنجاز معظم الطهو وتنظيف المنزل. لكنه لم يتذمر البتة لأنه كان متحمساً لطفلهما. بدا ذلك بمثابة تبادل خفي بالنسبة إليه، أو نوع من العزاء لفقدان والده، الذي ما زال يؤلمه أكثر مما يستطيع القول.

كانت هذه بداية ثمانية عشر عاماً سعيدة ومثمرة بالنسبة إليهما. لقد أنجبا ثلاثة أبناء في السنوات الأربع الأولى، وأصبحت حياة كاتي منذ ذلك الحين مليئة بالجمعيات الخيرية، واجتماعات الأهل، وباصات المدارس، وقد أحبت ذلك. كان الأولاد منخرطين في ألف نشاط، منها كرة القدم، والبايسبول، وفرق السباحة، وقررت كاتي أخيراً الترشح لهيئة مدرسة غرينتش. كانت منهمكة تماماً في مجتمعها، ومهتمة جداً ببيئة العالم، وعدد من المسائل التي عرف بيتر أنه يجدر به الاهتمام بها، لكنه ليس كذلك. أحب القول إن كاتي كانت تهتم في مسائل عامة نيابة عنهما معاً. فقد كان يحاول التغلب على المصاعب في العمل.

لكنها كانت تعرف الكثير عن ذلك أيضاً. فقد توفيت والدة كاتي حين كانت في الثالثة، وترعرعت وهي بصبحة والدها باستمرار. وفيما كبرت كاتي، عرفت كل شيء عن عمله، ولم يتغير ذلك حتى بعد أن تزوجت من بيتر. وفي بعض الأحيان، كانت تعرف أموراً عن الشركة قبل بيتر. وإذا حصل وتشاركا بالأخبار، كان يذهل دوماً حين يعرف أن هذه الأخبار ليست جديدة عليها. وقد سبب ذلك بعض المشاكل على مرّ السنوات، لكن بيتر كان راغباً في القبول بموقع فرانك في حياتهما. فالرابط الذي يجمع كاتي به أقوى كثيراً مما توقع بيتر، ولكن لا ضير أبداً في ذلك. فقد كان فرانك رجلاً عادلاً، ولطالما مارس الحكم الصائب في آرائه. هذا ما اعتقده بيتر على الأقل، إلى أن حاول فرانك إخبارهما إلى أية مدرسة يجدر بهما إرسال ابنهما. في هذه المرة،

أصرّ بيتَر على موقفه، واستمر على هذه الحال حتى الثانوية، أو على الأقل حاول ذلك. فهناك بعض الأوقات التي كان فيها والد كاتي عنيداً جداً، وهذا ما أزعج بيتَر خصوصاً حين كانت كاتي تقف إلى جانبه، رغم أنها تحاول التعبير عن الأمر بأكبر دبلوماسية ممكنة كلما أرادت تأييد أفكار والدها.

لكن على رغم دبلوماسيتها، بقيت روابط كاتي بوالدها قوية على مر السنوات، وكانت توافقه الرأي بتواتر أكبر مما يريد بيتر. وكانت هذه شكوى بيتر الوحيدة في الزواج السعيد. والواقع أنه حظي بالعديد من النعم في حياته، بحيث لم يشعر أن لديه الحق في التذمر من تناقض الآراء مع فرانك بين الحين والآخر. وبالنسبة إلى بيتر، كانت الإيجابيات أكبر كثيراً من الآلام أو الأعباء كلما راقب حياته عن كثب.

وتمثل الحزن الحقيقي الوحيد في حياته حين توفيت أخته وهي في التاسعة والعشرين، بسبب مرض السرطان، تماماً مثل أمهما، رغم أن موريال كانت أصغر كثيراً. وتماماً مثل أمها، كانت أخته عاجزة عن الحصول على معالجة محترمة. لقد كانا فخورين جداً هي وزوجها، بحيث لم يتصلا به أبداً ليخبراه بالأمر. وكانت قد أصبحت على مشارف الموت حين اتصل جاك أخيراً، وانفطر قلب بيتر حين سافر إلى ويسكونسين ورآها. توفيت بعد أيام قليلة من ذلك. وبعد أقل من سنة، باع جاك المزرعة، وتزوج مجدداً وانتقل إلى مونتانا. وطوال أعوام عدّة، لم يعرف بيتر إلى أين ذهب، أو ما الذي حلّ بأولاد شقيقته. وحين سمع أخيراً أخبار جاك مجدداً، بعد سنوات عديدة من موت موريال، قالت كايت إنه قد ولّى زمان وجاء زمان غيره، وعليه أن ينسى أمرهم. أرسل بيتر إلى جاك المال الذي طلبه حين اتصل، لكنه لم يذهب أبداً إلى مونتانا لرؤية أولاد موريال. وكان يعرف أنه حين يفعل، وإذا فعل، لن يتعرفوا إليه. لقد أصبحت لديهم أم جديدة، وعائلة جديدة، وعرف بيتر أن جاك اتصل به لمجرد الحصول على المال. لم يكن لديه شعور حقيقي تجاه شقيق زوجته المتوفاة، ولا بيتر تجاهه، رغم أنه أحب رؤية أولاد شقيقته. لكنه كان

مشغولاً جداً للسفر إلى مونتانا لرؤيتهم، وكانوا جزءاً من حياة أخرى نوعاً ما. كان من الأسهل القيام بما قالته كايت، وهو نسيان الأمر في الوقت الحاضر، رغم أنه شعر بالذنب حيال المسألة كلما خطرت في باله.

كان لبيتر حياته الخاصة لعيشها، وعائلته الخاصة للتفكير فيها، وأولاده لحمايتهم والقتال من أجلهم. والواقع أنه حصلت معركة حقيقية قبل أربع سنوات حين تقدم ابنهم البكر، مايك، بطلب إلى الثانوية. يبدو أن كل فرد من آل دونوفان ذهب إلى أندوفر، وشعر فرانك أنه يجدر بمايك فعل ذلك أيضاً، ووافقت كاتي معه. لكن بيتر لم يوافق على ذلك. فهو لم يرغب في إرسال مايك بعيداً إلى المدرسة، وأراده البقاء في المنزل إلى حين الدخول إلى الكلية. لكن فرانك فاز هذه المرة. فقد كان مايك هو من رجّح التصويت بعد أن أقنعه جده وأمه بأنه إذا لم يذهب إلى أندوفر، لن يدخل أبداً إلى كلية محترمة، ولاسيما مدرسة الأعمال، وسوف يفوّت عليه فرصة الحصول على وظيفة جيدة لاحقاً، فضلاً عن الاتصالات المهمة في غضون ذلك. وبدا هذا الأمر سخيفاً بالنسبة إلى بيتر الذي أشار إلى أنه ذهب إلى جامعة ميتشيغان، وإلى مدرسة ليلية في شيكاغو لإتمام سنته الأخيرة، ولم يذهب أبداً إلى كلية الأعمال، ولم يسمع أبداً بأندوفر حين كان في ويسكونسين. "وقد نجحت في الحياة"، قال مع ابتسامة. فقد كان يدير إحدى أهم الشركات في البلاد. لكنه لم يكن مستعداً لما سيقوله مايك حين أجابه.

"نعم، لكنك تزوجتها أبي. وهذا مختلف". كانت هذه أسوأ صفعة يمكن أن يوجهها الصبي إلى والده، ولا شك في أن شيئاً في عينيّ بيتر أطلع مايك على مدى الأذى الذي سببه، لأن الصبي سارع إلى الشرح بأنه لم يكن يقصد الأمر وأن الأمور كانت "مختلفة" قبل عشرين عاماً. لكن كلاهما عرف أن شيئاً لم يتغير. وفي النهاية، ذهب مايك إلى أندوفر، وسوف يذهب الآن، مثل جده، إلى برينستون في الخريف. وقد أصبح بول في أندوفر الآن هو أيضاً، ووحده الصغير باتريك كان يتحدث عن البقاء في المنزل لمتابعة الثانوية، أو يذهب

ربما إلى إكستر، لمجرد فعل شيء آخر عما قام به أخواه. ما زال أمامه سنة أخرى للتفكير في الأمر وكان يتحدث عن الانتقال إلى مدرسة داخلية في كاليفورنيا. كان هذا أمراً يودّ بيتر تغييره، لكنه عرف أنه لا يستطيع. فالذهاب بعيداً لتلقي الدروس الثانوية كان تقليداً في عائلة دونوفان ولا يمكن حتى مناقشته. حتى كايت، وعلى رغم قربها من والدها، ذهبت إلى ثانوية الآنسة بورتر. كان بيتر يفضل أن يبقى أولاده في المنزل، لكنها تسوية صغيرة بالنسبة إليه، حسب ما قال، لأنه يخسر صحبتهم لبضعة أشهر في السنة فيما يتلقون في المقابل تربية رائعة. لا مجال لمناقشة هذه المسألة، ولطالما قال فرانك إنهم يعقدون صداقات مهمة ستدوم معهم طوال حياتهم. كان يصعب الاعتراض على ذلك، ولذلك لم يفعل بيتر. لكنه شعر بالوحدة حين غادر أولاده إلى مدرسة داخلية، الواحد تلو الآخر. كانت كايت والأولاد بمثابة العائلة الوحيدة التي يملكها. وما زال يشتاق إلى موريال وأهله، رغم أنه لم يعترف بذلك أبداً أمام كايت.

تبدلت حياة بيتر إلى الأمام وعلى نحو مذهل على مر السنوات. كان رجلاً مهماً. وقد نجحت مهنته على نحو مذهل. انتقلوا إلى منزل أكبر في غرينتش، حين استطاع شراء المنزل بنفسه. فلا مجال هذه المرة لقبول منزل من فرانك. والواقع أن المنزل الذي اشتراه بيتر كان منزلاً جميلاً يمتد على مساحة ستة أكرات في غرينتش، ورغم أن المدينة كانت تغريه أحياناً، عرف بيتر مدى أهمية البقاء حيث هم بالنسبة إلى كاتي. فقد عاشت في غرينتش طوال حياتها. ولديها أصدقاءها هنا، والمدارس الابتدائية الملائمة لأولادها، واللجان التي تهتم بها، ووالدها. لقد أحبت العيش بالقرب منه. وما زالت تعتني بمنزله، وتذهب غالباً هي وبيتر لزيارته في عطلات نهاية الأسبوع لمناقشة مسائل عائلية، أو أعمال، أو لمجرد لعب مباراة ودية في كرة المضرب. وكانت كاتي تذهب لرؤية والدها كثيراً.

ذهبوا إلى كروم مارثا في الصيف للتواجد بقربه أيضاً. كان يملك منزلاً

رائعاً هناك اشتراه قبل أعوام، فيما امتلك آل هاسكل منزلاً أكثر تواضعاً، علماً أنه توجب على بيتر التناقش مع كايت لإقناعها بأنه مكان رائع للأولاد وأنه يحبه فعلاً. كانت الكروم مكاناً مميزاً بالنسبة إليه، وما إن امتلك المال الكافي لشراء منزل خاص بهم، أجبرها بيتر على التخلي عن البيت الصغير الذي أعطاهم إياه والدها، واشترى منزلاً جميلاً محاذياً للطريق. وأحب الأولاد الأمر حين شيّد لهم بيتر غرفة صغيرة للحفلات تتيح لهم دعوة أصدقائهم، وهذا ما فعلوه باستمرار. ومنذ سنوات، يجد بيتر وكايت نفسهما محاطين بالأولاد، ولاسيما في الكروم. فهناك دوماً ستة أولاد إضافيين مقيمين في منزلهم.

والواقع أن حياتهم كانت مريحة وسهلة، على رغم التنازلات التي قام بها بيتر بين الحين والآخر بشأن أمور منزلية، مثل مكان عيشهم وكيفية ذلك، وذهاب الأولاد إلى مدارس داخلية. وعرف بيتر أيضاً أنه لم يتنازل أبداً عن مبادئه أو كرامته على الصعيد المهني. فقد أعطاه فرانك حرية التصرف. وتوصل بيتر إلى أفكار مذهلة أفضت سريعاً إلى نتائج إيجابية في الشركة، وحملت معها تطوراً ونمواً أكثر مما حلم به فرانك يوماً. فاقتراحات بيتر كانت نفيسة، وقراراته جريئة وإنما أكيدة. والواقع أن فرانك أدرك تماماً الخطوة التي قام بها حين جلب بيتر إلى الشركة، وخصوصاً عندما جعله رئيس شركة ويلسون – دونوفان وهو في السابعة والثلاثين. واللافت أن إدارته للشركة كانت بارعة منذ البداية. وقد مضت سبع سنوات على ذلك، منها أربعة في تطوير فيكوتيك، وكانت مكلفة جداً وإنما لامعة أيضاً. والواقع أن فيكوتيك كان مولود بيتر منذ البداية، وكان قراره هو في متابعة هذا الخط من التطوير على الصعيد العلمي، وقد أقنع فرانك بالموافقة على مشروعه. شكل ذلك استثماراً هائلاً، لكن الرجلان أجمعا على أن المشروع يستحق ذلك في المدى الطويل. وكانت هذه علاوة إضافية بالنسبة إلى بيتر. إنها ذروة حلم راوده طوال حياته، لمساعدة البشرية، فضلاً عن مضيه قدماً في عالم الأعمال الجشع والدنيوي. لكن بيتر أراد إحضار فيكوتيك إلى الوجود بأسرع ما يمكن، وذلك لذكرى

والدته وموريال. فلو توافر مثل هذا المنتج لهما، لتم إنقاذ حياتهما ربما، أو على الأقل إطالتها. وهو يريد الآن إنقاذ حياة آخرين مثلهما. يريد إنقاذ الأشخاص الموجودين في المزارع والمناطق الريفية، أو حتى في المدن، وإنما المعزولين بسبب الفقر أو الظروف التي كانت ستقضي عليهم لولا عقار مثل هذا.

وجد نفسه يفكر في ذلك مجدداً وهو في سيارة الأجرة، ويفكر في الاجتماعات التي عقدها في أوروبا طوال الأسبوع. فمجرد معرفة كيفية ولادة فيكوتيك هو أمر مذهل على نحو لا يصدق. وفيما توجهت سيارة الأجرة بسرعة نحو باريس، شعر بالأسف لأن كاتي لم تأتِ معه، كما هي العادة دوماً.

كانت هذه المدينة المثالية بالنسبة إلى بيتر. فلطالما حبست أنفاسه. كان هناك شيء ما في باريس يجعل قلبه يخفق بقوة. لقد جاء إلى هذه المدينة للمرة الأولى في زيارة عمل قبل خمسة عشر عاماً، وشعر في ذلك الوقت كما لو أنه جاء إلى الأرض في تلك اللحظة التي شاهد فيها المدينة للمرة الأولى. وصل إلى باريس لوحده في يوم عطلة وطني، وما زال يذكر نفسه وهو يمشي في الشانزليزيه وقوس النصر مباشرة أمامه، فيما العلم الفرنسي يحلق عالياً في الهواء داخل قوس النصر. أوقف السيارة، وخرج منها، ووقف هناك ونظر إليه، ثم شعر بالإحراج حين أدرك أنه يبكي.

اعتادت كاتي على مضايقته والقول إنه كان بلا شك فرنسياً في حياته السابقة لأنه يحب باريس كثيراً. إنه مكان يعني الكثير بالنسبة إليه، من دون أن يعرف أبداً سبب ذلك. كان هناك شيء جميل وقوي على نحو لا يصدق في هذه المدينة. ولم يعرف أبداً أوقاتاً سيئة فيها. وعرف أن الأمر لن يكون مختلفاً هذه المرة. فعلى رغم الأسلوب القليل الكامل الذي يعتمده بول لويس سوكارد، عرف بيتر أن اجتماعه به في اليوم التالي لن يكون أقل من احتفال.

عبر التاكسي زحمة سير منتصف النهار واستمر بيتر في مراقبة المعالم المألوفة، مثل الإنفاليد والأوبرا، ووصلا بعد برهة إلى ساحة الفاندوم. شعر

بيتر أنه وصل إلى المنزل حين رآها. انتصب تمثال نابوليون على رأس العمود في منتصف الساحة، وإذا أغمض الشخص نصف عينيه يستطيع أن يتخيل بسهولة مجموعات الأسلحة المصطفة على الجانبين، والمحشوة بقطع نقدية بيضاء فرنسية. واللافت أن الجمال الفاتن لهذا المنظر جعل بيتر يبتسم فيما توقفت سيارة الأجرة أمام فندق الريتز، وأسرع البواب إلى فتح باب السيارة. تعرف إلى بيتر، وبدا أنه يتعرف إلى جميع الضيوف الواصلين، وأشار بسرعة إلى حمّال لحمل حقيبة بيتر الوحيدة، فيما دفع بيتر المال لسائق سيارة الأجرة.

كانت واجهة الريتز متواضعة على نحو لافت، مع مظلة صغيرة لتمييزها، ولم تكن أكثر لفتاً للأنظار من مجموعة المتاجر الباهظة المحيطة بها. فقد كان متجرا شوميه وبوشرون في الجوار مع مجوهراتهما المتلألئة، فيما تربع محل شانيل على زاوية الساحة، ومباشرة خلفه محل "جار"، صانع المجوهرات الفائق الفرادة والذي يشكل اسمه الأحرف الأولى من اسم مؤسسه جويل أ. روزنتال. لكن لا شك في أن فندق الريتز كان من بين العناصر المهمة لساحة الفاندوم، ولطالما قال بيتر إنه لا يوجد مكان آخر في العالم يشبهه. فقد كان هذا الفندق قمة الترف، ويوفر لنزلائه الراحة القصوى في أناقة كاملة. ولطالما شعر بالقليل من الذنب لنزوله هنا في رحلة عمل، لكنه أصبح يعشق المكان كثيراً على مر السنوات للنزول في فندق آخر. كان هذا الفندق عنصراً نادراً من الخيال في الحياة يدعوك إليه المنطق. أحب بيتر الرقة، والأناقة، والديكور الفخم للغرف، والجمال المذهل للقماش المقصب على الجدران، والمواقد القديمة الجميلة. ومنذ لحظة دخوله من الباب الرئيسي، شعر بيتر بالإثارة الفورية.

لم يخيب الريتز آماله أبداً، ولم يخذله البتة. فهو مثل المرأة الجميلة التي يزورها المرء فقط بين الحين والآخر، وتنتظره في كل مرة مفتوحة الذراعين، مع شعرها المصفف وماكياجها المثالي، فتبدو أكثر سحراً من المرة الأخيرة التي شاهدها فيها.

أحب بيتر فندق الريتز بقدر ما أحب باريس. فقد كان جزءاً من السحر

واقفة، وفيما دخل إلى الردهة من الباب الرئيسي، استقبلته على الفور تحية حاجب يرتدي البزة الرسمية، وصعد درجتين للوصول إلى مكتب الاستقبال وتسجيل اسمه. حتى التواجد أمام المكتب في انتظار تسجيل الاسم كان ممتعاً. أحب مراقبة الناس هناك. شاهد على يساره رجلاً وسيماً وأكبر سناً من أميركا الجنوبية، مع امرأة شابة ولافتة ترتدي فستاناً أحمر وتقف قربه. كانا يتحدثان بهدوء إلى بعضهما البعض باللغة الاسبانية. كان شعرها وأظافرها مرتبين على نحو مثالي ولاحظ بيتر انها تضع ماسة كبيرة في يدها اليسرى. ألقت نظرة سريعة عليه وابتسمت لـــه فيما كان يراقبها. كان رجلاً جذاباً جداً، وما من شيء في مظهره الآن يوحي للمرأة الواقفة بقربه أنه كان في ما مضى صبياً في مزرعة. فقد كان يبدو تماماً مثل ما هو عليه، أي رجلاً غنياً وقوياً، يتعاطى مع النخبة ومع الذين يديرون امبراطوريات العالم. كان كل شيء في بيتر يوحي بالقوة والأهمية، على رغم وجود شيء جذاب فيه أيضاً، شيء رقيق وشاب، فضلاً عن كونه وسيماً جداً. وإذا أخذ المرء وقته للنظر، سيلاحظ حتماً شيئاً أكثر فيه، شيئاً محيراً في عينيه، أكثر مما يعرفه معظم الأشخاص، أو يهتمون برؤيته. فقد كانت هناك رقة لدى بيتر، ولطافة، ونوع من الحنان نادر عند الرجال أصحاب النفوذ. لكن المرأة التي ترتدي الفستان الأحمر لم تلاحظ ذلك. لقد شاهدت ربطة العنق ماركة هيرمس، واليدين النظيفتين والقويتين، وشاهدت أيضاً الحقيبة، والحذاء الإنكليزي، والبذلة الأنيقة، وأجبرت نفسها على إعادة عينيها إلى رفيقها.

وفي الجهة الأخرى، كان هناك ثلاثة رجال يابانيين أنيقين وأكبر سناً، يرتدون بذلات داكنة، وجميعهم يدخنون السجائر ويتحدثون بسرية. كان هناك رجل أصغر سناً في انتظارهم، وحاجب عند المكتب يتحدث إليهم باليابانية. وفيما التفت بيتر بعيداً عنهم، وهو لا يزال ينتظر دوره، لاحظ اهتياجاً عند الباب فيما دخل أربعة رجال داكني البشرة وأقوياء المظهر عبر الباب الرئيسي، وتبعهم مباشرة رجلان مماثلان. ثم، وبلمح البصر، فُتح الباب

الرئيسي ليكشف عن ثلاث نساء في غاية الجاذبية يرتدين بذلات بهية الألوان ماركة ديور. كانت البذلة هي نفسها، وإنما بألوان مختلفة، علماً أن النساء أنفسهنّ كنّ مختلفات جداً. ومثل المرأة الاسبانية التي شاهدها بيتر تقف بالقرب منه، كانت هذه النساء أيضاً خاليات من العيوب، وشعرهنّ مصفف تماماً. وضعت جميعهنّ الماس حول الأعناق وفي الأذنين، وخلّفن انطباعاً قوياً كونهنّ في مجموعة. وبعد برهة، بدا الحرّاس الشخصيون الستة المرافقون لهنّ يطوقونهنّ، فيما ظهر رجل عربي مميز جداً، وأكبر سناً، من الباب الرئيسي.

"الشيخ خالد..." سمع بيتر أحدهم يهمس في الجوار، "أو يمكن أن يكون شقيقه... وزوجاته الثلاث... سيمكثون هنا لمدة شهر... لقد حجزوا الطابق الرابع بكامله المطل على الحدائق...". وفيما شقوا طريقهم في الردهة، نجح بيتر في تمييز ثمانية حرّاس شخصيين، ومجموعة من الأشخاص المرافقين. تولى أحد البوابين مرافقتهم على الفور وأفسح لهم المجال ببطء عبر الردهة فيما كانت كل العيون مسمّرة عليهم. كان المشهد لافتاً جداً لدرجة أن أحداً لم يلحظ كاترين دونوف وهي تدخل بسرعة إلى المطعم لتناول الغداء، ونسوا جميعاً أمر نزول كلينت إيستوود في هذا الفندق لتصويره فيلماً مباشرة خارج باريس. كانت مثل هذه الوجوه والأسماء شائعة جداً في فندق الريتز، وتساءل بيتر ما إذا كان متخماً جداً لدرجة أنه لم يعد يهتم بهم أو يتجاهلهم. لكن مجرد التواجد هنا، ومراقبة كل ذلك، بدا دوماً أمراً ممتعاً بحيث لا يستطيع إجبار نفسه على النظر بعيداً أو ادعاء الضجر، مثلما يفعل بعض المرتادين، ولم يستطع منع نفسه من التحديق في الشيخ خالد ومجموعة مرافقيه. كانت النساء يتحدثن ويضحكن بهدوء، واستمر الحرّاس الشخصيون في مراقبتهنّ عن كثب، من دون السماح لأي كان بالاقتراب منهنّ. لقد أحاطوهنّ بحذر شديد، فيما مشى الشيخ بهدوء وتحدث إلى رجل آخر. وفجأة، سمع بيتر صوتاً مباشراً من خلفه وأصيب بالذهول.

"مساء الخير، سيد هاسكل. أهلاً بعودتك. نحن سعداء جداً لرؤيتك مجدداً".

"وأنا كذلك مسرور بالعودة". التفت بيتر وابتسم إلى الموظف الشاب الذي جرى تعيينه لاستقباله. لقد أعطوه غرفة في الطابق الثالث. لكن برأيه، لا يمكن أن تكون هناك غرف سيئة في الريتز. لذا، سيكون سعيداً أينما وضعوه. "يكونون مشغولين كالعادة".

"كالعادة..." ابتسم الموظف الشاب، ووضع بعيداً الاستمارة التي ملأها بيتر. "سوف أريك غرفتك الآن". تحقق من جواز سفره، وأعطى رقم الغرفة إلى أحد الخدم وأشار إلى بيتر للحاق به عبر الردهة.

مر الرجلان أمام الحانة والمطعم، المليئين بالرواد الأنيقين، والأشخاص الذين يلتقون لتناول المشروبات أو الغداء، ومناقشة الأعمال، أو المزيد من الخطط المعقدة. وفيما عبر الردهة، لاحظ بيتر كاترين دونوف، التي ما زالت جميلة وتضحك فيما تتحدث إلى صديق على طاولة في الزاوية. كان يحب كل شيء في هذا الفندق، الوجوه، الأشخاص، ومجرد النظر إليهم كان ممتعاً. وفيما سار الرجلان في القاعة الطويلة الطويلة وصولاً إلى المصعد الخلفي، مرّا أمام الواجهات الطويلة المليئة بالتحف الثمينة العائدة إلى كل المحلات ودور المجوهرات في باريس. وحين أصبحا في منتصف الطريق، شاهد سواراً ذهبياً ظن أن كاتي ستحبه، وقرر في عقله أن يعود لشرائه. كان يجلب لها دوماً شيئاً ما معه من رحلاته. كانت هذه تعزيتها لعدم القدوم معه أو هدية لها حين كانت قبل أعوام عدة حاملاً، أو ترضع، أو مرتبطة بأبنائهما حين كانوا صغاراً. أما اليوم فهي لا تريد فعلاً السفر معه، وهو يعرف ذلك. إنها تستمتع باللقاءات الاجتماعية وبأصدقائها. ومع ذهاب الولدين الكبيرين إلى مدرسة داخلية، وبقاء واحد فقط في المنزل، كان باستطاعتها فعلاً المجيء، لكنها امتلكت دوماً عذراً، ولم يعد بيتر يضغط عليها بعد الآن. فهي لا تريد فعل ذلك. لكنه ما زال يحضر لها الهدايا، وللأولاد أيضاً إذا كانوا في المنزل. كان هذا آخر أثر من طفولتهم.

وصلا أخيراً إلى المصعد، ولم يعد الشيخ خالد ظاهراً في أي مكان، إذ

صعد الجميع إلى الأعلى قبل دقائق معدودة إلى غرفهم. إنهم يأتون بانتظام إلى هنا، وتقضي زوجاته عادة شهريّ مايو ويونيو في باريس، ويمكثن أحياناً حتى نزول المجموعات الجديدة في شهر يوليو. ثم يعودون جميعاً في الشتاء للسبب نفسه.

"الطقس دافئ هذه السنة"، قال بيتر بسهولة، وهو يتحدث إلى الحاجب فيما انتظرا وصول المصعد. كان الجو رائعاً في الخارج، منعشاً وحاراً، بحيث يجعلك ترغب في الاستلقاء تحت شجرة في مكان ما، والنظر إلى السماء، ومراقبة السحب وهي تمرّ. لم يكن هذا يوماً لإنجاز الأعمال. لكن بيتر سوف يتصل ببول لويس سوكارد في أية حال، ليرى ما إذا كان يستطيع تخصيص الوقت لرؤيته قبل اجتماعهما المحدد لصباح اليوم التالي.

"الجو حار طوال الأسبوع"، قال الحاجب بتهذيب. إنه يجعل الجميع في مزاج جيد، وهناك مكيفات للهواء في الغرف، بحيث لا تصدر أبداً أية تذمرات بشأن درجة الحرارة. ابتسم الرجلان فيما مرّت أمامهما سيدة أميركية مع ثلاثة كلاب من نوع ترير يوركشاير. كانت الكلاب منتفخة جداً ومغطاة بالكثير من الأشرطة ما دفع الرجلان إلى تبادل نظرة سريعة فيما راقباها.

ثم، وكأن المساحة التي يقف فيها الرجلان أصبحت مشحونة كهربائياً، شعر بيتر فجأة بموجة من النشاط خلفه. كان ينظر إلى المرأة مع الكلاب، وحتى هي بدت مذهولة. تساءل بيتر ما إذا كان الشيخ العربي وحراسه مجدداً، أو أحد نجوم السينما،، لكنه استطاع الإحساس بتصاعد الإثارة الفوري. التفت ليرى ما الذي يحصل، وشاهد مجموعة من الرجال الذين يرتدون بذلات داكنة مع سماعات في آذانهم يتوجهون نحوهم. كان عدد الرجال أربعة، واستحالت رؤية من يقف خلفهم. لكن كان من السهل الملاحظة أنهم حراس شخصيون نتيجة سماعات الأذن وأجهزة اللاسلكي التي يحملونها. ولو كان الطقس أكثر برودة، لارتدوا حتماً المعاطف الطويلة.

انتقلوا إلى حيث يقف بيتر والحاجب، في انسجام كامل تقريباً، ثم أزاحوا

قليلاً للكشف عن مجموعة من الرجال مباشرة خلفهم. كان هؤلاء الرجال يرتدون بذلات صيفية، وبدوا أميركيين، علماً أن واحداً منهم كان أطول من الآخرين وأشقر على نحو بارز. بدا مثل نجم سينمائي، وثمة شيء فيه لفت أنظار الجميع. كانوا يصغون جميعاً إلى كلامه، وبدا الرجال الثلاثة الذين معه جادين جداً ومنهمكين كثيراً، وضحكوا فجأة على ما كان يقوله.

أثار هذا الرجل فضول بيتر وألقى عليه نظرة طويلة، وتأكد فجأة من أنه شاهده في مكان ما، لكنه لم يستطع التذكر. ثم خطرت لـــه الفكرة بلمح البصر. إنه السيناتور الشاب المثير للجدل والديناميكي جداً، أندرسون تاتشر، من فيرجينيا. إنه في الثامنة والأربعين، وتعرض أكثر من مرة لفضيحة، غير أنه جرى تبديد الإشاعات المخيفة بسرعة، وفي أكثر من مرة. والأهم من ذلك أنه تعرض إلى مأساة. فقد قتل شقيقه طوم، فيما كان مرشحاً للرئاسة، قبل ستة أعوام مباشرة قبل الانتخابات. كان سيفوز حتماً وصدرت كل أنواع التكهنات حول هوية الفاعل، لا بل إنه تم إنتاج فيلمين سينمائيين حول هذا الموضوع. لكن تبين في النهاية أن الفاعل هو رجل مسلح وحيد ومجنون. ومنذ ذلك الحين، بدأ أندرسون تاتشر، أو آندي كما يعرفه أصدقاؤه، يعدّ نفسه ونجح في اختراق صفوف حلفائه وأعدائه السياسيين، ويعتقد الآن أنه مرشح جدي للانتخابات الرئاسية القادمة. والواقع أنه لم يعلن ترشيحه بعد، لكن الأشخاص المطلعين قالوا إنه سيفعل ذلك قريباً. وخلال الأعوام القليلة الماضية، تابع بيتر أخباره باهتمام. فعلى رغم بعض الأشياء المقيتة التي سمعها عنه شخصياً، ظن أنه قد يكون مرشحاً مثيراً للرئاسة المقبلة. وبمجرد النظر إليه الآن، وهو محاط بالحراس والمسؤولين عن حملته الانتخابية، يتضح وجود جاذبية كبيرة فيه، الأمر الذي سحر بيتر حين راقبه.

وقد طالته المأساة مجدداً للمرة الثانية حين توفي ابنه البالغ من العمر سنتين من السرطان. لم يكن بيتر يعرف الكثير عن ذلك، لكنه تذكر بعض الصور المؤثرة التي نشرتها مجلة التايم حين مات الصغير. كانت هناك صورة

فوتوغرافية لزوجته التي بدت محبطة فيما سارت بعيداً عن المدافن، لوحدها، فيما أمسك تاتشر بذراع أمه وأبعدها عن المكان. والواقع أن الألم المبرح الذي ظهر على وجه الأم الشابة جعله يرتعد. لكن كل ذلك زاد من تعاطف الناس معهم، ومن المثير رؤيته الآن وهو مستغرق في المحادثة مع مرافقيه.

وبعد برهة، فيما لا يزال المصعد عالقاً، تحركت مجموعة الرجال قليلاً، وحين فعلوا ذلك، لاحظ بيتر وجود شخص آخر وراءهم. بلمحة سريعة، شاهدها تقف هناك، هي المرأة التي رآها في الصورة الفوتوغرافية. كانت عيناها تحدقان أرضاً، وأعطت انطباعاً بدقة مذهلة. بدت صغيرة جداً وضعيفة جداً، وكأنها ستطير بعيداً في أية لحظة. كانت امرأة ضعيفة مع أكبر عينين شاهدهما في حياته، وثمة شيء فيها يجعلك ترغب في التحديق فيها بإعجاب. كانت ترتدي بذلة من الكتان باللون الأزرق الفاتح ماركة شانيل، وثمة شيء رقيق جداً فيها، ومحافظ جداً فيما مشت خلف الرجال في مجموعتها. بدا أن أياً منهم لم يلاحظها، ولا حتى الحراس، فيما وقفت هي بهدوء تنتظر المصعد خلفهم. وفيما نظر بيتر إليها، ألقت فجأة نظرة سريعة عليه. رأى أنها تملك العينين الأكثر حزناً اللتين شاهدهما في حياته، على رغم عدم وجود أي شيء مثير للشفقة فيها. كانت بعيدة ببساطة، ولاحظ أن يديها دقيقتين وجميلتين فيما وضعتهما في حقيبتها لتخرج منها نظارات شمسية داكنة. لكن أياً من الرجال لم يتحدث إليها أو بدا أنه يلاحظها حين وصل المصعد أخيراً. دخلوا جميعاً قبلها، ومشت هي بهدوء خلفهم. كان هناك وقار مذهل لديها، كما لو أنها موجودة في عالمها الخاص، وكانت سيدة أنيقة بكل معنى الكلمة. وبدا أنها غير مهتمة البتة لإدراكهم أو لا بوجودها.

فيما راقبها بيتر، مذهولاً، عرف تماماً من تكون. لقد شاهد العديد من الصور الفوتوغرافية لها على مر السنوات، في أوقات أكثر سعادة، حين تزوجته، وحتى قبل ذلك مع والدها. إنها زوجة آندي تاتشر، أوليفيا دوغلاس تاتشر. وتماماً مثل تاتشر، تتحدر هذه المرأة من عائلة سياسية مهمة. كان

والدها حاكم ماساتشوستس، وشقيقها أحد أعضاء الكونغرس في بوسطن. يذكر بيتر أنها كانت في الرابعة والثلاثين تقريباً، وكانت واحدة من الأشخاص الذين يحتون الصحافة والذين لا يمكن تركهم وشأنهم، رغم أنها لم تكن تبذل الكثير من الجهد لذلك. لا شك في أن بيتر شاهد مقابلات تلفزيونية معه، لكنه لا يذكر أية مقابلة مع أوليفيا تاتشر. بدت أنها تبقى تماماً في الخلفية، ووجد نفسه مفتوناً بها حين دخل إلى المصعد مباشرة خلفها. أدارت لـــه ظهرها، لكنها كانت قريبة جداً، لدرجة أنه كان بإمكانه وضع ذراعيه حولها من دون بذل أي جهد. والواقع أن مجرد التفكير في ذلك جعله يلهث، فيما نظر إلى الشعر الداكن بلون الرمل. وكما لو أنها شعرت بأن بيتر يفكر فيها، التفتت ونظرت إليه، والتقت عيناهما مجدداً، وشعر أن الوقت توقف لبرهة. ذهل مجدداً بالحزن في عينيها وبدا كأنها تقول شيئاً لـــه من دون أن تلفظ أية كلمة. كانت تملك العينين الأكثر تعبيراً اللتين شاهدهما في حياته، ثم تساءل فجأة ما إذا تخيل الأمر، ما إذا كان هناك شيء في عينيها أكثر مما هو في عيون الآخرين. التفتت بسرعة بعد أن نظرت إليه، ولم تلتفت إليه مجدداً فيما غادر المصعد وهو يشعر نوعاً ما بالارتعاش.

كان الخادم قد أوصل حقيبته إلى غرفته، وتحققت المسؤولة من جهوزية الغرفة لـــه، فوجد كل شيء مرتباً تماماً. وفيما نظر بيتر من حوله حين دخل إلى الغرفة، شعر مرة أخرى أنه مات وذهب إلى الجنة. فالأقمشة المقصبة على الجدران اكتست باللون الخوخي الدافئ، وكانت المفروشات كلها عتيقة، والموقد من الرخام المشمشي، والنافذة وأغطية السرير من الحرير والساتان. وكان هناك حمام من الرخام، مع كل وسائل الراحة. بدا وكأن الحلم أصبح حقيقة، وجلس بيتر في كرسي مريح من الساتان، ونظر إلى الحديقة المرتبة على نحو فاتن. كان الأمر مثالياً.

أعطى الحاجب بعض المال، ثم مشى ببطء حول الغرفة، وذهب إلى الخارج وانحنى على الشرفة، وهو يتأمل الأزهار تحته ويفكر في أوليفيا تاتشر. كان هناك

شيء آسر في وجهها وعينيها. وقد لاحظ ذلك في صورها أيضاً، لكنه لم يشاهد أبداً أي شيء قوي بقدر الذي شاهده في عينيها حين نظرت إليه. كان هناك شيء مؤلم جداً هناك، وإنما أيضاً شيء قوي. بدا وكأنها كانت تقول شيئاً لـــه، أو لأي شخص ينظر إليها. فقد كانت، بطريقتها، أكثر قوة وجاذبية من زوجها. ولم يستطع بيتر منع نفسه من التفكير بأنها لم تكن تبدو مثل شخص يشارك في اللعبة السياسية. والواقع أنها لم تفعل ذلك أبداً حسب معلوماته، وما زالت لا تفعل ذلك الآن، على رغم كون زوجها مرشحاً أساسياً للرئاسة.

تساءل عن الأسرار المخبأة وراء وجهها، أم أنه يتخيل كل ذلك؟ فهي ليست حزينة ربما، وإنما هادئة جداً بكل بساطة. فلم يكن أحد يتحدث إليها. لكن لماذا نظرت إليه بهذه الطريقة؟ ما الذي كانت تفكر فيه؟

كان لا يزال مذهولاً بالتفكير فيها بعدما غسل وجهه ويديه واتصل بسوكارد بعد خمس دقائق. لكنه الأحد. وبدا سوكارد غير متحمس لاجتماع مفاجئ. إلا أنه وافق على لقاء بيتر بعد ساعة. مشى بيتر حول غرفته بتململ، وقرر الاتصال بكايت، وكالعادة لم تكن في المنزل. فقد كانت الساعة التاسعة صباحاً عندها، وتخيل أنها خرجت للقيام بنزهة في مكان ما أو زيارة الأصدقاء. نادراً ما كانت كايت تبقى في المنزل بعد التاسعة صباحاً ولا تعود أبداً إلى المنزل قبل الخامسة والنصف. كانت مشغولة على الدوام. وفي هذه الأيام، مع المزيد من النشاطات وانهماكها في الهيئة المدرسية، ووجود ولد واحد في المنزل، أصبحت تعود إلى المنزل في وقت متأخر أكثر.

حين غادر بيتر غرفته أخيراً، كان متحمساً جداً لرؤية سوكارد. فهذه هي اللحظة التي ينتظرها. الضوء الأخضر الأخير قبل أن يتمكنوا من المضي قدماً في فيكوتيك. كان هذا مجرد إجراء رسمي، وهو يعرف ذلك، وإنما إجراء مهم في قضيتهم للحصول على موافقة دائرة الأغذية والعقاقير الأميركية لـــ"الخط السريع". وكان سوكارد الرئيس الأكثر خبرة واحتراماً في مختلف فرق وأقسام البحث لديهم. لذا، فإن بركته لفيكوتيك ستكون أكثر أهمية من رأي أي شخص آخر.

وصل المصعد بسرعة هذه المرة، ودخل إليه بيتر بسرعة. كان لا يزال يرتدي البذلة الداكنة نفسها، وإنما ارتدى قميصاً أزرق جديداً مع أكمام وياقة باللون الأبيض. وبدا بيتر نظيفاً ومرتباً فيما ألقى نظرة سريعة على شخص نحيل في الزاوية. إنها امرأة ترتدي سروالاً أسود مع قميص قطني أسود، ونظارات شمسية داكنة. كان شعرها مشدوداً إلى الخلف وتنتعل حذاء من غير كعب. وفيما التفتت ونظرت إليه، عرف أنها أوليفيا تاتشر على رغم النظارات الداكنة.

بعدما قرأ عنها لسنوات، شاهدها فجأة مرتين خلال ساعة واحدة، وبدت هذه المرة مختلفة تماماً. بدت أكثر نحافة وشباباً مما كانت في بذلة الشانيل. رفعت نظاراتها الشمسية لبرهة وألقت نظرة سريعة عليه. كان واثقاً من أنها تعرفت إليه هي أيضاً، لكن أياً منهما لم يقل أي شيء وحاول هو ألا يحدق فيها. لكن ثمة شيء فيها سيطر عليه على نحو مطلق. ولم يستطع أن يفهم الشيء الموجود فيها الذي أثار حيرته. إنهما عيناها بلا شك، لكن الأمر تعدى ذلك. فقد كان هناك شيء في طريقة تحركها وتصرفها، وكل الأسطورة التي سمعها عنها. بدت فخورة جداً، وواثقة جداً، وهادئة جداً، ومتحفظة على نحو لافت. والواقع أن مجرد النظر إليها جعله يرغب في التوجه نحوها وسؤالها ألف سؤال سخيف. تماماً مثل كل الصحافيين. لماذا تبدين واثقة جداً من نفسك؟ بعيدة جداً؟... لكنك تبدين حزينة أيضاً. هل أنت حزينة، سيدة تاتشر؟ كيف شعرت حين توفي ولدك الصغير؟ هل أنت مكتئبة الآن؟ هذه هي الأسئلة التي يطرحها الجميع عليها لكنها لم تجب أبداً. لكن، بمجرد النظر إليها، أراد أن يعرف الأجوبة أيضاً، أراد أن يتمدد نحوها، ويجعلها قريبة منه، ليعرف ماذا تشعر، ولماذا حدقت عيناها في عينيه مثل يدين تتمددان للوصول إلى يديه. أراد أن يعرف ما إذا كان مجنوناً للتفكير كثيراً فيها. أراد أن يعرف من تكون، على رغم معرفته بانه لن يفعل ذلك أبداً. فقد كان مصيرهما أن يكون غريبين، وألا يتحدثا كلمة واحدة لبعضهما البعض.

في الواقع إن مجرد التواجد قربها جعله يحبس أنفاسه. استطاع شم رائحتها بقربه، وملاحظة اللمعان الخفيف في شعرها، والإحساس بنعومة بشرتها، ولحسن الحظ وصلا إلى الطابق الرئيسي وفتح باب المصعد، فيما لم يعد باستطاعته منع نفسه من التحديق فيها. كان هناك حارس شخصي في انتظارها، ولم تقل شيئاً وإنما خرجت ببساطة إلى الردهة وبدأت تمشي فيما تبعها هو. كانت تعيش حياة غريبة جداً، حسب ما ظن بيتر، وفيما راقبها تبتعد شعر نفسه منجذباً إليها مثل المغنطيس، وتوجب عليه تذكير نفسه بأن لديه عملاً للقيام به ولا يوجد وقت لهذا الوهم الصبياني. لكن بدا جلياً لــه أن ثمة شيئاً سحرياً فيها، ويسهل معرفة سبب كونها أشبه بأسطورة. والواقع أنها امرأة غامضة أكثر من أي شيء آخر. إنها ذلك النوع من الأشخاص الذين لا تعرفهم أبداً، لكنك تتمنى لو تفعل. تساءل، فيما خرج إلى الشمس الساطعة وأوقف لــه البواب سيارة أجرة، عما إذا كان أحد يعرفها. وفيما توجهت به سيارة الأجرة بعيداً، شاهدها تلتف حول الزاوية وتغادر ساحة الفاندوم. نزلت بسرعة إلى شارع السلام، ورأسها صوب الأسفل، ونظاراتها الشمسية على وجهها، والحارس الشخصي خلفها. ورغماً عنه، تساءل بيتر إلى أين تذهب. بعد ذلك، أجبر عينيه وعقله على الابتعاد عنها، وفيما أسرعت سيارة الأجرة، نظر مباشرة إلى شوارع باريس وهي تمرّ أمامه.

الفصل الثاني

كان اللقاء مع سوكارد موجزاً ومقتضباً، مثلما توقع بيتر. لكنه لم يكن مستعداً البتة لما قاله بول لويس سوكارد عن منتجهم. فهو لم يتخيل للحظة واحدة الحكم الذي أصدره سوكارد. فحسب قوله، تبين حسب كل الاختبارات التي أجريت، باستثناء اختبار واحد، أن فيكوتيك خطر ربما، وقد يسبب الموت، في حال إساءة استعماله، أو حتى التعاطي معه بسذاجة. ونتيجة العيوب التي كشف عنها، ما زال إنتاجه يحتاج لسنوات عديدة والإطلاق النهائي في الأسواق، إذا كان صالحاً للاستعمال أصلاً. وهو بالتالي غير مستعد للتجارب البشرية التي أرادها بيتر بشدة.

جلس بيتر وحدق فيه فيما كان يصغي إليه. لم يستطع تصديق ما سمعه للتو. ولم يستطع تخيل هذه النتيجة لمنتجهم. وبما أنه أصبح يعرف الكثير عن الخصائص الكيميائية، طرح عليه بعض الأسئلة الدقيقة جداً والمعقدة من الناحية التقنية. امتلك سوكارد الأجوبة لبعض منها فقط، لكنه شعر في الإجمال أن فيكوتيك خطر، وأنه يجب التخلي عن المنتج. وإذا أرادوا المجازفة بتطويره أكثر في السنوات المقبلة، يمكن حل المشاكل ربما لكن لا توجد أية ضمانات على تمكنهم من ترويضه وجعله مفيداً وآمناً. وإذا لم يفعلوا ذلك، سيكون الدواء قاتلاً حتماً. شعر بيتر كما لو أن أحداً ضربه على رأسه بحجر.

"هل أنت واثق من أنه لا يوجد أية أخطاء في دراستك، بول لويس؟"، سأل بيتر بيأس وهو يرغب في العثور على أخطاء في أنظمتهم، ولكن ليس في "طفله" المحبوب.

"أنا واثق تقريباً من أنه لا يوجد أي خطأ"، قال بول لويس بلكنة إنكليزية ثقيلة، لكن كان يسهل تماماً فهم ما قاله للتو، الأمر الذي أثار رعب بيتر.

وكالعادة، بدا بول لويس كئيباً، لكنه دوماً كذلك. وكان هو عادة الذي يكتشف الأخطاء في منتجاتهم. إنه صاحب الأخبار السيئة عادة. هذه هي مهنته. "ثمة اختبار واحد لم ننجزه بعد، ويمكن أن يبدل بعض نتائجنا، لكنه لن يغيرها تماماً". وراح يشرح أنه يمكن أن يمنح القليل من التفاؤل الإضافي في ما يتعلق بالوقت الذي يحتاجون إليه لإنجاز اختبارات إضافية، لكنهم ما زالوا يتحدثون عن سنوات، وليس أشهراً، ولا حتماً أسابيع، مثلما كانوا يأملون، قبل حكم دائرة الأغذية والعقاقير الأميركية.

"متى ستنجز هذه الاختبارات؟"، سأل بيتر وهو يشعر بالغثيان. لم يستطع تصديق ما سمعه. بدا ذلك مثل أسوأ يوم في حياته، أسوأ من أي شيء عاشه في فيتنام، وكل ما بعده. ويعني ذلك ضياع أربعة أعوام، إن لم يكن بالكامل، فإنما جزئياً على الأقل.

"نحتاج إلى بضعة أيام إضافية، لكني أعتقد أن هذا الاختبار هو مجرد شكليات. أظن أننا نعرف الآن ما يستطيع فيكوتيك فعله وما يعجز عنه. ونحن ندرك تماماً معظم نقاط ضعفه ومشاكله.

"هل تظن أنه قابل للإنقاذ؟"، سأل بيتر وهو يبدو مذعوراً.

"أنا شخصياً أعتقد ذلك... لكن بعضاً من فريقي لا يظن ذلك. فهم يرون أنه سيكون دوماً خطراً جداً، ودقيقاً جداً، ويمثل خطراً كبيراً عند تواجده بين يديّ شخص غير محترف. لكنه لن يؤدي حتماً ما تريده منه. ليس بعد. وربما أبداً". أرادوه شكلاً من المعالجة الكيميائية، يكون أسهل على الوصف، حتى بالنسبة إلى الأشخاص العاديين الموجودين في المناطق الريفية النائية، حيث لا تتوافر لهم الرعاية الطبية الجيدة. لكن أياً من هذا لن يكون ممكناً، حسب ما قاله بول لويس. لا بل إنه شعر بالأسى لبيتر حين شاهد وجهه. فقد بدا بيتر كأنه خسر للتو عائلته، وكل أصدقائه، وبدأ يفكر في العواقب. ستكون لامتناهية. كانت هذه خيبة أمل كبيرة، وصدمة حقيقية بالنسبة إليه فيما استمع إلى ما أراد بول لويس قوله. "أنا آسف جداً"، أضاف بول لويس سوكارد

بهدوء. "أظن أنك ستربح هذه المعركة مع الوقت. لكن عليك التحلي بالصبر"، قال برفق، وشعر بيتر بالدموع تتلألأ في عينيه وأدرك مدى القرب الذي وصلا إليه، وكم لا يزالان بعيدين عن هدفهما. ليست هذه هي الأجوبة التي توقعها. فقد توقع ان يكون اجتماعهما مجرد شكليات، لكنه تحول إلى كابوس بدل ذلك.

"متى ستحصل على نتائج الاختبار، بول لويس؟" خشي العودة إلى نيويورك لإخبار فرانك، ولاسيما من دون معلومات كاملة.

"يومان أو ثلاثة، أو ربما أربعة. لا أستطيع الجزم بعد. لكنك ستحصل حتماً في نهاية الأسبوع على أجوبتك".

"وإذا كانت النتائج جيدة، ألا تظن أنها ستعدّل موقفك الآن؟" كان يتوسل إلى كل الأخبار الجيدة الممكنة. إنه يعرف مدى تحفظ سوكارد، وقد يكون هذه المرة حذراً جداً. كان من الصعب الفهم أن نتائجه ستكون معارضة جذرياً لكل ما قاله الآخرون. إلا انه لم يخطئ أبداً قبلاً، وكان عدم تصديقه بمثابة مجازفة كبيرة. فلا شك في أنهم لا يستطيعون تجاهل ما يقوله.

"يمكن أن يغير بعضاً من رأيي، ولكن ليس كله. إذا كانت النتائج التالية مثالية ربما، يمكنك الانتظار ربما سنة أخرى من الأبحاث الإضافية".

"ماذا عن ستة أشهر؟ ماذا لو عملنا على ذلك في كل مختبراتنا، وركزنا كل قدرات بحثنا على هذا المشروع؟" يمكن أن يكون هذا الأمر مجدياً نظراً للكسب المتوقع. والواقع أن الربح هو الشيء الذي يحب فرانك دونوفان الاستماع إليه، وليس الاختبارات.

"ربما. هذا التزام هائل، إذا كنت تريد القيام بذلك".

"يعود ذلك إلى السيد دونوفان بلا شك. عليّ مناقشة الأمر معه". هناك الكثير من الأمور التي يجدر به مناقشتها معه الآن، ولا يريد فعل ذلك على الهاتف. عرف أنه يقوم بمجازفة، لكنه أراد انتظار نتائج الاختبار الأخير، ومن ثم التحدث إلى فرانك بعد أن يعرفوا تماماً ما الذي اكتشفه سوكارد. "أودّ

الانتظار حتى تنتهي من الاختبار الأخير، بول لويس. وأرجوك أن تبقي كل هذه المعلومات سرية حتى ذلك الحين".

"طبعاً". اتفقا على اللقاء مجدداً ما إن ينتهي الاختبار الأخير، وقال بول لويس إنه سيتصل به في الفندق.

انتهى اجتماعهما في جو حزين، وشعر بيتر بالإرهاق فيما استقل سيارة أجرة عائداً إلى الريتز. ثم خرج من الفندق ومشى قليلاً وصولاً إلى ساحة الفاندوم. كان يشعر بحزن كبير. لقد عملوا بكد كبير وآمن في المشروع كثيراً، فكيف يمكن أن يخفق هكذا؟ كيف يمكن أن يصبح فيكوتيك قاتلاً الآن؟ لماذا لم يكتشفوا ذلك قبلاً؟ لماذا حصل الأمر بهذه الطريقة؟ كانت هذه فرصته الوحيدة لمساعدة البشرية، لكنه دعم بدل ذلك دواء قاتلاً فتاكاً. كانت سخرية هذا الأمر مريرة جداً، وفيما مشى عائداً إلى الفندق، لم يفلح صخب موعد الكوكتيل والضيوف الداخلين والخارجين في جلبة من الثياب الأنيقة في بث المرح في نفسه. لم يلاحظ العرب، واليابانيين، ونجوم السينما الفرنسيين، والعارضات من كل أنحاء العالم فيما عبر الردهة وصعد السلم متوجهاً إلى غرفته، وهو يفكر في ما يجب فعله الآن. عرف أنه يجدر به الاتصال بحميه، لكنه أراد الانتظار حتى الحصول على بقية المعلومات. كان يود أن يتحدث مع كايت عن الأمر، لكنه عرف أن أي شيء سيقوله لها سيصل إلى مسامع والدها قبل الصباح. كانت هذه إحدى نقاط الضعف الحقيقية في علاقتهما. فكايت تعجز ولا ترغب في الاحتفاظ بأي شيء لنفسها، وأي شيء يقال بين زوج وزوجته كان يتشاركه دوماً والدها. كانت هذه وسيلة تذكير بعلاقتهما القديمة حين كبرت لوحدها معه، وعلى رغم محاولة بيتر على مرّ السنوات، لم يفلح في تغيير ذلك. استسلم في النهاية وكان يحرص على عدم إخبارها بأي شيء إلا إذا أراد مشاركته مع فرانك أيضاً. وفي هذه المرة، لا يريد أبداً فعل ذلك. ليس بعد في أية حال. أراد الانتظار حتى يسمع الجواب من بول لويس مجدداً، وسيواجه بعدها أي شيء.

جلس بيتر في غرفته تلك الليلة، يحدق خارج النافذة، ويشعر بالهواء الدافئ، وهو عاجز عن تصديق ما حصل. كان هذا غير معقول. وفي العاشرة مساء، كان واقفاً على شرفته، يحاول ألا يفكر في احتمال الإخفاق. لكن كل ما استطاع التفكير فيه الآن هو الأحلام، وكم أصبحت قريبة، والآمال المبددة والحياة التي تغيرت نتيجة ما قاله بول لويس لـــه، وما قد يكتشفه قريباً. ما زال هناك أمل، لكن ثمة فرصة قليلة جداً بإطلاق الدواء باكراً الآن. وسيكون المثول أمام جلسة دائرة الأغذية والعقاقير الأميركية في سبتمبر غير مجدٍ. فلن يسمحوا لـــه في الشروع في التجارب البشرية، في حال وجود الكثير من الأمور الواجب إنجازها بعد. أصبح هناك فجأة الكثير من الأمور للتفكير فيها. وكان يصعب على عقله استيعاب كل ذلك، وأخيراً، في الحادية عشرة مساء، قرر بيتر الاتصال بكاتي. كان لطيفاً فعلاً أن يتمكن من إخبارها بما يزعجه، فسماع صوتها على الأقل سيرفع معنوياته.

طلب الرقم بسهولة، ولكن لم يكن هناك أي جواب. إنها الخامسة مساء، وحتى باتريك لم يعد إلى المنزل. تساءل ما إذا كانت كاتي قد ذهبت مع الأصدقاء لتناول العشاء. وفيما أقفل سماعة الهاتف، شعر فجأة بموجة من الاكتئاب. لقد تبخرت أربعة أعوام من العمل الشاق في يوم واحد، وتبدد معها كل شيء حلم به. ولا يوجد أحد للتحدث معه بشأن ذلك. كان هذا محزناً جداً.

وقف على الشرفة مجدداً لبرهة، وفكر في الخروج في نزهة، لكن حتى التجول في باريس بدا لـــه فجأة غير مغرٍ، وقرر بدل ذلك ممارسة بعض التمارين ليخلص نفسه من أحزانه. ألقى نظرة سريعة على البطاقة الصغيرة الموجودة على المكتب، ثم نزل السلم بسرعة وصولاً إلى النادي الرياضي الموجود تحت طابقين. كان لا يزال مفتوحاً لحسن الحظ، وكان قد أحضر معه ثوب سباحة كحلي اللون، في حال تسنى لـــه استعماله. كان يحب استعمال حوض الريتز عادة، لكنه لم يكن واثقاً هذه المرة من مقدار الوقت الذي لديه. وحسب ما تبين لـــه الآن، فيما ينتظر سوكارد لإتمام اختباراته، سيكون لديه

الوقت للقيام بالكثير من الأشياء. لكنه ليس في مزاج للقيام بها.

بدا الموظف المسؤول غير متفاجئ حين دخل. كانت الساعة قرابة منتصف الليل عندئذ، ولم يكن هناك أحد. بدا النادي الرياضي مهجوراً وكان كل شيء صامتاً. كان الموظف الوحيد يقرأ كتاباً بهدوء، وأشار إلى بيتر بموقع غرفة تغيير الملابس وأعطاه مفتاحاً. وبعد برهة، مشى عبر حوض التعقيم في اتجاه مساحة الحوض الأساسي. كان الحوض كبيراً وأنيقاً، وشعر فجأة بالسرور لأنه جاء إلى هنا. فهذا ما يحتاج إليه بالضبط. ظن أن السباحة قد تحرر رأسه بعد كل ما حدث.

غاص بهدوء في الحوض من الجهة العميقة، وتسلل جسمه الطويل والنحيل عبر الماء. سبح مسافة طويلة تحت الماء، ثم صعد إلى السطح أخيراً، وقام ببعض التجذيفات الطويلة على امتداد الحوض، وحين وصل أخيراً إلى الطرف البعيد، شاهدها. كانت تسبح بهدوء، تحت الماء في أغلب الأحيان، وتصعد إلى السطح بين الحين والآخر، ثم تعود للنزول مجدداً. كانت صغيرة ورشيقة جداً بحيث كادت تختفي في الحوض الكبير. كانت ترتدي ثوب سباحة أسود بسيطاً، وحين صعدت إلى السطح، بدا شعرها البني الداكن أسود اللون على رأسها، وبدت عيناها الكبيرتان مذهولتين حين شاهدته. تعرفت إليه على الفور، لكنها لم تكشف عن أية علامة تجاهه. غاصت تحت الماء مجدداً وتابعت السباحة فيما يراقبها هو. من الغريب فعلاً مراقبتها. كانت قريبة جداً على الدوام، وإنما بعيدة جداً أيضاً، في المصعد، في كلا المرتين، والآن هنا. كانت قريبة دوماً على نحو معذب، وإنما بعيدة أيضاً كما لو أنها موجودة على كوكب آخر.

سبحا بصمت في الطرفين المقابلين من الحوض لبرهة، ثم سبحا بمحاذاة بعضهما مرات عدة، وهما يعملان على التخلص من عذاباتهما الخاصة. ثم توقفا عند الطرف البعيد للحوض كما لو عن سابق تصميم. كانا يلهثان، ولم يعرف بيتر ما هو الشيء الذي يجدر به فعله وهو عاجز عن إبعاد عينيه عنها، فابتسم لها. وابتسمت هي لـــه جواباً عليه. ثم فجأة، سبحت بعيداً مجدداً قبل أن

يتمكن من التحدث معها أو توجيه أية أسئلة إليها. لم يكن يخطط لذلك في أية حال، لكنه ظن أنها معتادة على ذلك، على الأشخاص الذين يطاردونها أو يريدون معرفة أشياء لا يملكون الحق في سؤالها عنها. فوجئ حين لاحظ أنه لا يرافقها أي حارس شخصي، وتساءل ما إذا كان أحد يعرف أنها موجودة هنا. بدا وكأنهم لا ينتبهون أبداً لها. فحين شاهدها مع السيناتور، لم ينظروا إليها أو يتحدثوا إليها، وبدت هي مكتفية تماماً بالتواجد في عالمها، مثلما هي الآن، فيما تابعت السباحة.

ظهرت في الطرف البعيد المقابل لبيتر هذه المرة، ومن دون أن يقصد ذلك فعلاً، بدأ يسبح ببطء في اتجاهها. لم يكن لديه أية فكرة عما سيفعله لو تحدثت إليه باهتمام حقيقي. لكنه لم يستطع تخيلها وهي تفعل ذلك في أية حال. فهي شخص يمكن النظر إليه، أو الافتتان به، وهي نوع من الغموض. لم تكن شخصاً حقيقياً. وكما لو أنها أرادت إثبات فكرته، خرجت بلباقة من الحوض ما إن اقترب منها ولفت نفسها بمنشفة بحركة واحدة رشيقة، وحين نظر إلى الأعلى مجدداً، كانت قد رحلت. لقد كان محقاً في النهاية. فهي ليست امرأة، وإنما أسطورة.

عاد إلى غرفته بعد فترة وجيزة من ذلك، وفكر في الاتصال بكاتي مجدداً. كانت الساعة قرابة السابعة في كونكتيكوت عندئذ، وهي على الأرجح في المنزل تتناول العشاء مع باتريك، إلا إذا خرجا مع الأصدقاء.

لكن الشيء الغريب هو أنه لم يرغب فعلاً في الاتصال بها. لم يشأ أن يضع عقبة أمامها، أو يقول لها إن الأمور على ما يرام ولا أن يخبرها بما حدث مع سوكارد. لا يستطيع الوثوق في أنها لن تخبر والدها، لكن العجز عن قول أي شيء لها جعله يشعر بعزلة غريبة فيما استلقى على سريره في فندق الريتز في باريس. كان هذا نوعاً خاصاً من المطهر، في مكان يفترض فقط أن يكون الجنة. وفيما استلقى هناك، في هواء الليل الدافئ، شعر بتحسن عما كان قبلاً، جسدياً على الأقل. لقد ساعدته السباحة. كما أن رؤية أوليفيا تاتشر مجدداً سحرته. كانت جميلة جداً، وإنما وهمية جداً، وجعله كل شيء فيها يشعر نوعاً

ما بأنها وحيدة جداً. لم يكن واثقاً مما جعله يفكر هكذا، ما إذا كان فقط ما قرأه عنها، أو ما كان حقيقياً، أو ما عكسته لـــه عبر العينين البنيتين المليئتين بالأسرار. كان يستحيل معرفة أي شيء بمجرد النظر إليها، لكن كل ما يعرفه أن رؤيتها تجعله يرغب في التمدد ولمسها، مثل فراشة نادرة، لمجرد التأكد من أنه يستطيع فعل ذلك، ومما إذا كانت ستصمد. لكن كما هي حال معظم الفراشات النادرة، شك في أنه لو لمسها، سوف تتحول أجنحتها إلى مسحوق.

حلم بالفراشات النادرة تلك الليلة، وبامرأة تلقي نظرات خاطفة عليه من وراء الأشجار في غابة استوائية. ظل يفكر في أنه تاه، وكلما خاف وأراد الصراخ، كان يشاهدها على الدوام. وتقوده هي بصمت إلى الأمان. لم يكن واثقاً تماماً من هوية هذه المرأة، لكنه اعتقد أنها أوليفيا تاتشر.

وحين استيقظ في الصباح، كان لا يزال يفكر فيها. كان هذا الشعور الأكثر غرابة، وأشبه بوهم أكثر مما هو حلم. فرؤيتها بالقرب منه طوال الليل، في حلمه، منحه فعلياً الإحساس بأنه يعرفها.

رن الهاتف حينها. كان هذا فرانك. كانت الساعة الرابعة فجراً عنده، فيما هي العاشرة في باريس، وأراد أن يعرف كيف كان الاجتماع مع سوكارد.

"كيف عرفت أني قابلته البارحة؟"، سأل بيتر وهو يحاول الاستيقاظ واستجماع ذاكرته. كان حموه ينهض في الرابعة صباحاً كل يوم. وبحلول السادسة والنصف أو السابعة، كان يصل إلى المكتب. ورغم أنه بات الآن على مسافة أشهر من التقاعد، أو هكذا قال على الأقل، لم يعدّل روتينه كثيراً.

"أعرف أنك تركت جنيف عند الظهر. تصوّرت أنك لن ترغب في تبديد الوقت. ما هي الأخبار الجيدة؟". بدا فرانك مبتهجاً، وتذكر بيتر بوضوح شديد صدمة كل ما أخبره به بول لويس سوكارد.

"في الواقع، لم ينتهوا بعد من الاختبارات"، قال بيتر وهو يبدو غامضاً عن قصد ومتمنياً لو أن فرانك لم يتصل به. "سوف أنتظر هنا لبضعة أيام قليلة حتى ينتهوا".

ضحك فرانك فيما أصغى إليه، وللمرة الأولى أثار ذلك أعصاب بيتر. ماذا سيقول لـــه بحق الله؟ "لا يمكنك ترك طفلك لوحده ولو لدقيقة واحدة، أليس كذلك بني"؟. لكنه فهم. فقد استثمروا جميعاً الكثير في فيكوتيك، المال وكذلك الوقت، وبالنسبة إلى بيتر، تحولت أحلام حياته إلى دعم منتجهم الجديد. وعلى الأقل، لم يقل سوكارد إنه مات، قال بيتر لنفسه، فيما جلس في السرير. فكل ما قاله هو أنه يواجه المشاكل. وهي مشاكل خطيرة بلا شك، لكن لا يزال هناك أمل لطفل أحلامه. "حسناً، إستمتع بوقتك في باريس لبضعة أيام. سوف نهتم نحن بشؤونك هنا. ما من شيء مهم يحدث في المكتب. والليلة، سأصطحب كاتي لتناول العشاء في مطعم "21". وطالما أنها لا تمانع بقاءك هناك، أظن أني أستطيع العمل من دونك".

"شكراً، فرانك. أودّ أن أكون هنا لمناقشة النتائج مع سوكارد". بدا من غير العادل عدم إعطاء فرانك تلميحاً على الأقل للإنذار. "يبدو أن هناك بعض المشاكل ظاهرياً".

"لا شيء خطير. أنا واثق"، قال فرانك من دون التردد ولو لوهلة. فالنتائج في ألمانيا وسويسرا كانت جيدة جداً لا تقلق. وقد ظن بيتر ذلك أيضاً إلى أن حذره بول لويس من أن فيكوتيك هو قاتل محتمل. وهو يأمل الآن في أن يكون كل ذلك خطأ، وأن تكون المشاكل التي اكتشفوها في نهاية الأسبوع مجرد مشاكل صغيرة. "ماذا ستفعل لوحدك فيما أنت تنتظر؟" بدا فرانك مرحاً أكثر من أي شيء آخر. كان يحب صهره، ولطالما كانا صديقين جيدين. فقد كان بيتر رجلاً ذكياً ومنطقياً، وأثبت أنه زوج ممتاز لكاتي. فقد كان يدعها تفعل ما تشاء، ولم يحاول منعها من الحصول على الأشياء بالطريقة التي تريدها. فقد سمح لها بالعيش حيث تريد، وإرسال الأولاد إلى المدارس الصحيحة، علماً أن "الصحيح" يعني أندوفر وبرينستون. وكان يأتي إلى كروم مارتا لتمضية شهر كل سنة، فضلاً عن أنه احترم العلاقة التي يتشاركها فرانك وكاتي منذ الطفولة. بالإضافة إلى ذلك، كان رئيساً لامعاً لشركة ويلسون - دونوفان.

وكان والداً جيداً للأولاد أيضاً. في الواقع، هناك القليل القليل من الأمور التي لا يحبها فرانك فيه، سوى حين يكون بيتر عنيداً بشأن بعض المسائل بين الحين والآخر، كما بالنسبة إلى المدرسة الداخلية أو الشؤون العائلية التي شعر فرانك أحياناً أنها ليست من شأنه.

نجحت أفكاره التسويقية في تسجيل تاريخ من النجاح، وبفضله أصبحت شركة ويلسون - دونوفان الشركة الصيدلانية الأكثر نجاحاً في الصناعة. كان فرانك هو نفسه مسؤولاً عن تطوير الشركة من عمل عائلي متين إلى شركة عملاقة، لكن بيتر هو الذي ساعدها لتصبح امبراطورية عالمية. وكانت مجلة نيو يورك تايمز تكتب عنه باستمرار، وأطلقت عليه مجلة وال ستريت جورنال اسم الفتى المدهش في عالم الصيدلة. وقد أرادوا في الآونة الأخيرة إجراء مقابلة معه حول فيكوتيك، لكن بيتر أصرّ على أنه غير مستعد. كما طلب منه الكونغرس أخيراً المثول أمام لجنة فرعية مهمة لمناقشة المسائل الأخلاقية والاقتصادية المنضوية تحت لواء التسعير الصيدلاني. لكنه لم يبلغهم بعد بالموعد الذي يستطيع فيه المثول أمامهم.

"أحضرت بعض العمل معي"، قال بيتر وألقى نظرة سريعة على الشرفة المضاءة بأشعة الشمس، وهو لا يرغب إطلاقاً في فعل ذلك وإنما أجاب فقط على سؤال حميه. "فكرت في أن أنجز بعض العمل على جهاز الكومبيوتر وأرسله إلى المكتب. سوف اكون مشغولاً في ذلك وسأقوم بجولة سياحية"، قال وهو يفكر في أن لديه النهار بأكمله أمامه.

"لا تنس تخزين المشروبات"، قال فرانك بمرح. "سوف تجري أنت وسوكارد بعض الاحتفالات. وسوف نحتفل نحن ما إن تعود إلى المكتب. هل يجدر بي الاتصال بمجلة التايمز اليوم؟"، سأل بعفوية، فيما هزّ بيتر رأسه بعصبية ووقف منتصباً، فبدا طويلاً جداً ونحيلاً وعارياً.

"سوف أنتظر. أظن أنه من المهم انتظار الاختبارات الأخيرة، وذلك لضمان مصداقيتنا"، قال بوقار، متسائلاً ما إذا كان أحد يستطيع رؤيته عبر

النافذة المفتوحة. كان شعره الداكن أشعث، ولف الشرشف حول خصره. فالرداء الفوقي الخاص بالفندق كان بعيداً عن متناول يديه لأنه موجود على الكرسي المشمشي المقصّب في منتصف غرفة النوم.

"لا تكن عصبياً هكذا"، قال لـــه فرانك. "ستكون الاختبارات جيدة. إتصل بي ما إن تسمع أي شيء، قال لـــه وأصبح قلقاً فجأة لإقفال الخط والذهاب إلى المكتب.

"سأفعل. شكراً على اتصالك فرانك. بلّغ حبي إلى كايت، في حال لم تتمكن من الاتصال بها قبل أن تراها. كانت خارج المنزل طوال اليوم البارحة، والوقت مبكر جداً للاتصال بها الآن، قال وكأنه يبرر ما حصل.

"إنها فتاة مشغولة"، قال والدها بفخر. فهي لا تزال فتاة بالنسبة إليه، ولم تتغير نوعاً ما منذ أيام الكلية. فمظهرها لا يزال هو نفسه كما كانت في الرابعة والعشرين حين التقاها بيتر. كانت نحيلة وشقراء، "ظريفة المظهر"، حسب قول صديقاتها، ورياضية جداً. كان شعرها قصيراً دوماً ولها عينين زرقاوين مثل عينيه، وثمة شيء عابث فيها، إلا إذا لم تحصل على ما تريده. كانت أماً صالحة، وزوجة جيدة لبيتر، وفتاة استثنائية لفرانك. "سوف أبلغها حبك"، طمأنه فرانك ثم أقفل السماعة فيما جلس بيتر في غرفته، وهو ملتف بالشرشف، يحدق خارج النافذة. ماذا سيقول لـــه إذا تبدد كل شيء؟ كيف سيبررون الملايين التي أنفقوها، والمليارات التي لن يجنوها، على الأقل ليس في الوقت الحاضر، وليس قبل أن ينفقوا المزيد لتصحيح المشاكل؟ لم يكف بيتر عن التساؤل ما إذا كان فرانك راغباً في فعل ذلك. هل سيكون راغباً في المضي قدماً في فيكوتيك بقدر ما هو ضروري، لجعله مثالياً، أو هل سيصرّ على ضرورة التخلي عن المشروع؟ بصفته رئيس مجلس الإدارة، لا يزال القرار قراره، لكن بيتر سيفعل أي شيء يستطيعه للدفاع عنه. لطالما أحب التعب الطويل للحصول على الفوز الكبير. أما فرانك فأحب النجاح السريع والاستعراضي. والواقع أن السنوات الأربع الماضية لتطوير المنتج كانت صعبة كفاية، وقد تكون سنة أخرى أو سنتان إضافيتان أمراً

صعباً جداً، خصوصاً من حيث كلفة ذلك.

طلب القهوة والكرواسان من خدمة الغرف، ورفع سماعة الهاتف. عرف أنه يجدر به انتظار اتصال سوكارد، لكنه لم يستطع تمالك نفسه. اتصال ببول لويس وقيل لـــه إن الدكتور سوكارد في المختبر ولا يمكن مقاطعته. إنهم يعقدون اجتماعاً مهماً جداً. وكل ما استطاع بيتر فعله هو الاعتذار، والعودة إلى عذاب الانتظار. لقد مضت أقل من 24 ساعة على اجتماعهما في اليوم السابق، وكان بيتر على وشك ان يفقد صبره.

ارتدى ثوب النوم الفوقي قبل وصول الفطور، وفكر في الذهاب للسباحة مجدداً، لكن ذلك بدا منحطاً جداً خلال ساعات العمل. أخذ جهاز الكمبيوتر بدل ذلك وجلس يعمل عليه، أثناء تناول الكرواسان وشرب فنجان القهوة. إلا أنه استحال عليه التركيز، وعند الظهر، استحم وارتدى ثيابه وتخلى عن أي أمل في العمل.

احتاج إلى وقت طويل لتقرير ما يريد فعله. أراد القيام بشيء تافه، وباريسي إلى أقصى الحدود. نزهة على ضفاف نهر السين، أو في الضاحية السابعة في شارع باك، أو الجلوس في الشارع اللاتيني وتناول المشروبات ومراقبة المارّة. أراد فعل أي شيء سوى العمل والتفكير في فيكوتيك. أراد فقط الخروج من غرفته والتحول إلى جزء من المدينة.

ارتدى بذلة رسمية داكنة وواحدة من أفضل قمصانه البيضاء. لن يلتقي بأي كان، لكنه لم يحضر معه أي شيء آخر، وفيما مشى خارجاً تحت شمس يونيو الساطعة في ساحة الفاندوم، أوقف سيارة أجرة وطلب من السائق اصطحابه إلى غابة بولونيا. لقد نسي كم أحب التواجد هناك، وجلس لساعات تحت الشمس الدافئة على مقعد خشبي، يتناول البوظة ويراقب الأولاد. كان هذا بعيداً جداً عن المختبرات التي تتصارع مع فيكوتيك، وأكثر بعداً عن غرينتش في كونيكتيكوت. وفيما جلس هناك تائهاً في أفكاره تحت شمس باريس، بدا ذلك بعيداً جداً عن الزوجة الشابة الغامضة للسيناتور تاتشر.

الفصل الثالث

حين غادر بيتر غابة بولونيا بعد ظهر ذلك اليوم، أخذ سيارة أجرة إلى اللوفر. وتجول بسرعة فيه. كان منظّماً على نحو جميل، وكانت التماثيل في الباحة الخارجية قوية جداً لدرجة أنه وقف وحدّق فيها لوقت طويل، مسمّراً، وأحس باتصال صامت معها. لم يكترث حتى للهرم الزجاجي الموضوع مباشرة أمام متحف اللوفر، والذي أثار الكثير من الجدل بين الغرباء والباريسيين. مشى لبرهة ثم استقل أخيراً سيارة أجرة للعودة إلى الفندق. لقد خرج قبل ساعات، وشعر بأنه إنسان مجدداً، وبالمزيد من الأمل فجأة. حتى لو لم تكن الاختبارات جيدة، سوف ينقذون ما يعرفونه حالياً نوعاً ما، ويمضون من ثم قدماً. لن يدع مشروعاً مهماً مثل هذا يموت بسبب بعض المشاكل. فحكم دائرة الأغذية والعقاقير ليس نهاية العالم، وقد عاش ذلك قبلاً على مر السنوات. وإذا احتاج المشروع إلى خمس سنوات بدل أربع، أو حتى ست في النهاية، فليكن كذلك.

شعر بالارتياح حين مشى إلى فندق الريتز مجدداً. كان الوقت متأخراً في فترة بعد الظهر، ولم تصله أية رسائل إلى الفندق. توقف واشترى صحيفة وأصرّ على الذهاب إلى الفتاة المسؤولة عن المتاجر في الفندق واشترى السوار الذهبي لكاتي. كان السوار عبارة عن سلسلة صلبة وجميلة، مع قلب ذهبي كبير متدلٍ منها. إنها تحب القلوب، وعرف أنها ستضع هذا السوار. لقد اشترى لها والدها أشياء باهظة فعلاً، مثل قلادات وخواتم من الماس، وبما أنه عرف أنه لن يستطيع التنافس معه، حرص بيتر عادة على إبقاء هداياه ضمن الأشياء التي يعرف أنها ستضعها أو التي لها معنى خاص.

وحين صعد إلى الأعلى، ألقى نظرة سريعة على الغرفة الفارغة وشعر

فجأة بالقلق. كان الإغراء للاتصال بسوكارد كبيراً مجدداً، لكنه قاوم رغبته هذه المرة. اتصل بكاتي بدل ذلك، لكن حين طلب الرقم، جاءه رد الآلة المجيبة مجدداً. إنها الظهيرة في كونيكتيكوت، وتصوّر أنها خرجت لتناول الغداء، والله وحده يعلم أين هم الأولاد.

يفترض أن يكون مايك وبول قد عادا من المدرسة في هذا الوقت، وباتريك لم يغادر أبداً، وبعد أسبوع او اثنين، سوف تنتقل كاتي مع الجميع إلى كروم مارتا. سوف يبقى بيتر في المدينة ويعمل، وينضم إليهم في عطلات نهاية الأسبوع، مثلما يفعل دوماً، ثم يمضي معهم إجازته الممتدة على أربعة أسابيع في شهر أغسطس. أراد فرانك أخذ إجازة في شهرّي يوليو وأغسطس هذه السنة، وكانت كاتي تخطط للاحتفال بالرابع من يوليو في حفلة شواء كبيرة.

"أنا آسف لقد اشتقت إليك"، قال للآلة وهو يشعر بالغباء. كان يكره التحدث إلى الأجهزة الالكترونية. "الاختلاف في الوقت يجعل الأمر صعباً. سوف أتصل بك لاحقاً... وداعاً... أوه... أنا بيتر". ابتسم لنفسه، وأقفل سماعة الهاتف، وتمنى ألا يكون قد بدا غبياً جداً. فالآلة المجيبة تجعله دوماً غريب الأطوار. "رائد الصناعة يعجز عن التحدث إلى آلة مجيبة"، قال وهو يسخر من نفسه، وراح يذرع الغرفة المغلقة بالساتان المشمشي وينظر من حوله، وهو يحاول أن يقرر ما سيفعله للعشاء. كان لديه خيار الذهاب إلى مطعم مجاور، أو البقاء في الفندق وتناول الطعام في مطعمه، أو البقاء في الغرفة وطلب خدمة الغرف، ومشاهدة السي أن أن والعمل على كمبيوتره. وفي النهاية، اعتمد الخيار الأخير. فهو الأكثر بساطة.

خلع سترته وربطة عنقه، ورفع أكمامه إلى الأعلى. كان واحداً من الأشخاص الذين يبدون خالين من العيوب حتى في نهاية النهار، وليس فقط في بدايته. وكان أولاده يضايقونه بقولهم إنه ولد مع ربطة عنق، الأمر الذي كان يجعله يضحك حين يتذكر شبابه في ويسكونسين. كان يحب لو أنهم عاشوا

بعضاً من ذلك، مع مقدار أقل من غرينتش، كونيكتيكوت وكروم مارتا. لكن ويسكونسين بعيدة، بعيدة جداً عنه. ومع رحيل والديه وشقيقته، لم يعد هناك أي سبب للذهاب إلى هناك. لا يزال يفكر أحياناً في أولاد موريال في مونتانا، لكن بدا الوقت متأخراً جداً نوعاً ما لمحاولة إجراء اتصال معهم. لقد كبروا الآن ولن يتعرفوا إليه. كانت كاتي محقة. لقد فات الأوان الآن.

ما من شيء مثير في الأخبار تلك الليلة، وانكب على عمله مع تقدم الليل. تفاجأ كم كان العشاء جيداً، لكنه لم ينتبه إليه كثيراً، الأمر الذي أثار حزن النادل. لقد أعدوا الطعام بطريقة جميلة، لكنه وضع الكمبيوتر المحمول على الطاولة بقربه واستمر في العمل.

"يجدر بك الخروج سيدي"، قال النادل. إنها ليلة جميلة وتبدو المدينة فاتنة تحت القمر البدر، لكن بيتر أجبر نفسه على عدم الانتباه لذلك.

وعد نفسه بأن يسبح مجدداً في وقت متأخر من الليل، كمكافأة، وكان يفكر في ذلك في تمام الحادية عشرة حين سمع صوت طنين مستمر، وتساءل ما إذا كان ذلك الراديو، أو التلفزيون، أو أن خطباً حصل في الكمبيوتر الموجود قربه. كان الصوت مثل جرس مزعج وطنين قوي، وبعد أن ارتبك أخيراً بشأن هوية الصوت، فتح الباب المطل على الممر، واكتشف فوراً أنه مع فتح الباب أصبح الصوت أعلى. كان النزلاء الآخرون ينظرون إلى الممر أيضاً، وبدا بعضهم خائفاً وقلقاً.

"حريق؟" سأل خادم يركض، فنظر إلى بيتر بعدم ثقة وبالكاد توقف للإجابة.

"إنه حريق ربما، سيدي"، وهذا ما شعر به بيتر. لم يكن أحد واثقاً، لكنه بلا شك إنذار من نوع ما، وبدأ المزيد والمزيد من الأشخاص يخرجون إلى الممرات. ثم بدا فجأة وكأن كل موظفي الفندق تأهبوا للعمل. فقد كان الخدم، والنادلون، والمسؤولة عن الطابق، وعمال التنظيف من كل المستويات يمشون برصانة وإنما بسرعة بين الطوابق، ويطرقون على الأبواب، ويقرعون الأجراس، ويطلبون من الجميع الخروج بأسرع ما يمكن، ولا، لا، سيدتي، من

فضلك لا تغيري ملابسك. فهذه مناسبة. كانت المسؤولة عن الطابق تسلّم أثواباً للنزلاء، فيما الخدم يحملون حقائب صغيرة ويساعدون النساء مع كلابهنّ. لم يتم توفير أي شرح بعد، لكن قيل لهم جميعاً بوجوب إخلاء الفندق دفعة واحدة، من دون أي تأخير ولو لبرهة.

تردد بيتر، وتساءل ما إذا كان يجدر به أخذ الكمبيوتر المحمول معه، لكنه قرر بسرعة تركه في الغرفة. فهو لا يحتوي على أسرار الشركة، وإنما على الكثير من الملاحظات والمعلومات والمراسلات التي عليه الاهتمام بها. وكان تركه في الغرفة بمثابة ارتياح بالنسبة إليه. لم يحاول حتى ارتداء سترته، وإنما اكتفى بوضع محفظته وجواز سفره في جيب سرواله، وأخذ معه مفتاح الغرفة وأسرع للنزول على السلم مع سيدات يابانيات يرتدين ثياب غوتشي وديور الفاخرة، وعائلة أميركية كبيرة "تهرب" من الطابق الثاني، وعدة نساء عربيات يضعن مجوهرات استثنائية، ومجموعة من الرجال الألمان الوسيمين الذين يدفعون كل من يصادفونه على السلم، ومجموعة من كلاب تريه يوركشاير والبودل الفرنسية.

ثمة شيء مضحك جداً في كل ذلك، ولم يستطع بيتر منع نفسه من الضحك فيما شق طريقه بهدوء عبر السلم، محاولاً ألا يفكر في المقارنة مع التايتانيك. كان الريتز يغرق تقريباً.

وأثناء نزولهم إلى الأسفل، التقوا بموظفي الفندق الذين كانوا يساعدون، ويطمئنون، ويمدّون أيدي المساعدة عند الضرورة، ويلقون التحية على الجميع، ويعتذرون عن الإزعاج. إلا أن أياً منهم لم يذكر بالضبط ما الذي حصل، وما إذا كان ذلك ناجماً عن حريق، أو إنذار خاطئ، أو خطر كبير آخر محدق بنزلاء الفندق. لكن حين تجاوزوا سلسلة المتاجر وعبروا ردهة الفندق وخرجوا إلى الشارع، لاحظ بيتر أن فرق الجيش موجودة هناك، وهي ترتدي البذلات الخاصة وتحمل الأسلحة والدروع. وبعد مشاهدة الشيخ خالد ومجموعته يغادرون بسرعة في سيارات حكومية، ظن بيتر أن ذلك كان تهديد

قنبلة. وهناك ممثلتان فرنسيتان مشهورتان أيضاً في الفندق، مع "أصدقاء"، ومجموعة مذهلة من الرجال الكبار في السن والفتيات الشابات. كما أن الممثل كلينت إيستوود كان هناك بسروال الجينز والقميص القطني بعد أن عاد للتو من التصوير. وفي الوقت الذي انتهى فيه إخلاء كل غرف الفندق، كانت الساعة قرابة منتصف الليل. لكن من المذهل فعلاً كيف تم إنجاز ذلك بسرعة وترتيب وأمان. لقد أنجز موظفو الفندق مهمة ممتازة في إيصال ضيوفهم إلى ساحة الفاندوم، وها هم الآن، على مسافة آمنة، يعدّون الطاولات مع الحلوى والقهوة. وكانت هناك مشروبات أكثر قوة أيضاً للذين يشعرون بحاجة إليها. كان الأمر يكون ممتعاً تقريباً لو أنه لم يحصل متأخراً جداً، ولم يكن مزعجاً جداً ولم تظهر أية أجواء للخطر من حولهم.

"لقد ضاعت فرصتي الليلة في السباحة"، قال بيتر للممثل كلينت إيستوود فيما وقفا جنباً إلى جنب، ينظران إلى الفندق ويبحثان عن دخان متصاعد، ولكن من دون رؤية أي شيء. دخلت فرق الأمن إلى الفندق قبل عشر دقائق بحثاً عن القنابل. ويبدو ظاهرياً أن الإدارة تلقت مكالمة تفيد بوجود قنبلة موقوتة.

"لقد ضاع نومي"، قال الممثل بحزن. "عليّ الاستيقاظ في الرابعة صباحاً غداً. قد يستغرق ذلك وقتاً طويلاً إذا كانوا يبحثون عن قنبلة". كان يفكر في النوم في موقع التصوير، لكن النزلاء الآخرين لم يتوفر أمامهم هذا الخيار. اكتفوا بالوقوف في الشارع، مذهولين نوعاً ما، وهم يتشبثون بحيواناتهم، أو أصدقائهم، أو حقائبهم الجلدية الصغيرة المليئة بالمجوهرات.

وفيما راقب بيتر فرقة أخرى من الجيش تدخل إلى الفندق، وأذعن للأمر الصادر بالابتعاد أكثر عن الفندق، التفت وشاهدها فجأة. لمح آندي تاتشر محاطاً، كالعادة، بالحراس الشخصيين والطفيليين، وبدا غير مهتم بتاتاً بما يحصل. كان يتابع محادثة حيوية مع الأشخاص الذين حوله، وكانوا جميعاً رجالاً باستثناء واحدة. فالمرأة الوحيدة في المجموعة بدت مثل مناظرة سياسية.

كانت تدخن بعصبية، وبدا تاتشر مهتماً جداً في ما تقوله. لكن بيتر لاحظ أن أوليفيا كانت تقف مباشرة خلف المجموعة، من دون أن يتحدث أحد إليها. لم ينتبهوا إليها البتة، فيما راقبها هو بإعجابه المعهود. وقفت جانباً ببساطة، وتجاهلها الجميع، بمن فيهم الحراس الشخصيين، فيما شربت هي فنجاناً من قهوة الفندق. كانت ترتدي قميصاً قطنياً أبيض وسروال جينز، ورأى أنها تشبه ولداً صغيراً ينتعل خفاً كبيراً. أما العينان اللتان سحرتاه جداً فكانتا تراقبان المشهد بأكمله، فيما تحرك زوجها ومجموعته قليلاً إلى الأمام. تحدث تاتشر وأحد رجاله إلى عدد من عناصر الجيش، الذين اكتفوا بهزّ رؤوسهم. فلم يعرفوا بعد السبب الذي جاؤوا لأجله. أحضر أحدهم كراسٍ قابلة للطي، ووزعها النادلون على النزلاء. كما تم إحضار المشروبات إلى الخارج وبدا النزلاء غير منزعجين البتة مما حصل. تحولت المسألة ببطء إلى حفلة مسائية خارجية في ساحة الفاندوم. ورغماً عنه، استمر بيتر في مراقبة أوليفيا تاتشر باهتمام.

بدت أنها ابتعدت أكثر عن مجموعتها لبرهة، وحتى الحراس الشخصيين أضاعوا أثرها على ما يبدو ولم ينتبهوا قط إليها. أما السيناتور فكان يدير لها ظهره منذ خروجهما من الفندق، ولم يتحدث إليها مرة واحدة، وجلس هو ومجموعته على الكراسي، فيما تراجعت أوليفيا خلف مئات النزلاء الموجودين في ساحة الفاندوم للحصول على فنجان آخر من القهوة. بدت مسالمة جداً وهي تقف هناك، ولم تكن منزعجة على الأقل لأن مجموعة زوجها تتجاهلها. وفيما نظر هو إليها، واقفة هناك، شعر بيتر بالمزيد والمزيد من الإعجاب بها ولم يستطع منع نفسه من التحديق فيها.

عرضت كرسياً على سيدة أميركية عجوز، ولاطفت كلباً صغيراً، ووضعت أخيراً فنجانها الفارغ على الطاولة. عرض النادل فنجاناً آخر على أوليفيا، لكنها ابتسمت وهزت رأسها بلباقة بالرفض. ثمة شيء لطيف ومشرق على نحو رائع فيها، كما لو أنها وصلت للتو إلى الأرض وكانت قبلاً ملاكاً.

كان يصعب على بيتر الآن القبول بأنها مجرد امرأة. فهي تبدو مسالمة جداً، وهادئة جداً، ومثالية جداً، وغامضة جداً، وخائفة جداً كلما اقترب الناس منها. كانت تنزعج بلا شك من النظر إليها، وبدت أكثر سعادة حين لا ينتبه احد إليها، وهذا ما فعله الجميع هذه الليلة. كانت ترتدي ثياباً غير رسمية البتة وتقف هناك لوحدها، لدرجة أن الأميركيين أنفسهم لم يتعرفوا إليها في المجموعة، رغم أنهم شاهدوها مئات المرات في الصحف والمجلات في البلاد. كانت حلم جميع مصوري المشاهير (الباباراززي) طوال سنوات، وقد التقطوا لها الصور المفاجئة، خصوصاً في السنوات التي قضتها مع ولدها المريض على فراش الموت. لكنها ما زالت حتى الآن تحيّرهم كما لو أنها أشبه بأسطورة أو شهيدة.

وفيما راقبها بيتر باستمرار، لاحظ أنها تبتعد أكثر فأكثر إلى الخلف، وراء الضيوف الآخرين، وتوجب عليه الآن التركيز لمشاهدتها. تساءل ما إذا كان هناك سبب وراء ذلك، أم أنها تحركت فقط إلى الخلف من دون تفكير. كانت قد أصبحت بعيدة عن زوجها ومجموعته عندئذ، ولم يعد باستطاعتهم مشاهدتها أبداً، إلا إذا حركوا أنفسهم وحاولوا العثور عليها. عاد المزيد من النزلاء إلى الفندق آتين من مطاعم أو مقاهي ليلية مثل شي كاستيل، أو بعد تناولهم العشاء ببساطة مع الأصدقاء، أو حضور المسرح. وجاء المغفلون لرؤية ما يحدث. ألقى بعض الأشخاص اللوم بكل ذلك على الشيخ خالد. وكان هناك وزير بريطاني مهم في الفندق أيضاً وسرت إشاعة بأن منظمة الجيش الجمهوري الإيرلندي هي المسؤولة عن ذلك. لكن شخصاً على ما يبدو زرع قنبلة، أو قالوا إنه فعل ذلك، وبأمر من الشرطة، لن يعود أحد إلى الفندق ما لم تعثر فرق الجيش عليها.

كانت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل، وقد غادر الممثل إيستوود قبل وقت طويل للنوم في مقطورته في مكان التصوير. لن يبدد الساعات القليلة التالية وهو واقف في ساحة الفاندوم، منتظراً حلول الصباح. وفيما ألقى بيتر

نظرة سريعة من حوله، لاحظ أن أوليفيا تاتشر ابتعدت ببطء عن كل نزلاء الفندق، وتوجهت بلامبالاة إلى الجهة الأخرى من الساحة. أدارت ظهرها للناس الواقفين هناك، وبدت فجأة أنها تسير بسرعة وخفة نحو الزاوية. ولم يكف بيتر عن التساؤل إلى أين ستذهب. حدق ليرى ما إذا كان هنالك حارس شخصي يرافقها، وكان واثقاً من أنه لو عرف أحد بما تفعله، لأرسلوا معها حارساً شخصياً. لكنها أصبحت بوضوح لوحدها، وبدأت تركض ولم تلتفت أبداً إلى الخلف. لم يستطع إبعاد عينيه عنها، ومن دون التفكير، ابتعد هو أيضاً عن المجموعة وبدأ يتبعها إلى زاوية ساحة الفاندوم. كانت هناك الكثير من الحركة خارج الفندق، بحيث أن أحداً لم يلاحظهما على ما يبدو وهما يغادران. لكن بيتر لم يدرك أن رجلاً تبعه لبضعة خطوات على الأقل قبل أن يسمع صوت اهتياج في الساحة، ففقد الاهتمام وعاد مسرعاً إلى قلب الحدث، حيث قامت عارضتان شهيرتان للأزياء بتشغيل قرص مدمج للموسيقى وبدأتا ترقصان مع بعضهما البعض أمام أعين أفراد الشرطة العصبيين. كانت محطة السي أن أن قد وصلت عندئذ، وكانوا يجرون مقابلة مع السيناتور تاتشر بشأن آرائه في الإرهابيين خارج البلاد وداخلها، وأخبرهم شعوره حيال ذلك بكلمات واثقة تماماً. فنظراً لما حدث مع شقيقه قبل ستة أعوام تقريباً، كان يستاء جداً من هذا النوع من الهراء. ألقى خطاباً قصيراً مثيراً، وصفق لــه الناس الذين كانوا حوله وسمعوا ما قاله. توجه بعدها فريق عمل السي أن أن لإجراء مقابلة مع أشخاص آخرين. واللافت أنهم لم يطلبوا أبداً التحدث إلى زوجته، إذ شعروا أن السيناتور تحدث بوضوح عنهما معاً. أسرع فريق العمل إلى عارضتيّ الأزياء وأجرى معهما مقابلة مباشرة بعد آندي. قالتا إنهما تعتبران الأمسية ممتعة جداً، ويفترض أن يحصل ذلك في الريتز وفق تواتر أكبر. إنهما تمكثان في الفندق لمدة ثلاثة أيام لجلسات تصوير لصالح مجلة هاربرز بازار، وقالتا إنهما أحبتا باريس. ثم أنشدتا أغنية صغيرة وأضفتا جواً مرحاً على ساحة الفاندوم. شكلتا ثنائياً مرحاً، وعلى رغم الخطر المحتمل نتيجة القنبلة الضائعة، كانت أمسية احتفالية.

لكن بيتر أصبح بعيداً عن كل ذلك الآن، فيما تبع زوجة السيناتور حول الزاوية وخارج ساحة الفاندوم. بدت أنها تعرف إلى أين تذهب، ولم تتردد برهة. استمرت في المشي. مشت بسرعة كبيرة وتوجب على بيتر القيام بوثبات طويلة للتمكن من اللحاق بها، لكنه جعلها تبقى في المقدمة من دون أن يملك فكرة عما يريد قوله لها إذا توقفت والتفتت وسألته عما يفعله. لم يكن لديه فكرة عما يفعله أو عن سبب ذلك. عرف فقط أنه يجدر به فعل ذلك. لقد أجبر على اللحاق بها من ساحة الفاندوم، وقال لنفسه إنه يريد التأكد من أنها آمنة في تلك الساعة من الليل، ولكن من دون أن يملك أية فكرة على الإطلاق عن سبب شعوره بضرورة فعل ذلك.

شعر بالذهول حين وصلت إلى ساحة الكونكورد، ثم وقفت هناك وابتسمت لنفسها، فيما نظرت إلى النوافير وبرج إيفل المضاء في البعيد. ثمة متشرد عجوز يجلس هناك، ورجل شاب يتجول متمهلاً، وثنائيان يقبلان بعضهما، لكن أحداً لم ينتبه إليها، وبدت سعيدة جداً فيما وقفت هناك. جعله ذلك يرغب في الاقتراب منها ووضع ذراع حولها والنظر إلى النافورة معها. لكنه بدل ذلك، بقي على مسافة مهذبة منها، مبتسماً لها. لكنه أصيب بالذهول حين ألقت نظرة سريعة عليه وظهرت الأسئلة في عينيها. بدا وكأنها عرفت فجأة أنه هناك، ولماذا، لكنها ما زالت تشعر بانه يدين لها بالشرح. لا شك في أنه تبعها، ولم تكن غاضبة أو خائفة، لكن الشيء المحرج هو أنها التفتت ومشت ببطء في اتجاهه. أرادت أن تعرف من يكون، بعدما عرفت أنه الرجل الذي كان في حوض السباحة في الليلة الفائتة. لكن بيتر تورد خجلاً في الظلمة فيما اقتربت هي في اتجاهه.

"هل أنت مصوّر؟" نظرت إليه وسألته بهدوء. بدت هشة جداً وفجأة حزينة جداً. لقد حدث ذلك لها، ألف مرة، مليون مرة... فالمصورون يتبعونها في كل مكان، ويشعرون بالنصر كلما سلبوها لحظة خاصة. أصبحت معتادة على ذلك الآن، وقبلت به كجزء من حياتها رغم أنها لا تحبه.

لكنه هزّ رأسه، بعد أن فهم شعورها وشعر بالأسف على تطفله. "لا، لست كذلك... أنا آسف... أنا... أردت فقط أن أتأكد من أنك... الوقت متأخر جداً". ثم نظر إليها وشعر فجأة بإحراج أقل وحماية أكبر. كانت خيالية جداً ودقيقة جداً. لم يسبق لــه أن التقى بأحد مثلها. "لا يجدر بك التنزه لوحدك في وقت متأخر من الليل، فهذا خطر". ألقت نظرة سريعة على الرجل الشاب والمتشرد العجوز، وهزت كتفيها ثم نظرت إليه باهتمام.

"لماذا كنت تتبعني؟"، سألته بصراحة، وكانت العينان البنيتان المخمليتان رقيقتين جداً حين نظرت إليه وتمنى لو أنه يستطيع التمدد ولمس وجهها.

"لا... لا أعرف"، قال بصدق. "فضول...شهامة... إعجاب... حماقة... غباوة...". أراد أن يقول لها إنه مفتون بجمالها، لكنه لم يستطع. "أردت أن أتأكد من أنك على ما يرام". ثم قرر أن يكون صريحاً معها. فالظروف غير اعتيادية، وبدت أنها شخص يمكنك اعتماد الصراحة معه. "لقد هربت، أليس كذلك. لا يعرفون أنك رحلت، أليس كذلك؟" أو ربما يعرفون الآن، ويبحثون في كل مكان، لكنها لا تهتم البتة وكان هذا واضحاً. بدت مثل ولد ماكر حين نظرت إليه. لقد شاهد ما فعلته، وهي تعرف ذلك.

"لن يعرفوا الفرق أبداً ربما"، قالت بصدق، وبدت غير نادمة وإنما مليئة بالمكر. إنها فعلاً المرأة المنسية. فما من أحد في مجموعتها انتبه يوماً إليها، أو تحدث إليها، ولا حتى زوجها. "توجب عليّ الهروب. من الظلم أحياناً فعل ذلك... بالنسبة إليّ". نظرت إليه، وهي غير واثقة ما إذا كان تعرف إليها، لكنها لم تشأ إفساد الأمر إذا لم يكن قد فعل.

"كل الظروف جائرة أحياناً"، قال بطريقة فلسفية. فقد كانت ظروفه هكذا في بعض الأحيان، لكنه عرف ان ظروفها أكثر قسوة. ثم نظر إليها مجدداً بطريقة ودية. بما أنه وصل معها إلى هذا الحد، لا ضير أبداً في المضي قدماً قليلاً أكثر. "هل أستطيع أن أقدم لك فنجاناً من القهوة؟" ابتسما كلاهما وترددت هي لبرهة طويلة فيما حاولت تحديد ما إذا كان يقصد ذلك فعلاً، أم أنها مجرد

مزحة. وحين لاحظ ترددها، ابتسم بحنان قائلاً: "كان هذا عرضاً صادقاً. أنا رجل حسن السلوك نسبياً، ويمكن على الأقل الوثوق بي لفنجان قهوة. أقترح فندقي، لكن يبدو أنهم يواجهون مشكلة".

ضحكت على ذلك وبدت مسترخية فيما راقبته. كانت تعرفه من الفندق، في المصعد وفي حوض السباحة. كان يرتدي قميصاً باهظاً ويبدو نظيفاً، ويرتدي سروال بذلة وحذاء جيداً. وثمة شيء في عينيه قال لها إنه رجل محترم ولطيف، فأومأت برأسها. "أحب شرب فنجان من القهوة، ولكن ليس في فندقك"، قالت بتكلف. "إنه مزدحم قليلاً بالنسبة إليّ. ماذا عن مونتمارتر؟" قالت بحذر، ابتسم بيتر. لقد أحب الاقتراح.

"إنها فكرة رائعة. هل أستطيع توقيف سيارة أجرة؟". أومأت برأسها وتوجها إلى أقرب محطة تاكسي. ساعدها على الدخول إلى السيارة وأعطته عنوان المقهى الذي تعرف أنه يبقى مفتوحاً حتى وقت متأخر من الليل ويضع طاولاته على الرصيف. كان الليل دافئاً، ولم يكشف أي منهما عن رغبة في العودة إلى الفندق، رغم أنهما كانا خجولين مع بعضهما. كانت هي من كسر الجليد في البداية، ونظرت إليه بتعابير لطيفة.

"هل تفعل ذلك دوماً؟ أقصد اللحاق بالنساء". فجأة، أعجبتها المسألة كلها، وتوجب عليه التورد خجلاً في التاكسي فيما هزّ رأسه.

"في الواقع، لم أفعل ذلك البتة قبلاً. إنها المرة الأولى، وما زلت لا أدري لماذا فعلت ذلك"، باستثناء أنها بدت هشة جداً وضعيفة جداً، وأراد لسبب غير منطقي أن يحميها، لكنه لم يقل لها ذلك.

"في الواقع، أنا سعيدة جداً لأنك فعلت ذلك"، قالت وهي تبدو مسرورة فعلاً ومرتاحة على نحو مفاجئ معه حين وصلا إلى المطعم. وبعد برهة، جلسا على طاولة في الهواء الطلق مع فنجانين من القهوة الساخنة. "يا لها من فكرة رائعة". ابتسمت لـــه. "أخبرني الآن عنك"، قالت وهي تضع ذقنها بين يديها، وتبدو شبيهة بالنجمة أودري هيبورن.

"ليس هناك الكثير لأخبره"، قال وهو لا يزال محرجاً قليلاً، وإنما مسرور لوجوده هنا.

"أنا واثقة من أن هناك الكثير. من أين أنت؟ نيويورك؟" قالت، وقد أصابت بدقة تقريباً. فهو على الأقل يعمل هناك.

"نوعاً ما. أنا أعمل في نيويورك، لكني أعيش في غرينتش".

"وأنت متزوج ولديك ولدين". أكملت العبارة نيابة عنه وابتسمت لــه بكآبة مثلما تفعل دوماً. إن حياته سعيدة جداً وعادية جداً ربما، على عكس حياتها المليئة بالمآسي وخيبات الأمل.

"ثلاثة أبناء"، صحح لها. "ونعم، أنا متزوج". وفيما تذكر وفرة أبنائه، شعر بالذنب حيالها والولد الصغير الذي فقدته بسبب السرطان. لقد كان ولدها الوحيد، وهو يعرف، تماماً مثل بقية العالم، أنها لم تنجب الأولاد منذ ذلك الحين.

"أنا أعيش في واشنطن"، قالت بهدوء، "معظم الوقت". لم تخبره بما إذا كان لديها أولاد أم لا، وهو لم يسألها لأنه عرف حقيقتها.

"هل تحبين واشنطن؟" سأل برفق وهزت هي كتفيها فيما شربت فنجان القهوة.

"ليس تماماً. كنت أكرهها حين كنت شابة. وأظن أنه إذا فكرت في الأمر، أكرهها أكثر الآن، وهي ليست المدينة التي لا أحبها، وإنما الأشخاص وما يفعلونه في حياتهم هناك. حياتهم وحياة الجميع. أكره السياسة وكل شيء تمثله". وفيما قالت ذلك، لاحظ كيف كانت تقصد ذلك بحماس. لكن مع وجود شقيق، ووالد، وزوج منخرطين تماماً في السياسة، ليس لديها الكثير من الأمل في الفرار الآن من هذه المخالب. ثم نظرت إليه. لم تعرفه بنفسها بعد، وكانت تودّ أن تفكر بأنه لا يملك أية فكرة عمن تكون، وإنما مجرد امرأة عادية بخف كبير وسروال جينز وقميص قطني. لكنها لاحظت في عينيه أنه يعرف سرها. قد لا يكون هذا سبب وجوده هنا، يتناول القهوة معها في الثانية فجراً، لكنه لم

يكن جاهلاً للموضوع أيضاً. "أظن أنه من غير المنطقي أن أفترض أنك لا تعرف اسمي... أليس كذلك؟" سألته بعينين واسعتين. أومأ لها برأسه وشعر بالأسف مجدداً حيالها. لكم كانت الهوية المجهولة أمراً لطيفاً بالنسبة إليها، لكن هذا ليس قدرها، ليس هذه المرة.

"أعرفك، ونعم، من غير المنطقي أن تفترضي أن الأشخاص لا يعرفون من تكونين. لكن يفترض ألا يغير ذلك أي شيء. لديك الحق في كره السياسة، أو أي شيء، أو الذهاب في نزهة إلى ساحة الكونكورد، أو قول أي شيء تريدينه إلى صديق. فكل شخص يحتاج إلى ذلك". أحس بسهولة كم تحتاج فعلاً إلى ذلك.

"شكراً لك"، قالت بهدوء. "قلت قبلاً إن الجميع يمرّ في ظروف صعبة أحياناً. هل عشت أنت ذلك؟"

"بين الحين والآخر"، قال بصدق. "نواجه جميعاً الورطات أحياناً. أنا رئيس شركة وأتمنى أحياناً لو أن أحداً لا يعرف ذلك حتى أستطيع القيام بكل شيء أريده". تماماً مثل الآن. فلبرهة وجيزة معها، أحب أن يكون حراً مجدداً وينسى أنه متزوج. لكنه عرف أنه لا يستطيع فعل ذلك أبداً بكاتي. لم يغشها في حياته، ولا ينوي البدء الآن، ولا حتى مع أوليفيا تاتشر. وهذه آخر فكرة تخطر في بالها أيضاً. "أظن أننا نتعب جميعاً من حياتنا أحياناً، ومن المسؤوليات المفروضة علينا. قد لا أكون متعباً ربما بقدرك أنت"، قال على نحو ودود، "لكني أظن اننا نتمنى جميعاً لو أننا نستطيع الهروب في ساحة الفاندوم أحياناً، والإختفاء لبرهة. مثل أغاتا كريستي".

"لطالما ذهلتني هذه القصة"، قالت أوليفيا مع ابتسامة خجولة، "ولطالما أردت فعل ذلك". تأثرت لأنه يعرف ذلك. لطالما سحرها اختفاء أغاتا كريستي ببساطة أحد الأيام. وجدوا سيارتها محطمة على جذع شجرة. واختفت الكاتبة الشهيرة. لم تعاود الظهور إلا بعد بضعة أيام. وحين فعلت، لم تقدم أي شرح عن غيابها. في ذلك الوقت، سبب ذلك اضطراباً كبيراً، وتحدثت عناوين كل

الصحف الإنكليزية عن اختفائها. لا بل كل صحف العالم.

"حسناً، لقد فعلت ذلك الآن، لبضعة ساعات في أية حال. لقد ابتعدت عن حياتك، تماماً مثلها هي". ابتسم لها ونظرت إليه بعينين مليئتين بالمكر فيما ابتسمت.

ضحكت أوليفيا للفكرة، وأحبتها لبرهة. "لكنها رحلت لأيام. أما أنا فلبضعة ساعات فقط". بدت خائبة تقريباً حين قالت ذلك.

"يحتمل أنهم أصيبوا بالجنون التام الآن وهم يبحثون عنك في كل مكان. ضحكت بقوة أكبر على ذلك، وبدت مثل ولد صغير حين فعلت ذلك. وبعد دقائق قليلة، طلب بيتر فطيرتين، التهماها بشهية. كانا يتضوران جوعاً.

"لا أظن أنهم يبحثون عني، هل تعرف ذلك؟ لست واثقة من إنه إذا اختفيت يوماً ما، سيلاحظ أحد ذلك إلا إذا كان لديهم سباق لحضوره في ذلك اليوم، او خطاباً انتخابياً في نادي للنساء. انا مفيدة جداً في مثل هذه الأوقات. وإلا، لست مهمة جداً. أنا مثل الشجرة الاصطناعية التي تضفي الديكور على المسرح. لا تحتاج للعناية، وإنما تنفضها قليلاً لتبدو جيدة حين تحتاج إلى ديكور نافذة صغيرة لتكملة كل الاستعراض".

"من المريع قول ذلك"، وبخها بيتر رغم أنه لم يكن واثقاً من أنه يستطيع مناقضتها بعد ما رآه. "هل هذا ما تشعرين به فعلاً في حياتك؟"

"نوعاً ما"، قالت، وهي تعلم أنها تتجرأ كثيراً. وإذا تبين أنه مراسل صحافي، أو حتى أسوأ، واحد من الصحافيين الفضوليين، ستكون مقطعة إرباً بحلول الصباح. لكنها لم تكن تهتم نوعاً ما. أرادت الوثوق في أحد بين الحين والآخر، وثمة شيء دافئ ومغرٍ على نحو مذهل عند بيتر. لم تتحدث أبداً إلى أي كان مثلما تحدثت إليه الآن، ولم تشأ التوقف، أو العودة إلى حياتها، او حتى العودة إلى فندق الريتز. أرادت البقاء معه هنا في مونتمارتر وإلى الأبد.

"لماذا تزوجته؟"، تجرأ على سؤالها بعدما وضعت شطيرتها مجدداً على الطاولة، ونظرت في الظلمة لبرهة ومن ثم مباشرة في عيني بيتر.

"كان مختلفاً آنذاك. لكن الأمور تغيرت بسرعة كبيرة. لقد حدث العديد من الأشياء المريعة لنا. بدا كل شيء صحيحاً في البداية. لقد أحببنا بعضنا البعض، وأقسم لي أنه لن يتورط أبداً في السياسة. لقد شاهدت ما سببته لنا مهنة أبي، ولأمي بالتحديد، وكان آندي سيصبح محامياً. كنا سنربي الأولاد والأحصنة والكلاب وسنعيش في مزرعة في فرجينيا. وقد فعلنا ذلك لمدة ستة أشهر تقريباً، ثم انتهى كل شيء. كان شقيقه هو الرجل السياسي في العائلة، وليس آندي. كان طوم سيصبح الرئيس في النهاية وكنت سأشعر بالسعادة عند زيارة البيت الأبيض في المناسبات. لكن طوم قتل بعد ستة أشهر من زواجنا، وانتقلت الحملة الانتخابية إلى آندي. لا أعرف ما الذي حدث لـــه، ما إذا شعر بالواجب بعد مقتل شقيقه، بضرورة فعل "شيء مهم لبلده". لقد سمعت هذه الجملة مراراً حتى خنقتني. وفي النهاية، أظن أنه أحب الأمر. إنه مَرَضٍ فعلاً، ذلك الشيء الذي يسمونه الطموح السياسي. توصلت إلى الفهم بأنه يتطلب وقتاً منك أكثر من أي ولد، ويبدو أنه يمنحك المتعة والإثارة أكثر من أي امرأة. إنه يلتهم أي شخص يقترب منه. لا يمكنك عشق السياسة والصمود. لا يمكنك ذلك. أنا أعرف هذا. وفي النهاية، يلتهم الطموح كل شيء موجود داخلك، كل الحب والطيبة والحشمة، ويلتهم الشخص الذي كنت عليه قبلاً، ويترك مكانه رجلاً سياسياً. ليس هذا نوعاً من التبادل. وفي أية حال، هذا ما حصل. توجه آندي إلى السياسة، ثم ليعوّض الأمر عليّ، ولأنه قال إننا سنفعل، أنجبنا طفلاً صغيراً. لكنه لم يكن يرغب فعلاً به. فقد ولد ألكس خلال إحدى جولاته الانتخابية، ولم يكن آندي موجوداً حينها. ولا حتى حين مات". قسا وجهها تقريباً حين قالت ذلك. "والواقع أن أموراً مثل هذه تغير كل شيء... طوم... ألكس... السياسة. معظم الأشخاص لا يصمدون أمام ذلك. ونحن لم نصمد. لا أعرف لماذا أظن أنه كان يجدر بنا أن نصمد. كان هذا قاسياً جداً، وأظن أنه حين مات طوم، أخذ معظم آندي معه. وقد حدث لي الشيء نفسه مع ألكس. تكون الحياة قاسية أحياناً، فلا يمكنك الفوز في بعض الأحيان، مهما حاولت

جاهداً أو كان معك من المال. لقد أنفقت الكثير في هذه اللعبة، وأنا أمارسها منذ وقت طويل. لقد تزوجنا قبل ستة أعوام، ولم يكن شيء منها سهلاً".

"لماذا أنت مستمرة؟". إنها محادثة مذهلة مع شخص غريب، وقد تفاجآ كلاهما بجرأة أسئلته وصراحة أجوبتها.

"ماذا تفعل؟ ماذا تقول؟ آسفة لأن شقيقك مات وانقلبت حياتك رأساً على عقب... آسفة لطفلك الوحيد.." بدأت تلفظ الكلمات، لكنها عجزت، فأخذ يدها وأمسك بها وهي لم تسحبها. في الليلة الفائتة، كانا غريبين في حوض السباحة، وفجأة، بعد يوم واحد، وفي مقهى في مونتمارتر، أصبحا صديقين تقريباً.

"هل يمكنك إنجاب ولد آخر؟"، سأل بيتر بحذر. فأنت لا تعرف أبداً ماذا يحصل للأشخاص، ما الذي يستطيعون فعله وما يعجزون عنه، لكنه أراد سؤالها وسماع جوابها.

لكنها هزت رأسها بحزن. "أستطيع لكني لن أفعل. ليس الآن. ليس مجدداً. لا أريد أبداً الاعتناء بهذا القدر مجدداً بكائن بشري. لكني لا أريد أيضاً طفلاً آخر في هذا العالم الذي أعيش فيه الآن. ليس معه. ليس في السياسة. فقد حطمت السياسة حياتي وحياة شقيقي حين كنا صغاراً... والأهم من ذلك أنها حطمت حياة أمي. أجادت اللعبة طوال أربعين عاماً، لكنها كرهت كل لحظة فيها. لم تقل ذلك أبداً، ولم تعترف بذلك أبداً أمام أي كان، لكن السياسة حطمت حياتها. فهي تعيش في رعب دائم من كيفية تفسير الأشخاص لكل حركة تقوم بها، وتخاف أن تفعل أو تفكر أو تقول أي شيء. وهكذا، أرادني آندي أن أكون، لكني لا أستطيع فعل ذلك". وفيما قالت لــه هذه الكلمات، بدت خائفة فعلاً، وعرف فوراً بما تفكر فيه.

"لن أؤذيك أوليفيا. لن أفعل ذلك أبداً. لن أبوح بذلك أبداً. لأي كان. إنه بيننا، وأغاتا كريستي". ابتسم ونظرت إليه بحذر، لتقرر ما إذا كان يجدر بها تصديقه أم لا. لكن الشيء الغريب هو أنها وثقت فيه. فبمجرد النظر إليه، أحست أنه لن يخذلها. "لم تحدث الليلة أبداً"، قال بحذر. "سوف نعود إلى الفندق

منفصلين، ولن يعرف أحد أين كنا، أو أننا مع بعضنا. لم ألتقِ بك أبداً".

"هذا مريح"، قالت لــــه وهي تبدو مرتاحة فعلاً وشاكرة جداً، وقد صدقته.

"أنت معتادة على الكتابة، أليس كذلك؟"، سألها وهو يتذكر شيئاً قرأه عنها قبل أعوام، متسائلاً ما إذا كانت لا تزال تكتب.

"نعم، وكذلك أمي. إنها في الواقع موهوبة جداً، وقد كتبت قصة عن واشنطن في بداية مهنة والدي. تم نشر هذه القصة، لكنه لم يسمح لها بنشر أي شيء آخر مجدداً، علماً أنه كان يجدر بها فعل ذلك. أنا لست موهوبة بقدرها، ولم أنشر أبداً أي شيء، لكني أردت تأليف كتاب منذ وقت طويل، عن الأشخاص والتسويات، وما يحدث حين تتنازل كثيراً أو غالباً".

"لماذا لا تؤلفيه؟"؟ كان صادقاً، لكنها اكتفت بالضحك وهزّت رأسها.

"ماذا تظن أنه سيحصل إذا فعلت؟ سوف تصاب الصحافة بالجنون. سيقول آندي إني عرّضت مهنته للخطر. لن يرى الكتاب النور أبداً. سيتم حرقه في مستودع في مكان ما، على أيدي رجاله". كانت مثل العصفور المشهور في القفص المطلي بالذهب، عاجزة عن القيام بأي شيء تريده، خشية أن يؤذي ذلك زوجها. إلا أنها ابتعدت عنه، واختفت للجلوس في مقهى في مونتمارتر وإفراغ قلبها أمام غريب. إنها تعيش حياة غريبة، ولقد استطاع أن يدرك كم أصبحت على وشك الفرار منها فيما راقبها. لقد كان واضحاً كرهها للسياسة والألم الذي سببته لها. "وماذا عنك؟" التفتت حينها بعينيها البنيتين العميقتين إلى بيتر، متسائلة عنه. فكل ما تعرفه هو أنه رجل متزوج، ولديه ثلاثة أولاد، وهو رجل أعمال ويعيش في غرينتش. لكنها عرفت أيضاً أنه مستمع جيد، وحين أمسك بيدها ونظر إليها، شعرت بأن شيئاً يتحرك في أعماقها، جزءاً ظنت أنه مات وشعرت فجأة بأنه يتنفس. "لماذا أنت في باريس، بيتر؟"

تردد لوقت طويل، وهو ما زال يمسك بيدها وينظر في عينيها. لم يخبر أي أحد، لكنها وثقت فيه وعليه إخبارها الآن. عرف أنه يجدر به إخبار شخص ما.

"أنا هنا لتمثيل الشركة الصيدلانية التي أديرها. إننا نعمل على منتج بالغ التعقيد منذ أربعة أعوام، وهذا ليس بالوقت الطويل في هذا المجال، لكنه بدا وقتاً طويلاً بالنسبة إلينا، وأنفقنا عليه مقداراً هائلاً من المال. إنه منتج يمكن أن يحدث ثورة في العلاج الكيميائي، وهو مهم بالنسبة إليّ. إنه يبدو مثل إسهامي الوحيد في العالم، مثل شيء مهم يعوّض عن كل الأمور الأنانية والتافهة التي قمت بها. إنه يعني كل شيء بالنسبة إليّ، وقد نجح في كل الاختبارات التي أجريناها في كل الدول التي نعمل فيها. يتم إنجاز آخر الاختبارات هنا، وأنا جئت لتسوية الأمور. نحن نطلب من دائرة الأغذية والعقاقير إذناً للقيام بتجارب بشرية مبكّرة، استناداً إلى اختباراتنا. ولذلك، تجري مختبراتنا هنا الخطوات الأخيرة، وحتى هذه اللحظة، تبين أن المنتج خالٍ من العيوب. لكن الاختبارات هنا أظهرت شيئاً مختلفاً جداً. لم تنته الاختبارات بعد، لكن حين وصلت إلى هنا البارحة، قال لي رئيس مختبراتنا إنه يمكن أن تكون مشاكل خطيرة في العقار. ولقول الأمور بصراحة، يمكن أن يكون قاتلاً بدل أن يكون هبة من السماء للمساعدة في إنقاذ الجنس البشري. ولن أعرف القصة الكاملة قبل نهاية الأسبوع، لكنها قد تكون نهاية حلم، أو بداية سنوات طويلة من الاختبار. وإذا كانت هذه هي الحال، عليّ العودة إلى الوطن، وإخبار رئيس مجلس إدارة شركتي، الذي صودف إنه حماي، أن منتجنا سيكون مهملاً على الرفوف أو خارج النافذة. لن يكون خبراً سعيداً".

بدت متأثرة فيما نظرت إليه وأومأت برأسها. "لا أظن ذلك. هل أخبرته بما قالوه البارحة؟" كانت واثقة من أنه فعل، وكان هذا أشبه بسؤال بلاغي، لكنها ذهلت حين هزّ رأسه وبدا مذنباً قليلاً.

"لا أريد أن أقول أي شيء إلى أن أحصل على كل المعلومات"، قال وهو يتفادى المسألة. نظرت عيناها بعمق في عينيه فيما راقبته.

"لا شك في أنه سيكون أسبوعاً مهماً بالنسبة إليك، وأنت تنتظر الجواب"، قالت على نحو ودود وبدأت تلاحظ من نظرة عينيه كم أن الأمر مهم بالنسبة

إليه. "ماذا قالت زوجتك؟" قالت، وهي تفترض أن الأشخاص الآخرين يتمتعون بعلاقة تفتقد هي إليها. لم يكن لديها فكرة عن مشكلته المتمثلة في عدم التمكن من قول أي شيء لكاتي من دون أن تخبر والدها.

لكنها ذهلت مجدداً، وهذه المرة أكثر. "لم أخبرها"، قال بنعومة، ونظرت إليه أوليفيا بدهشة.

"لم تفعل؟ لماذا؟" لم تستطع أن تتخيل السبب.

"إنها قصة طويلة". ابتسم بخجل لأوليفيا وتساءلت هي. ثمة شيء في عينيه يهمس لها بالوحدة والخيبة. لكنه كان رقيقاً جداً لدرجة أنها تساءلت ما إذا كان هو نفسه مدركاً لــه. "إنها مقربة جداً من والدها"، قال ببطء وهو يفكر في ما يقوله. "توفيت أمها حين كانت صغيرة، ونشأت لوحدها مع والدها. وما من شيء على الإطلاق إلا وتبوح لـــه به". نظر مجدداً إلى أوليفيا وأدرك أنها فهمته.

"حتى الأشياء التي تقولها لها بوصفها سراً؟". بدت أوليفيا غاضبة من الحماقة.

"حتى هذه"، قال مبتسماً. "لا تخفي كايت الأسرار عن والدها". تألم قلبه فيما قال ذلك. لم يكن واثقاً لماذا، لكن الأمر أزعجه أكثر مما فعل طوال أعوام فيما كان يشرحه.

"لا بد أن هذا مزعج بالنسبة إليك"، قالت أوليفيا وهي تبحث عن عينيه، وتحاول أن ترى ما إذا كان حزيناً، أو حتى يعرف ذلك. بدا وكأنه يوحي بأن وفاء كاتي لوالدها، حتى لهذه الدرجة، ليس فقط مقبولاً، وإنما أيضاً طبيعياً. لكن عينيه قالتا شيئاً آخر. تساءلت ما إذا كان هذا الذي قصده حين قال إن الظروف تعترض الجميع أحياناً. بالنسبة إلى أوليفيا، التي تعتبر الخصوصية والتكتم والوفاء كل شيء تقريباً، كانت ظروف بيتر لتجعلها تلتهب.

"هكذا هي الأمور"، قال ببساطة، "لقد قبلت بالأمر منذ وقت طويل. لا أظن أنهما يقصدان أي أذى بذلك. لكنه يعني أني أعجز أحياناً عن إخبارها

ببعض الأمور. إنهما متعلقان جداً ببعضهما البعض". قررت أوليفيا تغيير الموضوع لصالحه هو. فهي لا تنوي أبداً نزع الطبقة الواقية، أو تسبيب الأذى لـــه من خلال تبيان عدم صحة سلوك زوجته. ففي النهاية، بالكاد تعرفه أوليفيا وليس لديها الحق في ذلك.

"لا بد أنك شعرت بالوحدة اليوم، وأنت قلق بشأن نتيجة هذه الاختبارات، ومن دون وجود أحد للتكلم إليه". نظرت إليه بطريقة ودودة. لقد أصابت تماماً جوهر الحقيقة بالكلمات التي قالتها. تبادلا ابتسامة دافئة علامة الفهم. إنهما يحملان كلاهما أعباء كبيرة على كتفيهما.

"حاولت إبقاء نفسي مشغولاً لأني لا أستطيع إخبار أي كان"، قال بهدوء. "ذهبت إلى غابة بولونيا، وشاهدت الأولاد يلعبون. ثم قمت بنزهة على ضفاف السين، وذهبت إلى اللوفر، وعدت في النهاية إلى الفندق وعملت إلى أن صدر الإنذار". ابتسم. "وكان اليوم جيداً بعد ذلك". سوف تشرق شمس يوم جديد عما قريب. فقد أصبحت الساعة الخامسة فجراً تقريباً، وعرف كلاهما أنه يجدر بهما العودة إلى الفندق قبل مرور المزيد من الوقت. استمرا في التحدث لنصف ساعة إضافية، وفي الخامسة والنصف، غادرا المقهى على مضض وذهبا للعثور على تاكسي. مشيا ببطء في شوارع مونتمارتر، وهي ترتدي قميصها القطني وهو قميصه المثني، يداً بيد، مثل ولدين صغيرين في أول موعد لهما، وبديا مرتاحين جداً مع بعضهما البعض.

"غريبة هي الحياة أحياناً، أليس كذلك؟"، سألت وهي تنظر إليه بسعادة، وتفكر في أغاتا كريستي، وتتساءل ما إذا كانت فعلت شيئاً من هذا، أو حتى شيئاً أكثر جرأة، أثناء اختفائها. فحين عادت، لم تشرح الكاتبة المشهورة أي شيء. "تظن أنك وحيد، ثم يظهر شخص من الضباب، على نحو غير متوقع أبداً، ولا تبقى لوحدك"، قالت أوليفيا بهدوء. فهي لم تحلم أبداً أبداً بأنها ستلتقي بشخص مثله. لكنه أشبع حاجة عميقة لديها. فهي تتوق إلى الصداقة.

"من المفيد التذكر حين تصبح الأمور صعبة، أليس كذلك؟ لا تعرفين أبداً

ما الذي ينتظرك عند الزاوية"، قال بيتر وهو يبتسم لها.

"في حالتي، أخشى أن ما ينتظرني عند الزاوية هو الانتخابات الرئاسية. أو حتى أسوأ، رصاصة مجنون آخر". إنها فكرة بشعة تعيد الذكريات المقيتة لاغتيال شقيق زوجها. كان واضحاً كم أحبت آندي تاتشر في ما مضى، وما زالت تشعر بالحزن لأن الحياة كانت قاسية جداً عليهما وسببت لهما الكثير من المشاكل المريعة. وقد شعر بيتر بالأسف لكليهما، وإنما خصوصاً لأوليفيا. فهو لم يشاهد أبداً شخصاً يتجاهل إنساناً آخر مثلما تجاهل آندي تاتشر زوجته، كلما رآهما بيتر. كانت هناك لامبالاة كاملة تجاهها، كما لو أنها غير موجودة البتة، أو حتى لم يرها أبداً. واللافت أن فقدان الاهتمام بها امتد أيضاً إلى مستشاريه. قد تكون محقة ربما، فهي بالنسبة إليهم مجرد زينة. "ماذا عنك؟"، سألت بيتر باهتمام متجدد فيه. "هل سيكون سيئاً جداً إذا تبين أن منتجك كارثة عند ظهور نتائج الاختبار؟ ماذا سيفعلون بك في نيويورك؟"

"يعلقوني بقدميّ ويجلدوني"، قال مع ابتسامة حزينة، ثم بدا جاداً من جديد. "لن يكون الأمر سهلاً. سوف يتقاعد حماي هذه السنة، نتيجة ثقته بي جزئياً، لكني لا أظن أنه سيفعل ذلك إذا خسرنا هذا المنتج. أظن أن الأمر سيكون قاسياً جداً، ولكن عليّ تحمله". لكن الأمر لم يقتصر على ذلك بالنسبة إليه. فإنزال فيكوتيك إلى الأسواق كان طريقة لإنقاذ أشخاص ماتوا مثل أمه وشقيقته قبل أعوام. وهذا يعني الكثير بالنسبة إلى بيتر. أكثر من مجرّد ربح أو ردة فعل فرانك دونوفان. وكيف قد يخسرون كل المنتج. كاد التفكير في ذلك أن يقتله.

"أتمنى لو أملك شجاعتك"، قالت بحزن وبدت النظرة في عينيها شبيهة بتلك التي لاحظها حين التقاها للمرة الأولى، نظرة الحزن الذي لا يعرف الحدود.

"لا يمكنك الهروب من الأشياء، أوليفيا". وهي تعرف ذلك أصلاً. فقد مات ابنها البالغ من العمر سنتين بين ذراعيها. وهل من شجاعة أكثر من ذلك في الحياة؟ لا يحتاج إلى وعظها عن الشجاعة.

"ماذا لو اعتمد صمودك على الهروب؟"، سألته مع نظرة جادة، فيما وضع هو ذراعاً حول كتفيها.

"عليك أن تكوني واثقة جداً قبل القيام بذلك"، قال وهو ينظر إليها بجدية كبيرة، متمنياً لو أنه يستطيع مساعدتها. إنها امرأة تحتاج بشدة إلى صديق، وهو يحب أن يكون ذلك الشخص، لأكثر من مجرد ساعات قليلة. لكنه عرف أيضاً أنه حين يتركها في الفندق، لن يتمكن أبداً من الاتصال بها أو التحدث معها، أو حتى مشاهدتها.

"أظن انني أصبحت واثقة تماماً"، قالت بنعومة. "لكني لم أصل إلى تلك الدرجة بعد". كان تصريحاً صادقاً على نحو مؤلم. فعلى رغم حزنها الشديد، ما زالت بحاجة إلى اتخاذ القرار.

"وإلى أين ستهربين؟"، سألها فيما عثرا أخيراً على سيارة أجرة، وطلب من السائق الذهاب إلى شارع كاستيليون. لم يشأ إيصالها مباشرة إلى الفندق، ولا يعرفان ما إذا تمكن الجميع من العودة إلى الداخل، أو ما إذا كانوا لا يزالون محتشدين في الساحة، في الانتظار.

لكن سؤال بيتر الأخير كان سهلاً بالنسبة إلى أوليفيا. لقد ذهبت إلى هناك قبلاً، وعرفت منذ ذلك الحين أنه سيكون ملاذها الآمن. "ثمة مكان اعتدت على الذهاب إليه قبل وقت طويل، حين جئت إلى هنا للدراسة في الجامعة لسنة واحدة. إنها قرية صغيرة لصيد السمك في جنوب فرنسا. وجدتها حين جئت إلى هنا للمرة الأولى، واعتدت على الذهاب إليها في عطلات نهاية الأسبوع. ليست قرية أنيقة، أو على الموضة، وإنما بسيطة جداً وهي المكان الوحيد الذي أستطيع دوماً التفكير في الذهاب إليه حين أحتاج إلى العثور على نفسي مجدداً. ذهبت إلى هناك لمدة أسبوع بعد وفاة ألكس، لكني خشيت أن تعثر عليّ الصحافة في النهاية، ولذلك غادرت قبل أن يفعلوا. كنت أكره خسارتها. أحب العودة إلى هناك في أحد الأيام، والمكوث لفترة، أو حتى ربما تأليف الكتاب الذي أفكر فيه دوماً في عقلي، لمعرفة ما إذا كنت أستطيع ذلك. إنه مكان

سحري، بيتر. أتمنى لو أستطيع أن أريك إياه".

"ستفعلين ذلك ربما يوماً ما"، قال بعفوية، وشدها أكثر إلى قربه، لكنها كانت حركة دعم وطمأنينة. لم يحاول أبداً مغازلتها أو تقبيلها. لكان أحب ذلك أكثر من أي شيء آخر في العالم، لكن احتراماً لأوليفيا، ولزوجته، لم يفعل ذلك أبداً. بطريقة ما، كانت أوليفيا بمثابة وهم بالنسبة إليه، ومجرد التحدث إليها طوال الليل كان الهدية التي تمناها على الدوام. كان الأمر أشبه بشيء من فيلم سينمائي. "ما اسم هذا المكان في أية حال؟"، سألها، فابتسمت لـــه وأعطته الاسم مثل هدية. كان ذلك مثل كلمة سرّ بينهما.

"لا فافيير. إنه في جنوب فرنسا، قرب مكان اسمه كاب بينات. يجدر بك الذهاب إلى هناك إذا احتجت يوماً إلى ذلك. هذا أفضل شيء أستطيع أن أعطيه لأي كان"، همست فيما ألقت برأسها على كتفه. ولبقية الرحلة، أمسك بها، وهو يشعر من دون كلمات أن هذا ما تحتاج إليه. أراد أن يخبرها أنه سيكون صديقها على الدوام، وأنه سيكون موجوداً لمساعدتها إذا احتاجت إليه، وأنه لا يجدر بها التردد أبداً للاتصال به، لكنه لم يكن واثقاً تماماً من كيفية قول كل ذلك، ولذلك اكتفى بالإمساك بها. وللحظة مجنونة، أراد أن يقول لها إنه أحبها. تساءل كم مضى من الوقت على قول أحد هذا الكلام لها، كم مضى من الوقت منذ أن تحدث شخص إليها كما لو أنهم يهتمون بها، ويكترثون أصلاً لما تشعر به. "أنت رجل محظوظ"، قالت لـــه بنعومة حين توقف التاكسي في شارع كاستيليون، أمام شارع واحد من ساحة الفاندوم، تماماً مثلما قالا للسائق.

"ما الذي يجعلك تقولين إني محظوظ؟" سأل بيتر بفضول. فالشيء الوحيد الذي بدا محظوظاً بالنسبة إليه عندئذ كان التواجد معها طوال الليل، وإفراغ روحهما لبعضهما البعض وتشارك الأسرار.

"لأنك راضٍ بحياتك، وتؤمن في ما أنجزته، وما زلت تؤمن في حشمة الجنس البشري. أتمنى لو أني ما زلت كذلك، لكني لم أعد هكذا منذ وقت طويل". لكنها لم تكن محظوظة بهذا القدر. فالحياة كانت لطيفة معه في معظم

الأوقات، وقاسية جداً على أوليفيا تاتشر. لم تخبره بأنها تشك في أن زواجه أقل كمالاً مما يقول لنفسه، لأنها ظنت أنه لا يعرف ذلك. بطريقة ما، كان محظوظاً لأنه ما زال أعمى، لكنه كان صادقاً وحنوناً وقد عمل بكدّ وبرضى بإغلاق عينيه على لامبالاة زوجته حياله، وانهماكها في حياتها الخاصة، والتدخل المهين لحميه في ما يفترض أن يكون حياتهما. كان محظوظاً برأي أوليفيا لأنه لم يلاحظ الفراغ الموجود حوله. لقد شعر به ربما، لكنه لم يلاحظه فعلياً. وكان مبدئياً حنوناً ولطيفاً ومحتشماً. لقد شعرت بهذا المقدار من الدفء تلك الليلة، لدرجة انها لم تعد ترغب الان، مباشرة قبل بزوغ الفجر، في أن يرحل.

"أكره العودة"، همست في قميصه الأبيض، وهي متكئة على كتفه في المقعد الخلفي من السيارة. فبعد كل الحديث، أصبحا منهكين، وبدأت هي تتلاشى الآن.

"أكره أن أتركك"، قال بصدق، وهو يحاول إجبار نفسه على تذكر كايت مجدداً، لكن هذه هي المرأة التي أراد التواجد معها، وليس كايت. لم يتحدث أبداً إلى أي كان مثلما تحدث إلى أوليفيا تلك الليلة، وكانت هي متفهمة جداً. كانت وحيدة جداً ومتألمة جداً ومحرومة جداً. كيف يستطيع تركها؟ من الصعب التذكر الآن لماذا يجدر به فعل ذلك.

"أعرف أنه يفترض بي العودة، لكني لا أستطيع تذكر لماذا". ابتسمت بنعاس، وهي تفكر في المتعة التي كان سيحصل عليها مصورو المشاهير (البابارازي) لو رأوهما معاً خلال الساعات الست الماضية. كان يصعب التصديق أنهما ابتعدا عن الفندق طوال هذا الوقت. لقد تحدثا لساعات في مونتمارتر، ومن المخيف الآن العودة إلى حيث ينتميان، لكنهما عرفا أنه يجدر بهما فعل ذلك. أدرك بيتر فجأة أنه لم يتحدث أبداً إلى كايت مثلما تحدث إلى أوليفيا تلك الليلة. والأسوأ من ذلك أنه بدأ يقع في غرامها، رغم أنه لم يقبلها أبداً.

"علينا العودة"، قال بحزن. "لا بد أنهم أصيبوا بالجنون نتيجة القلق عليك الآن. وأنا عليّ الانتظار لسماع نتيجة فيكوتيك". وإلا لكان أحب الهروب بعيداً معها.

"ثم ماذا؟". كانت تشير إلى فيكوتيك. "تبتعد عوالمنا عن بعضها، على نحو منفصل، ونستمر في المضي قدماً. لماذا يفترض أن نكون الأشخاص الشجعان؟". بدت مثل ولد مشاكس، وابتسم هو فيما نظر إلى تعابيرها.

"أظن لأن هذا هو قدرنا. في مكان ما، ووقت ما، قال أحدهم: "هاي أنت قف في هذا الصف، أنت واحد من الشجعان". لكن في الواقع، أوليفيا، أنت أقوى كثيراً مني". لقد أحس بذلك تلك الليلة، واحترمها كثيراً على ذلك.

"لا، لست كذلك"، قالت ببساطة. "لم أتطوع أبداً لكل ذلك. لم يكن هناك خيارات متعددة، وأنا اخترت ذلك. لقد حدث ذلك. هذه ليست شجاعة. إنه فقط القدر". نظرت إليه بصمت حينها، متمنية لو يكون لها، ومدركة أنه لن يكون أبداً كذلك. "شكراً على لحاقك بي الليلة... وعلى فنجان القهوة". ابتسمت، ولمس شفتيها بأصابعه.

"في أي وقت، أوليفيا... تذكري ذلك. في أي وقت. كلما أردت شرب فنجان قهوة، سأكون حاضراً... نيويورك... واشنطن... باريس...". كانت هذه طريقته في عرض صداقته عليها. ولسوء الحظ لهما معاً، كان هذا كل ما يستطيع تقديمه.

"حظاً موفقاً مع فيكوتيك"، قالت حين خرجا من السيارة، ونظرت إليه. "إذا كان من الملائم لك أن تساعد كل أولئك الناس، بيتر، سوف يحدث. أنا أؤمن في ذلك".

"وأنا أيضاً"، قال بحزن، وقد بدأ يشتاق إليها. "إعتني بنفسك أوليفيا". أراد أن يقول لها الكثير من الأشياء، وأن يتمنى لها الخير، وأن يتشبث بها، وأن يهرب معها إلى قرية الصيد قرب كاب بينات. لماذا تكون الحياة غير عادلة أحياناً؟ لماذا لا تكون أكثر كرماً؟ لماذا لا يستطيعان الاختفاء مثل أغاتا كريستي؟

وقفا عند الزاوية لما بدا وقتاً طويلاً، وبعد أن ضغط على يدها للمرة الأخيرة، ابتعدت أخيراً عن الزاوية واجتازت الساحة بسرعة، وكانت مثل

امرأة صغيرة في قميصها القطني الأبيض وسروال الجينز الأزرق. وفيما راقبها وهي ترحل، تساءل ما إذا كان سيراها مجدداً، حتى في الفندق. وحين تبعها، كانت تقف عند باب الريتز ولوحت لــه للمرة الأخيرة. وفيما نظر إليها، كره نفسه لأنه لم يقبلها.

الفصل الرابع

تعجب بيتر كثيراً حين اكتشف أنه نام حتى ظهر ذلك اليوم. كان مرهقاً بعد العودة إلى الغرفة في السادسة صباحاً. وحين استيقظ، لم يستطع التفكير سوى في أوليفيا. شعر بالهدوء والحزن من دونها، وحين نظر خارج النافذة، كانت تمطر. جلس يفكر في أوليفيا لوقت طويل، وتناول الكرواسان وشرب القهوة، واستمر في التفكير بما حدث حين عادت إلى غرفتها باكراً هذا الصباح. تساءل ما إذا كان ثار غضب زوجها، أو أنه شعر بالخوف، أو الهم الكبير، أو فقط القلق. لم يستطع تخيل كاتي وهي تقوم بشيء من هذا. لكن قبل يومين، لم يكن يتخيل نفسه أنه قادر على فعل ذلك أيضاً.

تمنى لو أنه استطاع الاستمرار في التحدث إلى أوليفيا طوال الليل. كانت صادقة ومنفتحة معه. وحين أنهى قهوته، فكر في بعض الأشياء التي قالتها. فالنظر إلى زواجه عبر عينيها منحه فجأة منظوراً مختلفاً، وشعر بعدم الارتياح تجاه علاقة كاتي مع والدها. لقد كانا قريبين جداً لدرجة شعر بأنه غريب عنهما، وأزعجه عدم تمكنه من إخبار كاتي عن سوكارد وعن سبب تأخره في باريس. فحتى لو لم يشأ إخبار فرانك بذلك، كان يود لو يخبر زوجته، اكنه عرف تماماً أنه لا يستطيع.

من الغريب التفكير أن الأمور كانت أسهل الليلة الفائتة، حين تحدث عن الأمر أمام شخص غريب. كانت أوليفيا ودودة جداً ولطيفة جداً معه، وفهمت بسهولة كم أن الانتظار مؤلم بالنسبة إليه. تمنى لو أنه يستطيع التكلم إليها مجدداً، وفيما استحم وارتدى ثيابه، وجد أنه كل ما استطاع التفكير به كان هي... عينيها... وجهها... تلك النظرة الحزينة حين ابتعدت، والألم الذي شعر به حين راقبها. كان كل ذلك وهمياً جداً. وشعر تقريباً بالارتياح حين رن

الهاتف بعد ساعة، وكانت كاتي. فجأة، احتاج إلى التودد إليها، وجعلها بالقرب منه، لطمأنة نفسه بأنها تحبه فعلاً.

"مرحبا أنت"، قالت لـــه. كانت الساعة السابعة صباحاً عندها، وبدت مشرقة ويقظة وحتى مستعجلة. "كيف هي باريس؟"

تردد لوهلة، غير واثق مما يستطيع قوله لها. "جيدة. أنا مشتاق إليك"، قال لها وشعر فجأة أن انتظار الاتصال من سوكارد بات مثل وزن ثقيل عليه، فيما كان في الليلة الفائتة مجرد وهم. أم أن أوليفيا هي التي أصبحت الحقيقة الآن، وكاتي الوهم؟ ما زال متعباً من الليلة الفائتة، وبدا كل ذلك مربكاً جداً.

"متى ستعود إلى المنزل؟"، سألته وهي تشرب فنجان قهوة وتنهي فطورها في غرينتش. كانت تريد اللحاق بقطار الساعة الثامنة إلى نيويورك وكانت مستعجلة.ض

"سأعود إلى المنزل بعد بضعة أيام، آمل ذلك"، بنهاية الأسبوع حتماً. واجه سوكارد بعض التأخيرات في اختباراته، وقررت الانتظار هنا. رأيت أن هذا قد يدفعه إلى الانتهاء بسرعة أكبر قليلاً".

"هل من شيء مهم يسبب التأخير، أم مجرد أمور تقنية؟"، سألت وبدا لـــه أنه شاهد فرانك وهو ينتظرها لسماع الجواب. كان واثقاً من أن فرانك أخبرها بكل شيء قاله بيتر البارحة. وكما هي الحال دوماً، عرف أنه يجدر به الحذر لما يقوله لها. فسيصل كل شيء مباشرة إلى والدها.

"بعض الأشياء الصغيرة فقط. أنت تعرفين كم سوكارد دقيق"، قال بيتر بلامبالاة.

"إنه شديد الانتقاد، برأيي. سوف يعثر على مشكلة حتى لو لم يكن هناك واحدة. قال أبي إن الأمور كانت رائعة في جنيف". بدت فخورة به، وإنما باردة قليلاً. على مر السنوات، شهدت علاقتهما بعض التقلبات الغريبة. فقد أصبحت حنونة أقل مما اعتادت أن تكون معه، وأقل تعبيراً عن عواطفها إلا إذا كانت في مزاج جيد ولوحدها معه. وبدت لـــه غير ودودة جداً هذا الصباح.

"لا شك في أن الأمور كانت رائعة في جنيف". ابتسم، وهو يحاول تصورها، لكنه لاحظ فجأة أن كل ما استطاع رؤيته هو وجه أوليفيا، جالسة في مطبخ غرينتش. كانت هذه هلوسة غريبة، الأمر الذي أثار قلقه. فكاتي هي حياته وليس أوليفيا تاتشر. فتح عينيه أكثر وحدق في المطر المتساقط خلف النافذة، وهو يحاول التركيز على ما يراه. "كيف كان العشاء مع والدك البارحة؟" حاول تغيير الموضوع. لم يشأ مناقشة فيكوتيك معها. لديهما الكثير للتحدث بشأنه في عطلة نهاية الأسبوع.

"رائع. أعددنا الكثير من المشاريع للكروم. سوف يحاول أبي أن يبقى لمدة شهرين هذه السنة". بدت مسرورة، وأجبر بيتر نفسه على عدم التفكير في ما قالته لـــه أوليفيا بشأن التنازل عن كل شيء. هذه هي حياته منذ عشرين عاماً تقريباً، وما زال مجبراً على الاستمرار فيها.

"أعرف أنه سيمكث هناك طوال شهرين. سوف تتركوني وحيداً في المدينة". ابتسم للفكرة، ثم فكر في أولاده. "كيف هم الأولاد؟" كان واضحاً من نبرته كم يحبهم.

"مشغولون. لا أراهم أبداً. أنهى بات المدرسة، وعاد بول ومايك إلى المنزل يوم غادرت، ويبدو هذا المكان مثل حديقة الحيوانات مجدداً. امضي كل وقتي في توضيب الجوارب وسراويل الجينز، وأحاول مطابقة حجم ثلاثة عشر زوج من الأحذية الرياضية". عرف كلاهما أنهما محظوظان لأن أولادهم جميعاً طيبون. ولطالما أحب بيتر التواجد معهم. لذا، فإن سماع أخبارهم من كايت جعله فجأة يشتاق إليهم.

"ماذا ستفعلين اليوم؟" سألها، وهو يبدو حزيناً. أمامه يوم آخر لانتظار سماع الجواب من سوكارد، من دون الكثير لفعله سوى الجلوس في غرفته والعمل على الكمبيوتر.

"لدي اجتماع في المدينة. وأظن أني سأتناول الغداء مع أبي، وأريد شراء بعض الأشياء للكروم. فقد أتلف الأولاد شراشفنا في العام الماضي، ويمكننا

استعمال بعض المناشف الجديدة والأشياء الأخرى أيضاً". بدت مشغولة ومذهولة، ولم يخف على بيتر انها شاهدت والدها مجدداً.

"ظننت أنك تناولت العشاء مع فرانك البارحة"، قال بيتر وقطّب جهه. أصبح منظوره فجأة مختلفاً قليلاً.

"فعلت. لكني قلت لــــه إني سأذهب إلى المدينة اليوم، ودعاني لتناول غداء سريع في مكتبه". ما الذي يحتمل أن تقوله لــــه؟ جعل ذلك بيتر يتساءل فيما أصغى إليها. "ماذا عنك؟". عكست الآية عليه، وحدق هو في المطر المنهمر على أسطح المنازل في باريس. أحب باريس حتى في المطر. أحب كل شيء فيها.

"أظن أني سأنجز بعض العمل في غرفتي اليوم. لدي القليل من الأعمال التي أحضرتها معي على جهاز الكمبيوتر".

"لا يبدو ذلك ممتعاً كثيراً. لماذا لا تتناول الغداء على الأقل مع سوكارد؟" أراد منه شيئاً أكثر من العشاء، ولم يشأ صرف انتباهه عما يفترض أن ينجزه.

"أظن أنه مشغول قليلاً"، قال بيتر بغموض.

"أنا أيضاً. من الأفضل أن أذهب وإلا فاتني القطار. هل من رسالة إلى أبي؟". هز بيتر رأسه، وفكر في أنه لو كان لديه رسالة، لاتصل به بنفسه أو أرسل إليه فاكساً. فهو لا يرسل الرسائل إلى فرانك عبر كاتي.

"استمتعي. سأراك بعد أيام قليلة"، قال بيتر وما من شيء في صوته كشف لها أنه أمضى الليل وهو يبوح بأسراره لامرأة أخرى.

"لا تعمل كثيراً"، قالت، ثم أقفلت السماعة. وجلس هناك لوقت طويل يفكر فيها. لم تكن المحادثة مثالية، وإنما نموذجية بها. إنها مهتمة في ما يقوم به، ومكترثة جداً لكل ما لــــه علاقة بالعمل. لكن في أحيان أخرى، لا تملك أي وقت لــــه على الإطلاق، ولم يعودا يتحدثان عن أفكارهما الباطنية أو يتشاركان مشاعرهما. وتساءل أحياناً ما إذا كان يخيفها التواجد بالقرب من أي شخص،

سوى والدها. ففقدان والدتها حين كانت صغيرة ولّد لديها الخوف من الخسارة والتخلي، وكانت تخاف التعلق كثيراً بأي شخص سوى فرانك. بالنسبة إلى كاتي، أثبت والدها نفسه منذ وقت طويل، ولطالما كان حاضراً. كما أن بيتر حاضر من أجلها أيضاً. لكن والدها يبقى أولوية بالنسبة إليها. وهو توقع الكثير من كاتي. كان متطلباً جداً لوقتها، واهتمامها، وانتباهها. فهو أعطاها الكثير أيضاً، وتوقع الحصول مقابل كرم الهدايا على مقدار مساوٍ من الوقت والحنان. لكن كاتي احتاجت إلى المزيد في حياتها أيضاً. فقد احتاجت إلى زوجها وأولادها. ورغم ذلك، شك بيتر في أنها لم تحب أحداً مثلما أحبت فرانك، ولا حتى هو أو أولاده، رغم أنها لا تعترف بذلك أبداً. وكلما ظنت أن أحداً يحارب فرانك، كانت تحارب مثل الأسد لحمايته. هذه هي ردة الفعل التي يفترض أن تكون لديها تجاه عائلتها، وليس والدها. هذه هي الميزة غير الطبيعية في العلاقة، والتي أزعجت بيتر على الدوام. إنها متعلقة بوالدها أكثر من أي شيء آخر.

عمل بيتر على كمبيوتره طوال فترة بعد الظهر. وبحلول الساعة الرابعة، قرر أخيراً الاتصال بسوكارد، ثم شعر بالحماقة بعد أن فعل ذلك. ففي هذه المرة، أجاب بول لويس على الاتصال من المختبر لكنه كان جافاً معه، وقال لبيتر إنه لم يحصل بعد على أخبار جديدة. وقد وعده قبلاً بأن يتصل به لحظة تنتهي الاختبارات النهائية.

"أعرف، أنا آسف... ظننت فقط.." شعر بيتر بالحماقة على عدم صبره، لكن فيكوتيك يعني الكثير بالنسبة إليه، أكثر مما يعني لأي شخص آخر، وكان يتذكر هذا على الدوام. هذا، وأوليفيا تاتشر. استحال عليه العمل أخيراً، وفي الساعة الخامسة، قرر الذهاب إلى الحوض ليرى ما إذا كان يستطيع التخلص من بعض التوتر من خلال السباحة.

بحث عن أوليفيا في المصعد، وفي النادي الرياضي. بحث عنها في كل مكان، لكنه لم يرها. تساءل أين تكون اليوم، وما رأيها في ليلة البارحة. ما إذا كانت فصلاً إضافياً نادراً في حياتها أو نوعاً من نقطة تحول. وجد أنه بات

مهووساً لكل شيء قالاه، بمظهرها، بالمعنى الأعمق لكل شيء قالته لــه. استمر في رؤية تلك العينين البنيتين الكبيرتين، وبراءة وجهها، وجدية تعابيرها، والجسم النحيل في القميص القطني الأبيض أثناء ابتعادها. حتى السباحة لم تخرجها من عقله، ولم يشعر بالكثير من التحسن حين صعد إلى غرفته وأدار جهاز التلفزيون. كان يحتاج إلى شيء ما، إلى أي شيء، لصرف انتباهه عن الأصوات التي في رأسه، وصورة المرأة التي بالكاد يعرفها، والقلق من سقوط فيكوتيك في اختبارات سوكارد.

كان العالم في حالته الاعتيادية حين شاهد السي أن أن. كانت هناك مشكلة في الشرق الأوسط، وهزة أرضية بسيطة في اليابان، وقنبلة وهمية في مبنى الإمباير ستايت في نيويورك دفعت بآلاف الناس المذعورين إلى الخروج للشارع. لكن ذلك ذكره بالليلة الفائتة، حين شاهد أوليفيا تخرج من ساحة الفاندوم وتبعها. وفيما فكر في ذلك، تساءل فجأة ما إذا كان يفقد صوابه. فقد لفظ مذيع السي أن أن اسمها للتو، وظهرت صورة غير واضحة لظهرها في القميص القطني الأبيض، فيما هي تركض مسرعة، وصورة أكثر ارتجاجاً لرجل على مسافة بعيدة منها. لكن كل ما يمكن رؤيته هو الجهة الخلفية لرأسه، من دون أية قسمات أخرى.

"اختفت زوجة السيناتور تاتشر ليلة البارحة، خلال تهديد بوجود قنبلة في فندق الريتز في باريس. كانت تغادر ساحة الفاندوم بوتيرة مسرعة، وتم تصوير هذا الرجل وهو يتبعها. لكن لم تتوافر أية معلومات إضافية عنه، وما إذا كان يتبعها عن خبث، أو وفق خطة معينة، أو بمجرد الصدفة. لم يكن واحداً من حراسها الشخصيين، ويبدو أن أحداً لا يعرف أي شيء عنه". أدرك بيتر فوراً أن الصورة كانت لــه حين تبعها في الساحة، لكن أحداً لم يتعرف إليه لحسن الحظ، وكان يستحيل التعرف إليه من الصورة. "لم يشاهد أحد السيدة تاتشر منذ منتصف ليلة البارحة تقريباً، ولا توجد أية تقارير إضافية عنها. يقول حارس ليلي إنه يعتقد أنه رآها تدخل إلى الفندق باكراً هذا الصباح،

لكن التقارير الأخرى تتحدث عن عدم عودتها أبداً إلى الفندق بعد التقاط هذه الصورة. ويستحيل القول في هذا الوقت ما إذا كان هذا عملاً كريهاً، أم أنها ذهبت ببساطة، نتيجة العبء السياسي الكبير، إلى مكان ما ربما للاستراحة مع الأصدقاء داخل باريس أو قربها لبضعة ساعات، رغم أن هذا الاحتمال يتضاءل شيئاً فشيئاً مع مرور الوقت. لكن الشيء الوحيد الذي نعرفه تماماً هو أن أوليفيا دوغلاس تاتشر اختفت. هنا محطة السي أن أن، باريس". حدق بيتر في الشاشة مذهولاً. تم عرض مجموعة من الصور الفوتوغرافية الخاصة بها، وفيما استمر في مشاهدة التلفزيون، ظهر زوجها، وأجرى مراسل محلي مقابلة معه للقناة الناطقة بالإنكليزية التي كان يشاهدها بيتر. استنتج المراسل بأنها كانت مكتئبة طوال العامين الماضيين، منذ موت ولدهما الصغير، ألكس. وقد أنكر آندي تاتشر الأمر. أضاف أيضاً أنه واثق من أن زوجته حية وبخير في مكان ما، وأنه إذا اختطفها أحد ما، سوف يتعرفون إلى الجهة المسؤولة سريعاً. بدا صادقاً جداً وهادئاً على نحو مذهل. كانت عيناه جافتين ولم يكشف عن علامات الخوف. قال المراسل حينها إن الشرطة كانت في الفندق معه ومع كل موظفيه طوال فترة بعد الظهر، وهم يراقبون الخطوط الهاتفية وينتظرون كلمة منها. لكن شيئاً في مظهر آندي تاتشر جعل بيتر يظن أنه يستفيد من الساعات للعمل على حملته الانتخابية، ولا يبدو خائفاً جداً بشأن مصير زوجته مثلما يفترض أن يكون. لكن بيتر أصيب فجأة بالذعر فيما تساءل عما يمكن أن يكون قد حدث لها بعدما تركته.

لقد تركها أمام الفندق قبل الساعة السادسة صباحاً بقليل، وشاهدها تدخل إلى الفندق. ما الذي حصل لها ربما؟ شعر بالقليل من المسؤولية، وتساءل ما إذا كان هذا عملاً شريراً، وما إذا تم اختطافها وهي في طريقها إلى غرفتها. لكن فيما فكر ملياً في الأمر، استمر في التوقف عند المكان نفسه. ففكرة الخطف أثارت قلقه كثيراً، لكنها بدت رغم ذلك غير صحيحة بالنسبة إليه. وبقيت كلمات أغاتا كريستي تجول في رأسه مراراً وتكراراً. لم يستطع تحمل

فكرة أن شيئاً مريعاً حصل لها، لكن كلما فكر في الأمر، ازدادت ثقته بأن هذا لم يحصل. لقد هربت في الليلة الفائتة. وبإمكانها فعل ذلك بسهولة مجدداً. لا تستطيع ربما العودة إلى حياتها، على رغم معرفته بأنها تشعر بضرورة ذلك. لكن حتى الليلة الفائتة أخبرته أنها لا تظن أنها تستطيع الاستمرار لوقت أطول.

بدأ بيتر يذرع غرفته فيما هو يفكر فيها، وبعد دقائق قليلة، عرف ما الذي يجدر به فعله. كان هذا غريباً، بلا شك، لكن إذا كانت سلامتها تعتمد على ذلك، فإنه يستحق العناء. عليه إخبار السيناتور بأنه خرج معها، وإلى أين ذهبا، وأنه أعادها إلى الفندق هذا الصباح. أراد أن يذكر لـــه لا فافيير أيضاً، لأنه كلما فكر بيتر في ذلك، ازدادت ثقته بأنها ذهبت إلى هناك. كان هذا المكان الوحيد الذي عرف بيتر أنه يمكن أن تلجأ إليه. ورغم أنه يعرف القليل عنها، بدا لـــه ذلك بديهياً. ورغم أن آندي تاتشر يعرف حتماً كم تعني لا فافيير بالنسبة إليها، فقد تغاضى ربما عن الأمر. أراد بيتر إخباره عنه الآن، مقترحاً عليه أن يرسل الشرطة فوراً إلى هناك للبحث عنها. وإذا لم تكن هناك، يصبح أكيداً من أنها في ورطة.

لم يبدد بيتر وقته في انتظار المصعد. توجه مباشرة إلى السلالم، وصعد طابقين للوصول إلى الطابق الذي يمكثون فيه. لقد ذكرت رقم غرفتها في الليلة الفائتة، ولاحظ فوراً وجود الشرطة ورجال المخابرات في القاعات يتحدثون مع بعضهما. بدوا مكبوتين، ولكن من دون كآبة واضحة. وحتى مباشرة أمام غرفتها، لم يكن أحد قلقاً على نحو خاص. راقبوه جميعاً فيما اقترب منهم. بدا محترماً، وقد ارتدى سترته فيما غادر غرفته. كان يحمل ربطة عنقه في يده وتساءل فجأة ما إذا كان آندي تاتشر سيراه. لم يشأ مناقشة ذلك مع أي كان، وسيكون من المحرج القول لـــه إنه تناول القهوة مع زوجته في مونتمارتر لست ساعات، لكن بدا مهماً لبيتر أن يكون صادقاً معه.

حين وصل إلى الباب، طلب بيتر مقابلة السيناتور، وسأله الحارس الشخصي المسؤول ما إذا كان يعرفه شخصياً، وتوجب على بيتر الاعتراف

بأنه لا يعرفه. قال لـــه بيتر من يكون، وشعر بالحماقة لعدم اتصاله قبلاً، لكنه كان في عجلة كبيرة منذ أن أدرك رحيلها، وأراد إخباره بأسرع ما يمكن بالمكان الذي يمكن أنها اختبأت فيه.

فيما دخل الحارس الشخصي إلى الجناح، استطاع بيتر سماع الضحك والضجيج في الداخل، وشمّ رائحة الدخان، وأدرك تماماً أن ما يسمعه أشبه بمحادثة. بدا لـــه ذلك مثل احتفال. تساءل ما إذا كان لذلك علاقة بجهود البحث للعثور على أوليفيا، أو كما شك قبلاً، كانوا يناقشون فعلياً الحملة الانتخابية أو مسائل سياسية أخرى.

عاد الحارس الشخصي للظهور بعد برهة واعتذر بتهذيب عن السيناتور تاتشر. فهو على ما يبدو في اجتماع. وإذا كان باستطاعة السيد هاسكل الاتصال، يمكنهما مناقشة العمل على الهاتف. كان واثقاً من أن السيد هاسكل سيتفهم، في ضوء كل ما حدث أخيراً. والواقع أن السيد هاسكل تفهّم. لكنه لم يفهم لماذا كانوا يضحكون في تلك الغرفة، ولماذا لا يتحرك الأشخاص بسرعة، ولماذا لا يشعرون بالهلع على فقدانها. هل تفعل ذلك طوال الوقت؟ أم أنهم لا يهتمون؟ أو هل يشكّون، مثله تماماً، في أنها تعبت ما يكفي للوقت الحاضر، وأخذت إجازة ليوم أو يومين لاستجماع قواها؟

شعر بميل لأن يقول إن رسالته لها علاقة بمصير زوجة السيناتور، لكنه عرف أنه قد يكون مخْطئاً أيضاً، وأنه يدرك بوضوح أكثر الآن، كلما فكر في الأمر، في مدى غرابة شرح لقائهما في الليلة الفائتة في ساحة الكونكورد. ولماذا تبعها بالضبط. يمكن للمسألة كلها أن تسبب فضيحة كبيرة، لها وله على حد سواء. وادرك الآن أنه كان مخطئاً في المجيء. كان يجدر به الاتصال، وعاد إلى غرفته لفعل ذلك. لكن ما إن عاد، شاهد صورتها مجدداً على محطة السي أن أن. كان المراسل يتحدث عن فكرة الانتحار أكثر من الخطف. وعرضت المحطة صوراً قديمة لولدها الميت، وصوراً لها في الدفن وهي تبكي. وشاهد تلك العينين اللتين حدقتا فيه وتوسلتاه كي لا يخونها. أجرت

بعدها مقابلة مع خبير في الاكتئاب، وتحدث عن الأشياء المجنونة التي يقوم بها الأشخاص حين يفقدون الأمل، ويعتقدون إن هذا ما حصل مع أوليفيا تاتشر حين مات ابنها. وأراد بيتر الصراخ عليهم. ماذا يعرفون عن حياتها، وألمها، وحزنها؟ أي حق يملكون للتعرض لحياتها؟ عادوا بالذاكرة إلى صورها في زواجها، وفي دفن شقيق زوجها بعد ستة أشهر من زواجها بآندي.

أمسك بيتر سماعة الهاتف في يده حين بدأوا يتحدثون عن المآسي في عائلة تاتشر، بدءاً من اغتيال طوم تاتشر قبل ستة أعوام، والولد الذي مات، والآن الاختفاء المأساوي لأوليفيا تاتشر. كانوا يقولون إن الاختفاء مأساوي حين سمع صوت عاملة الهاتف تسأله ما إذا كانت تستطيع مساعدته. كان على وشك أن يعطيها رقم غرفة آل تاتشر، لكنه عرف فجأة أنه لا يستطيع فعل ذلك. ليس بعد. عليه التأكد بنفسه أولاً. وإذا لم تكن هناك، يعرف حينها أن شيئاً ما حصل لها، ويتصل عندئذ بآندي بأسرع ما يمكن. في الحقيقة، لا يدين لها بأي شيء، لكن بعد ليلة البارحة، شعر أنه يدين لها بصمته. وأمل فقط في أنه لا يعرض حياتها للخطر بالمواربة إلى أن يصل إلى هناك.

حين أقفل سماعة الهاتف مجدداً، كان المذيع في محطة السي أن أن يقول إن والديها، الحاكم دوغلاس وزوجته، غير متوافرين للتعليق على الاختفاء الغامض لابنتهما في باريس. استمر الصوت في نبرة رتيبة، وتوجه بيتر لأخذ كنزة من الخزانة. تمنى فقط لو أنه أحضر معه سروال جينز، لكن لم يكن بوسعه أن يتخيل أين سيرتديه. فنادراً ما كان يرتدي هذا النوع من الملابس في الاجتماعات.

اتصل بمكتب الاستقبال بعد ذلك، وبعدما قيل لـــه إنه لا توجد أية رحلات إلى نيس في هذا الوقت من الليل، وأن آخر قطار سيغادر خلال خمس دقائق، طلب سيارة وخريطة توصله من باريس إلى جنوب فرنسا. وحين عرضوا عليه سائقاً، شرح لهم بأنه يريد القيادة بنفسه، رغم أن وجود السائق سيجعل حتماً الأمر أسرع وأسهل. لكن الأمر سيكون أيضاً أقل خصوصية

عندها. قالوا لـــه إنهم سيحضرون لـــه كل شيء خلال ساعة، وعليه التوجه إلى الباب الأمامي لأخذ السيارة، علماً أن الخرائط ستكون موجودة فيها. كانت الساعة قرابة السابعة عندئذ، وفي الساعة الثامنة، حين نزل إلى الأسفل، شاهد سيارة رينو جديدة في انتظاره مع كومة من الخرائط على المقعد الأمامي. وشرح لـــه البواب بكل تهذيب كيفية الخروج من باريس. لم يحمل أية حقائب معه، ولا أي شيء على الإطلاق. فكل ما أحضره معه هو تفاحة وقنينة من ماء إفيان، ووضع فرشاة أسنانه في جيبه. وحين جلس وراء مقود السيارة، بدا لـــه الأمر شبيهاً قليلاً بمشروع أحمق لا طائل منه. وكان قد علم من مكتب الاستقبال أنه يستطيع ترك السيارة في نيس أو مارسيليا، إذا اضطر لذلك، والعودة بالطائرة إلى باريس. لكن هذا سيحدث فقط إذا لم يعثر عليها. وإذا عثر عليها، تساءل ما إذا كانت ستقبل العودة معه. يستطيعان التحدث على الأقل في طريق العودة. لا شك في أنها تملك الكثير في عقلها، وقد يساعدها ربما على فرز المسائل أثناء العودة إلى باريس.

كانت "طريق الشمس" لا تزال مكتظة نوعاً ما بالسيارات في هذا الوقت من الليل، لكن حين وصل إلى أورلي بدأت زحمة السيارات تتبدد وزاد سرعة السيارة في الساعتين التاليتين إلى أن وصل إلى بوييه. في ذلك الحين، شعر بيتر بسلام غريب. لم يكن واثقاً لماذا، لكنه شعر أنه ينجز الشيء الصحيح لها. وللمرة الأولى منذ أيام، شعر أنه حر من كل مخاوفه ومشاكله. ثمة شيء في ركوب السيارة وقيادتها بسرعة خلال الليل جعله يشعر انه ترك كل مشاكله خلفه. فقد كان من الرائع التحدث إليها في الليلة الفائتة، مثل العثور على صديق في مكان غير متوقع. وفيما قاد السيارة، كل ما استطاع رؤيته هو وجهها، وعينيها اللتين تطاردانه، تماماً مثلما فعلتا حين شاهدها للمرة الأولى. تذكرها في الليلة التي شاهدها في حوض السباحة أيضاً، تسبح بعيداً عنه، مثل سمكة صغيرة سوداء... ثم تهرب من ساحة الفاندوم في الليلة الفائتة، إلى الحرية... وتلك النظرة اليائسة في عينيها حين عادت... والإحساس بالسلام

داخلها حين تحدثت عن قرية الصيد الصغيرة. كان من الجنون اللحاق بها عبر فرنسا، وهو مدرك تماماً لذلك. فهو بالكاد يعرفها. ورغم ذلك، تماماً مثلما تبعها من الساحة في الليلة الفائتة، عرف أنه يجدر به فعل ذلك الآن. ولأسباب لا تزال مجهولة بالنسبة إليه، في هذه المرحلة، توجب عليه العثور عليها.

الفصل الخامس

كانت الطريق إلى لافافيير مضجرة وطويلة، لكن بفضل سرعة السيارة، تمكن من بلوغها، في وقت أسرع مما توقع، واحتاج بالضبط إلى عشر ساعات. دخل ببطء إلى البلدة في السادسة صباحاً، تماماً مع شروق الشمس. كان قد التهم التفاحة قبل وقت طويل، وأصبحت قنينة ماء إفيان فارغة تقريباً على المقعد قربه. توقف لشرب القهوة مرة أو مرتين، وترك الراديو قيد التشغيل لمساعدته على البقاء مستيقظاً. قاد السيارة وكل النوافذ مفتوحة، لكن بعد أن وصل الآن إلى مقصده، أصبح مرهقاً فعلاً. لقد بقي مستيقظاً طوال الليل، للمرة الثانية في يومين. ورغم أن حماسه للتواجد هنا والأدرينالين الذي حثه بدآ يخبوان، أدرك أنه عليه النوم لساعة واحدة قبل أن يبدأ بحثه عنها. كان الوقت مبكراً للبحث عنها في أية حال. فباستثناء الصيادين الذين بدأوا يصلون إلى الرصيف البحري، كان جميع أهل لافافيير نائمين. ركن بيتر السيارة على جانب الطريق، وانتقل إلى المقعد الخلفي. كان ضيقاً، وإنما تماماً ما يحتاج إليه.

كانت الساعة التاسعة حين استيقظ وسمع صوت أولاد يلعبون قرب السيارة. كانت أصواتهم عالية حين ركضوا، واستطاع بيتر سماع صوت طيور النورس فوقه. كانت هناك مجموعة مختلفة من الأصوات والضجيج حين جلس، وهو يشعر كما لو أنه مات. لقد كانت ليلة طويلة ورحلة طويلة. لكن إذا عثر عليها، سيستحق ذلك العناء. وفيما جلس وتمدد، ألقى نظرة سريعة على نفسه في المرآة وضحك. كان يبدو أشعث، ومرعباً كفاية لإخافة الأولاد.

مشط شعره، وفرك أسنانه بما تبقى من ماء الإفيان، وبدا محترماً بقدر ما يستطيع حين خرج من السيارة لبدء بحثه. لم يكن لديه فكرة من أين يبدأ، وتبع

ببطء الأولاد الذين سمعهم، إلى الفرن، حيث اشترى خبزاً بالشوكولا وعاد مجدداً إلى الخارج للبحث عن ماء. كانت قوارب الصيد قد خرجت، فيما الزوارق الصغيرة لا تزال في المرفأ. وهناك مجموعات من الكبار في السن المحتشدين في فرق، يناقشون الأوضاع، فيما تابع الرجال الأصغر سناً الصيد. كانت الشمس قد أصبحت عالية في السماء حينها، وفيما نظر بيتر من حوله، رأى أنها محقة. إنه المكان المثالي للهروب إليه، إنه مسالم وجميل، وثمة شيء نادر جداً ودافئ جداً فيه، يشبه عناق صديق قديم. وقرب المرفأ، كان هناك شاطئ رملي طويل. أنهى الخبز بالشوكولا وبدأ يمشي ببطء على الرمل، متمنياً لو يحصل على فنجان قهوة. شعر بسحر الشمس والبحر، وتساءل كيف يستطيع العثور عليها. مشى كل الطريق تقريباً وصولاً إلى الشاطئ، وجلس على صخرة، يفكر فيها، ويتساءل ما إذا كانت ستغضب إذا وجدها، أو حتى إذا كانت هنا، حين نظر إلى الأعلى وشاهد فتاة تأتي صوبه من الجهة المقابلة للشاطئ. كانت عارية القدمين، وترتدي قميصاً قطنياً وسروالاً قصيراً. كانت صغيرة ونحيلة وشعرها الداكن يطير في الهواء فيما نظرت إليه وابتسمت. واكتفى هو بالتحديق. بدا وكأن القدر أراد ذلك. من دون جهد، بكل بساطة. إنها هناك، تبتسم لـــه عبر الشاطئ، كما لو أنها كانت في انتظاره. ومع ابتسامة موجهة فقط إليه، مشت أوليفيا تاتشر ببطء نحوه.

"لا أفترض أن هذه مصادفة"، قالت لـــه بنعومة فيما جلست على الصخرة قربه. كان لا يزال أكثر من مذهول، ولم يتحرك أبداً منذ أن شاهدها. كان مصعوقاً جداً لأنه عثر عليها.

"قلت لي إنك ستعودين"، قال لها فيما غاصت عيناه في عينيها، من دون غضب، ولا دهشة، وإنما برضى تام لوجوده معها.

"كنت سأفعل. أردت ذلك. لكن حين وصلت إلى هناك، وجدت أني لا أستطيع". بدت حزينة فيما قالت ذلك. "كيف عرفت أين أكون؟" سألت برفق.

"شاهدت ذلك على السي أن أن". ابتسم فيما بدت هي مذعورة.

"بأني هنا؟"

ضحك على السؤال. "لا، صديقتي. قالوا فقط إنك رحلت. قضيت النهار بأكلمه وأنا أتخيلك في حياتك كزوجة للسيناتور. وفي السادسة مساء، أدرت الأخبار وشاهدتك هناك. مخطوفة، على ما يبدو، مع صورة فوتوغرافية لي وأنا أتبعك في ساحة الفاندوم، بصفتي خاطفك ربما، لكنك لا تستطيعين تمييز الكثير لحسن الحظ". كان يبتسم. فكل ذلك غباء، وضرب من الجنون. لم يقل أي شيء عن التقارير التي تحدثت عن اكتئابها.

"ياإلهي، لم يكن لدي فكرة". بدت كئيبة فيما استوعبت ما قاله لها للتو. "كنت سأترك ملاحظة لآندي أقول لـــه فيها إني سأعود بعد أيام قليلة. لكني لم أفعل ذلك أيضاً في النهاية. غادرت فقط وجئت إلى هنا. أخذت القطار"، قالت وكأنها تشرح لـــه. أومأ هو برأسه، وهو يحاول أن يفهم كل شيء جلبه إلى هنا. لقد لحق بها مرتين الآن، مدفوعاً بقوة لا يستطيع أن يفسرها ولا أن يقاومها أيضاً. غاصت عيناها في عينيه، ولم يتحرك أي منهما. كانت عيناه لطيفتين، لكن أياً منهما لم يقم بأية حركة للمس الآخر. "أنا مسرورة لأنك جئت"، قالت بنعومة.

"وأنا أيضاً...". ثم بدا فجأة مثل صبي مجدداً، فيما لفح الهواء شعره الداكن وعينيه، كانا بلون صيف السماء فيما لو راقبها. "لم أكن واثقاً ما إذا كنت ستغضبين إذا وجدتك". كان قلقاً بشأن ذلك طوال الطريق من باريس. يحتمل أن تعتبر لحاقه بها مثل تدخل غير مقبول.

"كيف أستطيع؟ لقد كنت لطيفاً جداً معي... استمعت لي... تذكرت". كانت مسرورة جداً لأنه عثر عليها هنا، ولأنه اهتم حتى في المحاولة. إنها رحلة طويلة من باريس. ثم وقفت فجأة على قدميها، وبدت مثل فتاة صغيرة أكثر من أي وقت مضى، ومدت لـــه يدها. "تعال، دعني أصطحبك لتناول الفطور. لا بد أنك تتضور جوعاً بعد القيادة طوال الليل. أمسكت ذراعه بيدها ومشيا ببطء نحو المرفأ. كانت عارية القدمين، تمشي على قدمين رقيقتين، فيما

"هل تظنين أنه سيشرح نفسه للانتخابات الكبيرة في السنة المقبلة؟"

"ربما. محتمل كثيراً"، قالت وهي تفكر في المسألة. "لكن إذا فعل، لا أستطيع أن أكون معه. أنا أدين لــه بشيء، ولكن ليس هذا. هذا كثير عليّ. بدأنا بكل الأفكار الصحيحة، وأنا أعرف أن ألكس كان يعني لــه الكثير، رغم أنه لم يكن موجوداً أبداً حين توجب عليه ذلك. لكني فهمت ذلك في معظم الوقت. أظن أنه تغير حين توفي شقيقه. أعتقد أن جزءاً من آندي مات معه. لقد تخلى عن كل شيء كان عليه أو اهتم به من أجل السياسة. أنا لا أستطيع فعل ذلك. ولا أرى لماذا يجدر بي فعل ذلك. لا أريد أن أصبح في النهاية مثل أمي. إنها تصاب بصداع الشقيقة، وتعاني من الكوابيس، وتعيش في خوف دائم من الصحافة، وترتعش يداها طوال الوقت. كما أنها خائفة دوماً من تسبيب وضع قد يحرج والدي. لا يستطيع أي كان العيش مع هذا النوع من الضغط. إنها في ورطة، وهي كذلك منذ أعوام. لكنها تبدو رائعة. فقد خضعت لعملية تجميل العينين وشدّ الوجه، وتخفي مدى خوفها. ويصطحبها والدي معه إلى كل اجتماع، ومحاضرة، وخطاب انتخابي، وسباق للسيارات. لو كانت صادقة، لاعترفت بأنها تكرهه على ذلك، لكنها لن تفعل ذلك أبداً. لقد حطم حياتها. كان يجدر بها تركه قبل أعوام عدة، ولو فعلت ذلك ربما، لكانت بقيت شخصاً كاملاً. أنا أظن أن السبب الوحيد لبقائها معه هو أنه لم يخسر انتخاباً". أصغى بيتر إليها بتعبير جاد، وتأثر جداً بما كانت تقوله. "لو عرفت أن آندي سينخرط في السياسة، لما تزوجت به أبداً. أظن أنه كان يجدر بي تخمين ذلك"، قالت أوليفيا مع نظرة حزن.

"ما كان بإمكانك المعرفة أن شقيقه سيقتل وأنه سيخوض هذا المجال"، قال بيتر.

"ربما هذا مجرد عذر، وربما كان زواجنا سينهار في أية حال. من يعلم". هزت كتفيها، ونظرت بعيداً، خارج النافذة. بدت قوارب الصيد مثل دمى تملأ الأفق. "المكان جميل جداً هنا... اتمنى لو أستطيع البقاء هنا إلى الأبد". بدت وكأنها تقصد ذلك فعلاً.

"حقاً؟" سألها برفق. "إذا تركته، هل ستعودين إلى هنا؟". أراد أن يعرف أين يتخيلها، وأين يشاهدها في عقله حين يفكر فيها في ليالي الشتاء الطويلة والباردة في غرينتش.

"ربما"، أجابت، وهي لا تزال غير واثقة من أمور عدة. عرفت أنه لا يزال عليها العودة إلى باريس والتحدث إلى آندي، رغم أنها كانت تكره فعل ذلك. فبعد السماح لقصة الاختطاف بالتفاعل طوال يومين، يمكنها أن تتخيل الجلبة التي سيحدثها عند عودتها إلى باريس.

"تحدثت إلى زوجتي البارحة"، قال بيتر بهدوء، فيما جلست أوليفيا تفكر بصمت في زوجها. "كان غريباً التحدث إليها، بعد كل ما قلناه تلك الليلة. لطالما دافعت عن كل شيء قامت به... وعن علاقتها مع والدها، رغم أني لم أحب ذلك فعلاً. لكن بعد التحدث إليك، أصبح الأمر يزعجني فجأة". كان صريحاً جداً معها، وقادراً على قول أي شيء يشعر به. كانت صريحة جداً، وعميقة جداً، وإنما حريصة كي لا تؤذيه، وشعر هو بذلك. "تناولت العشاء معه أول من أمس، وتناولت الغداء معه البارحة. سوف تمضي شهرين معه هذا الصيف، ليلاً ونهاراً. أشعر أحياناً كما لو أنها متزوجة به، وليس بي. أظن أني شعرت بذلك على الدوام. والشيء الوحيد الذي كنت أعزي نفسي به هو عيشنا حياة جيدة، وروعة أولادنا، وسماح والدها لي بفعل ما أشاء في العمل". والغريب أن ذلك بدا مقبولاً كثيراً لوقت طويل، لكنه فجأة لم يعد كذلك.

"هل يسمح لك القيام بما تشاء؟". ألحت عليه الآن، فيما لم تجرؤ على فعل ذلك في باريس. لكنه هو الذي أثار الموضوع هذه المرة. وهما يعرفان بعضهما بصورة أفضل الآن. كما أن مجيئه إلى لافافيير جعله أقرب إليها.

"يسمح لي فرانك فعلاً بالقيام بما أريده. معظم الأوقات". ولم يتابع أكثر. كانا على أرض خطرة. كانت هي مستعدة لترك آندي لأسباب خاصة بها، لكن ليس لديه أية رغبة في زعزعة قاربه المنزلي مع كاتي. كان واثقاً جداً من هذا.

"وإذا أخفق فيكوتيك في الاختبارات التي يجرونها الآن؟ ماذا سيفعل حينها؟"

"يستمر في دعمه، آمل ذلك. سيكون علينا إنجاز المزيد من الأبحاث، رغم أن الأمر سيكون مكلفاً حتماً". هذا هو التصريح المكبوح على الدوام، لكنه لم يستطع تخيل فرانك وهو يتنازل عن مطلبه الآن. فقد ظن أن فيكوتيك ناجح جداً. عليهم فقط إخبار دائرة الأغذية والعقاقير بأنهم غير جاهزين.

"نجري جميعاً التنازلات"، قالت أوليفيا بهدوء. "والمشكلة الوحيدة هو حين نظن أننا تنازلنا كثيراً. لقد فعلت ذلك بما، أو أن هذا لا يهم ربما، طالما أنك سعيد. هل أنت كذلك؟" سألته، بعينين كبيرتين. لم تكن تسأله كامرأة، وإنما فقط كصديقة الآن.

"أظن ذلك". بدا مذهولاً فجأة. "لطالما ظننت ذلك، لكن لكي أكون صادقاً معك، أوليفيا، أصبحت أتساءل بعد أن استمعت إليك. لقد تنازلت عن العديد من الأشياء. أين نعيش، وإلى أية مدرسة يذهب الأولاد الآن، وأين نقضي فصل الصيف. ثم أفكر، وماذا؟ من يهتم؟ المشكلة هي أني أهتم ربما. وربما ما كنت لأكترث لذلك لو أن كاتي موجودة هناك لي، لكني أصغي إليها فجأة وأدرك أنها غير موجودة. فهي إما خارجاً في اجتماع في مكان ما، أو تنجز شيئاً للأولاد أو لنفسها، أو مع والدها. والأمور على هذه الحال منذ مدة، منذ أن غادر الأولاد إلى مدرسة داخلية، أو ربما قبل ذلك. لكني كنت مشغولاً جداً. لم أسمح لنفسي بملاحظة ذلك. لكن فجأة، وبعد ثمانية عشر عاماً، لا أجد أحداً للتحدث إليه. أنا أتحدث إليك هنا، في قرية صيد في فرنسا، وأقول لك أشياء لا أستطيع أبداً قولها لها... لأني لا أستطيع الوثوق فيها. هذا تصريح سيء جداً"، قال بحزن، "ورغم ذلك...". نظر إليها ومدّ يده عبر الطاولة للإمساك بيد أوليفيا. "لا أريد أن أتركها. لم أفكر أبداً في ذلك. لا أستطيع تخيل نفسي وأنا أتركها، أو تخيل حياة أخرى غير الحياة التي أتشاركها معها، وأولادنا... لكني أدرك فجأة شيئاً لم أعرفه أبداً، أو تجرأت على مواجهته قبلاً. أنا وحيد الآن".

أومأت أوليفيا بصمت. هذا أمر اعتادت هي عليه، وشكت في وجوده لدى بيتر منذ أول مرة تحدثا فيها في باريس. لكنها كانت واثقة من أنه غير مدرك لذلك. لقد تبدلت الأمور إلى أن وجد نفسه فجأة في مكان لم يتوقعه أبداً. ثم نظر إلى أوليفيا بصدق كبير، واكتشف شيئاً آخر في نفسه خلال اليومين الماضيين. "مهما كان شعوري، أو كيفما خذلتني، أنا واثق من أني لن أملك أبداً الشجاعة لتركها. سيكون هناك الكثير من الألغاز الواجب حلها". حتى التفكير في بدء حياته مجدداً كان يسبب لـــه الاكتئاب.

"لن يكون ذلك سهلا"، قالت أوليفيا بهدوء، وهي تفكر في نفسها ولا تزال تمسك بيده. لم تقلل من شأنه بسبب ما كان يقوله لها. بل على العكس، ازداد احترامها لـــه لأنه كان قادراً على قول ذلك. "هذا يرعبني أيضاً. لكنك تملك على الأقل حياة معها، مهما كانت مليئة بالعيوب. إنها هناك، تتحدث إليك، تهتم بطريقتها، حتى لو كانت محدودة، أو متعلقة جداً بوالدها. لكن لا بد أنها تكنّ الوفاء لك أيضاً، ولأولادك. لديكما حياة معاً، بيتر، حتى لو كانت أقل من مثالية. أما أنا وآندي فلا نملك أي شيء. لم نعد نملك شيئاً منذ أعوام، منذ البداية تقريباً". شك بيتر في أن هذا أكثر من صحيح ولم يحاول الدفاع عنه.

"يجدر بك إذاً الرحيل". إلا أنه أصبح قلقاً عليها الآن، إذ بدت هشة جداً وضعيفة جداً. لم يحب التفكير في وجودها وحيدة، حتى هنا، في قريتها الصغيرة الهادئة. استمر في التفكير كم سيكون مؤلماً عدم رؤيتها ثانية. فبعد يومين فقط، أصبحت مهمة جداً بالنسبة إليه، ولم يستطع تخيل كيف سيكون عدم التحدث إليها. فالأسطورة التي لمحها في المصعد أصبحت امرأة.

"هل يمكنك العودة إلى أهلك لبرهة، إلى أن تهدأ الأمور مجدداً، وتعودين من ثم إلى هنا؟" كان يحاول مساعدتها على حل الأمور، وابتسمت هي لـــه. أصبحا فعلاً صديقين، شريكين في جريمة.

"ربما. لست واثقة من أن أمي ستكون قوية كفاية لتحمل ذلك، خصوصاً إذا حاول أبي مواجهتي ووقف مع آندي".

"كم هذا جميل". بدا بيتر غير موافق على ذلك. "هل تظنين أنه يفعل ذلك؟"

"ربما. فرجال السياسة يتمسكون عادة ببعضهم البعض. يوافق شقيقي على أي شيء يقوم به آندي، لمجرد المبدأ. كما أن والدي يدعمه على الدوام. هذا جميل لهم، ومقرف بالنسبة إلى بقيتنا. ويظن أبي أنه يجدر بآندي الترشح للرئاسة. لا أفترض أنه ستتم الموافقة على ارتدادي. فهذا سيقلل من فرص نجاحه، أو حتى يخرجه من المنافسة كلياً. فلا يمكن التفكير في رئيس مطلّق. أظن شخصياً أني سأكون أؤدي لـــه خدمة. أظن أن هذه المسألة ستتحول إلى كابوس. حياة من الجحيم. لا أشك أبداً في ذلك. سوف يقتلني". أومأ برأسه، وهو مذهول لمناقشة هذا معها أصلاً. فبقدر ما كانت حياته معقدة، ولاسيما مع إخفاق فيكوتيك، لا شك في أنها تبقى أكثر بساطة من حياتها. فحياته خاصة على الأقل. أما هي، فتتم مراقبة كل حركة في حياتها. وما من أحد في عائلته ينوي الترشح لمنصب عام، باستثناء كاتي لمنصب هيئة المدرسة. أما أوليفيا، من جهة أخرى، فهي مرتبطة بحاكم، بسيناتور، بعضو في الكونغرس، وربما برئيس جمهورية في المدى غير البعيد، على افتراض ألا تتركه. هذا مذهل فعلاً.

"هل تظنين أنك قد تبقين، إذا قرر الترشح؟"

"لا أرى لماذا يجدر بي فعل ذلك. سيكون ذلك الخيانة التامة. لكني أفترض أن كل شيء محتمل. إذا فقدت عقلي، أو إذا قيدني ووضعني في خزانة. يستطيع أن يقول للأشخاص إني كنت نائمة". ابتسم بيتر على ذلك، ومشيا ببطء خارج المطعم وهما يمسكان بذراعيّ بعضهما، بعد أن دفع هو ثمن الفطور. تفاجأ كم كان الطعام زهيداً.

"لو فعل ذلك، سآتي وأنقذك مجدداً"، قال مع ابتسامة، فيما جلسا على الرصيف ووضعا أقدامهما في الماء.. كان لا يزال يرتدي القميص الأبيض والسروال الخاص بالبذلة، فيما كانت هي عارية القدمين. إنهما ثنائي متناقض على نحو محير.

"هل هذا ما فعلته هذه المرة؟"، سألته بعد أن اتكأت عليه مع ابتسامة

عريضة. "إنقاذي؟". بدت مسرورة لهذا الوصف. فلم ينقذها أحد منذ سنوات. وكان هذا تصرفاً مستحسناً.

"أظن أني فعلت... تعلمين، أنقذتك من المختطفين، أو الإرهابيين، وذلك الرجل بالقميص الأبيض الذي تبعك خارج ساحة الفاندوم. بدا لي فعلاً مثل شخصية مشبوهة. لذا، ظننت حتماً أن الإنقاذ مطلوب". كان يبتسم لها، وكانت الشمس حارة فيما سطعت عليهما، وهما يؤرجحان أقدامهما فيما جلسا على الرصيف مثل ولدين صغيرين.

"أحب ذلك"، قالت لـــه واقترحت عليه العودة إلى الشاطئ. "يمكننا الذهاب إلى فندقي والتوجه إلى السباحة من هناك". لكنه ضحك على ذلك. فهو غير مستعد بلا ريب للسباحة في سرواله. "يمكننا أن نشتري لك سروالاً قصيراً أو ثوب سباحة. فمن المخجل تفويت هذا الطقس".

نظر إليها بحزن. كان من المخجل تفويت أي شيء من ذلك، لكن ثمة حدود لما يملكان الحق فيه. "يجدر بي العودة إلى باريس. احتجت تقريباً إلى عشر ساعات للوصول إلى هنا".

"لا تكن سخيفاً. لا يمكنك اجتياز كل هذه المسافة لتناول الفطور فقط. بالإضافة إلى ذلك، ليس لديك أي شيء هناك سوى انتظار اتصال سوكارد، وقد لا يتصل بك حتى. يمكنك الاتصال بالفندق لتبلغ الرسائل والاتصال به من هنا إذا اضطررت لذلك".

"هذا يسوي الأمور بلا شك"، قال، وهو يضحك على تخلصها السريع من واجباته.

"يمكنك استئجار غرفة في فندقي، ويمكننا العودة معاً غداً"، قالت، وهي تؤجل رحيلهما إلى يوم آخر. لكن بيتر لم يكن واثقاً من أنه يجدر به السماح لها بفعل ذلك، رغم أن الدعوة كانت مغرية جداً.

"ألا تظنين أنه يجدر بك على الأقل الاتصال به؟"، اقترح بيتر بهدوء فيما مشيا على الشاطئ، يداً بيد تحت الشمس الساطعة. وفيما نظر إليها، وهي تشعّ

بالقرب منه، أدرك أنه لم يعرف في حياته مثل هذه الحرية.

"ليس بالضرورة"، قالت أوليفيا، وهي لا تبدو أبداً نادمة. "أنظر إلى الدعاية التي سيحصدها من كل ذلك، والتعاطف، والانتباه. سيكون مخزياً فعلاً إفساد الأمر عليه".

"أنت في السياسة منذ وقت طويل". ضحك بيتر عليها رغماً عنه، وجلس على الرمل بقربها، فيما دفعته هي إلى قربها. كان قد خلع حذاءه وجواربه عندئذ وبات يحملها في يده. شعر أنه مثل متسكع على الشاطئ. "بدأت تفكرين مثلهم".

"أبداً. لست فاسدة كفاية لذلك لا أستطيع أن أكون مثلهم. لا أريد أي شيء بهذه القوة. فالشيء الوحيد الذي أردته في حياتي خسرته إلى الأبد. لم يعد لديّ شيئاً لأخسره الآن". كانت هذه العبارة الأكثر حزناً التي سمعها، وعرف أنها كانت تتحدث عن طفلها.

"يمكن أن تنجبي المزيد من الأولاد يوماً ما، أوليفيا"، قال برفق، فيما استلقت بقربه على الرمل وعينيها مغلقتين، كما لو أنها تستطيع إبقاء الألم بعيداً إذا رفضت مشاهدته. لكنه استطاع رؤية الدموع في زاوية عينيها ومسحها برفق. "لا بد أن هذا كان مريعاً... أنا آسف جداً..." أراد أن يبكي معها، ويمسكها بين ذراعيه، ويبعد عنها كل الحزن الذي عانت منه في الأعوام الستة الماضية. لكنه شعر أنه عاجز عن القيام بأي شيء فيما راقبها.

"هذا مريع"، همست لـــه وهي لا تزال تغمض عينيها. "شكراً، بيتر... لكونك صديقي... ولوجودك هنا". فتحت عينيها ونظرت إليه. التقت عيناهما لوقت طويل. وفجأة، في هذه القرية الفرنسية الصغيرة، بعيداً عن كل شخص يعرفهما، عرفا كلاهما أنهما هنا لبعضهما البعض، بقدر ما هو ممكن، وبقدر ما يجرؤان. انحنى فوقها وهو يدرك تماماً أنه لم يشعر أبداً هكذا حيال أي شخص، ولم يعرف أحداً قبلاً مثلها. لم يستطع التفكير في أي شخص أو أي شيء الآن.

"أريد أن أكون هنا من أجلك"، قال برفق وهو ينظر إليها ويرسم وجهها وشفتيها بأصابعه. "... وليس لدي الحق في ذلك. لم أفعل أبداً شيئاً مثل هذا". كانت مصدر عذابه، وإنما في الوقت نفسه البلسم الذي يشفي كل أمراضه الأخرى. فالتواجد معها كان أفضل شيء حدث لـــه، وكذلك الشيء الأكثر إرباكاً.

"أعرف ذلك"، قالت بنعومة. فهي تعرف كل شيء عنه، من أعماقها، من روحها، من قلبها. "لا أتوقع أي شيء منك"، شرحت لـــه، "فقد جئت إلى هنا من أجلي أكثر مما فعل أي شخص آخر خلال العشرة أعوام الماضية. لا أستطيع أن أطلب أكثر من ذلك... ولا أريد أن أجعلك غير سعيد"، قالت لـــه وهي تنظر إليه بحزن. فبطريقة ما، كانت تعرف عن الحياة، والحزن، والخسارة، والألم، وكذلك الخيانة، أكثر مما يعرف هو.

"شش..."، قال لها وهو يضع إصبعاً على شفتيها، ثم ومن دون أية كلمة أخرى، استلقى بالقرب منها وأخذها بين ذراعيه وقبّلها. لم يكن هناك أحد لمشاهدة أي شيء، للاهتمام بما يفعلانه، أو لالتقاط الصور، أو لمنعهما. فكل ما لديهما هو الضمير والعوائق التي أحضراها معهما، والتي تنتشر مثل حطام البحر المتناثر على الشاطئ من حولهما. أولادهما، أزواجهما، ذكرياتهما، حياتهما. إلا أن أياً من هذا لم يبدو مهماً فيما قبلها بكل الشغف الذي كان نائماً طوال السنوات وأصبح منسياً منذ مدة. استلقيا في ذراعيّ بعضهما البعض لوقت طويل، وكانت قبلاتها قوية بقدر قبلاته، لا بل إن روحها أكثر اشتياقاً. مضى وقت طويل قبل أن يتذكرا أين هما، وأجبرا نفسيهما على الابتعاد عن بعضهما والاستلقاء هناك وهما يبتسمان لبعضهما البعض.

"أحبك أوليفيا"، قال وهو يلتقط أنفاسه. كان أول من تحدث فيما شدّها بقربه، واستلقيا جنباً إلى جنب على الشاطئ، وهما ينظران إلى الشمس. "قد يبدو ذلك جنوناً بالنسبة إليك بعد يومين، لكني أشعر كما لو أني عرفتك طوال حياتي. لا أملك الحق حتى في قول ذلك لك... لكني أحبك". نظر إليها مع شيء في عينيه لم يكن موجوداً قبلاً، وكانت هي تبتسم.

"أنا أحبك أيضاً. الله يعلم إلى ماذا سيقودنا ذلك. ليس إلى الكثير ربما، لكني لم أشعر أبداً بهذه السعادة في حياتي. يجدر بنا ربما الهروب معاً. اللعنة على فيكوتيك وآندي". ضحكا كلاهما على النبرة المتعجرفة التي اعتمدتها، وكان من المذهل الإدراك أنه في تلك اللحظة تماماً، لا يعرف أي شخص أين هما. كان يعتقد أنه تم اختطافها أو أسوأ، فيما اختفى هو ببساطة مع سيارة مستأجرة، وقنينة من ماء إفيان وتفاحة. من الرائع فعلاً ألا يتمكن أحد في العالم من العثور عليهما.

ثم فكر بيتر في شيء ما. ففي هذه اللحظة ربما، قد يكون الانتربول في طريقه إلى هنا. "لماذا لم يتصوّر زوجك أنك جئت ربما إلى هنا؟". كان هذا جلياً جداً بالنسبة إليه، ولا شك في أنه كان كذلك لآندي.

"لم أخبره أبداً عن ذلك. احتفظت به دوماً كسرّي".

"حقاً؟" بدا بيتر مذهولاً حين قالت ذلك. فقد أخبرته بالأمر في أول ليلة تحدثا فيها. ولم تخبر آندي؟ شعر بالإطراء. فقد كانت ثقتها فيه غير اعتيادية، وإنما متبادلة. فما من شيء في العالم لم يخبرها به، أو لن يفعل. "أظن إذاً أننا آمنان هنا. لبضع ساعات على الأقل". كان لا يزال مصمماً على العودة في وقت متأخر من بعد الظهر. لكن بعد أن اشتريا ثوب سباحة لـــه، وسبحا في المحيط جنباً إلى جنب، بدأت عزيمته تتلاشى. فهذا أكثر إثارة من السباحة في حوض الريتز. لم يكن يعرفها عندئذ، وقد عذبته حين سبحت بالقرب منه. أما هنا، فها هي تسبح بالقرب منه، وبالكاد يستطيع تحمل ذلك.

قالت إن السباحة في المحيط تخيفها، ولم تحب الإبحار أبداً لهذا السبب. كانت تخاف من حركة التيارات والأمواج، ومن أنواع الأسماك التي قد تسبح حولها. لكنها شعرت بالحماية معه، وسبحا معاً إلى قارب صغير مربوط بطافية. صعدا إليه وارتاحا فيه لبرهة، واحتاج إلى كل الشجاعة التي لديه لعدم ممارسة الحب معها في القارب الصغير. لكنهما كانا قد أجريا اتفاقاً. فقد كان بيتر مصراً على أنه إذا حصل شيء بينهما، سيفسد ذلك كل شيء. سوف يشعران بالذنب، وهما يعرفان تماماً أن العلاقة التي تفتحت بينهما بين ليلة

وضحاها لا يمكن أن تتحول سوى إلى صداقة. وهما لا يستطيعان المجازفة بتدميرها من خلال ارتكاب حماقة. ورغم أن زواج أوليفيا كان متزعزعاً أكثر من زواجه، وافقت معه. فإقامة علاقة غرامية معه سيعقد الأمور حين تعود إلى باريس للتحدث مع آندي. لكنه كان يصعب بلا شك إبقاء علاقتهما أقرب إلى الأفلاطونية، وجعلها تقتصر على القبلات فقط. لقد تحدثا عن الأمر مجدداً حين عادا إلى الشاطئ، وحاولا ألا تجرفهما العاطفة، لكن هذا لم يكن سهلاً. فقد كان جسماهما رطبين وناعمين فيما استلقيا بالقرب من بعضهما وتحدثا عن كل الأمور المهمة بالنسبة إليهما. تحدثا عن طفولتهما، هي في واشنطن وهو في ويسكونسين. أخبرها كيف شعر دوماً في المنزل أنه في المكان الخطأ، وكم أراد دوماً المزيد، وكم كان محظوظاً حين عثر على كاتي.

سألته عن عائلته، وأخبرها عن أهله وشقيقته. أخبرها أن أمه وشقيقته توفيتا من السرطان، ولهذا السبب يعني لـــه فيكوتيك الكثير.

"لو كان مثل هذا المنتج متوافراً لهما، لشكل ذلك فرقاً"، قال بحزن.

"ربما"، قالت بطريقة فلسفية. "لكنك لا تستطيع الفوز في بعض الأحيان، مهما كان عدد العقاقير العجيبة التي في تصرفك". لقد جربوا كل شيء ورغم ذلك لم يتمكنوا من إنقاذ ألكس. ثم التفتت إليه وهي تفكر في شقيقته.

"هل لديها أولاد؟". أومأ برأسه وملأت الدموع عينيه فيما نظر في البعيد. "هل يأتون لزيارتك؟"

شعر بالخزي حين أجاب. نظر مباشرة إلى أوليفيا وعرف كم كان مخطئاً. فجأة، جعله التواجد معها يرغب في تغيير كل ذلك. جعله يرغب في تغيير الكثير من الأشياء، علماً أن بعضها أسهل من الباقي.

"لقد انتقل صهري بعيداً، وتزوج مجدداً في السنة نفسها. لم أسمع عنه منذ وقت طويل. لا أعرف لماذا، ربما لأنه أراد وضع كل شيء خلفه. لم يتصل بي ولم يخبرني أين هم إلى أن احتاج هو وزوجته الجديدة إلى المال. أظن أنهما كانا قد أنجبا ولدين إضافيين آنذاك. وسمحت لكاتي تقول لي أن

الأوان قد فات، وأنهم لا يهتمون ربما، وأن الأولاد لا يعرفوني. قبلت بذلك، ولم أسمع عنهم منذ وقت طويل. كانوا يعيشون في مزرعة في مونتانا آخر مرة سمعت عنهم. أتساءل أحياناً ما إذا كانت كاتي تحب حقيقة عدم وجود عائلة لي، سوى هي والأولاد وفرانك. لم تتفقا أبداً هي وشقيقتي، وكانت غاضبة لأن موريال ورثت المزرعة وأنا لم أرث شيئاً. لكن والدي كان محقاً في إعطائها المزرعة. فأنا لم أرغب فيها ولم أحتج إليها، وقد عرف والدي ذلك". نظر إلى أوليفيا مجدداً، وهو يدرك ما عرفه طوال سنوات، لكنه رفض الاعتراف به، مجاراة لكاتي. "كنت مخطئاً في جعل أولئك الأولاد يخرجون من حياتي. كان يجدر بي الذهاب إلى مونتانا لرؤيتهم". إنه يدين بذلك إلى شقيقته. لكن الأمر كان مؤلماً، وكان من الأسهل الإصغاء إلى كاتي.

"ما زال بإمكانك فعل ذلك"، قالت أوليفيا بلطف.

"أود فعل ذلك. إذا كان ما زال باستطاعتي العثور عليهم".

"أراهن أنك تستطيع إذا حاولت".

أومأ برأسه، وهو يعرف ما الذي يحتاج إليه الآن. ثم أصيب بالذهول نتيجة سؤالها التالي.

"ماذا لو لم تتزوجها أبداً؟"، سألته أوليفيا بفضول. كانت تحب اللعب معه، وسؤاله أسئلة يصعب الإجابة عليها.

"لما كنت حصلت أبداً على المهنة التي لدي الآن"، قال ببساطة. لكن أوليفيا أسرعت إلى هز رأسه علامة عدم الموافقة.

"هذا خطأ تماماً. وهذه هي كل مشكلتك"، قالت من دون التردد لبرهة. "تظن أن كل ما تملكه هو بفضلها. وظيفتك، نجاحك، مهنتك، وحتى منزلك في غرينتش. هذا جنون. كنت ستحصل على مهنة لامعة في أية حال. هي لم تفعل ذلك. أنت الذي فعلت. كان سيكون لديك مهنة رائعة أينما كنت، حتى في ويسكونسين ربما. فأنت تملك هذا النوع من العقل وهذا النوع من القدرة على الاستفادة من الفرص. أنظر ماذا فعلت مع فيكوتيك. قلت بنفسك إنه طفلك أنت بالكامل".

"لكني لم أنته منه بعد"، قال بتواضع.

"لكنك ستفعل. فمهما قال سوكارد. سنة، اثنتان، عشر، من يهتم. ستفعل ذلك"، قالت باقتناع تام. "وإذا لم ينجح ذلك، سوف ينجح شيء آخر. ولا علاقة لذلك بمن انت متزوج". لم تكن مخطئة، لكنه لم يكن يعرف ذلك. "لا أنكر أن آل دونوفان منحوك فرصة، لكن الأشخاص الآخرين كانوا سيفعلون ذلك أيضاً. وانظر ماذا أعطيتهم. بيتر، تظن أنهم فعلوا كل ذلك من أجلك، وما زلت محرجاً من ذلك. لكنك فعلت كل ذلك بنفسك وأنت لا تعرف ذلك حتى". لا شك في أنه لم يملك هذا المنظور قبلاً، وجعله الإصغاء إليها يشعر بالثقة. كانت امرأة مميزة. لقد أعطته شيئاً لم يمنحه إياه أحد قبلاً، ولا حتى كاتي. لكنه أعطاها شيئاً أيضاً، نوعاً من الدفء والحنان والاهتمام التي تتوق إليها. كانا ثنائياً نادراً، وكانت هي شاكرة لذلك.

في نهاية بعد الظهر، عادا إلى الفندق، وتناولا طبق سلطة مع الخبز والجبنة على المصطبة. وفي السادسة مساء، نظر إلى ساعته، وأدرك أنه يجدر به العودة إلى باريس. لكن بعد يوم من السباحة والشمس، وكبح الشغف الذي شعر به حيالها، كان متعباً جداً للتحرك، وكذلك القيادة لعشر ساعات.

"لا اظن أنه يجدر بك فعل ذلك"، قالت لـــه وهي تبدو أنيقة جداً، وشابة ومسمرّة، وقلقة نوعاً ما. كان يحب البقاء معها إلى الأبد. "لم تحصل على نوم لائق منذ يومين، ولن تصل إلى هناك قبل الرابعة فجراً، حتى لو غادرت هنا خلال عشر دقائق".

"عليّ الاعتراف"، قال وهو يبدو متعباً، "إن هذا لا يبدو مغرياً جداً. لكن يجدر بي العودة". كان قد اتصل بفندق الريتز ولا توجد أية رسائل لـــه على الأقل، لكن ما زال عليه العودة إلى باريس، وسوف يتصل به سوكارد في النهاية. شعر بالارتياح لأن كاتي وفرانك لم يتصلا به هذا الصباح.

"لماذا لا تبقى الليلة، وتعود إلى باريس غداً؟"، قالت بمنطق، فيما نظر هو إليها لمناقشتها.

"هل ستعودين معي إذا ذهبت غداً؟"

"ربما"، قالت وهي تبدو متشائمة جداً فيما نظرت إلى المحيط.

"هذا ما أحبه فيك، الشغف الحقيقي بالالتزام". لكن كان لديها شغف بأشياء أخرى، والقليل الذي تذوقه منه قد أثار جنونه فعلاً. "حسناً، حسناً"، قال في النهاية. كان بالفعل متعباً جداً للقيام بالرحلة الليلة، وفضّل أن يقوم بها في صباح اليوم التالي بعد ليلة من النوم الجيد.

لكن حين ذهبا لاستئجار الغرفة الوحيدة الباقية في الفندق، وجدا أنه تم تأجيرها. كانت هناك أربع غرف فقط في الفندق، واختارت هي الأفضل. كانت غرفة مزدوجة صغيرة مطلة على المحيط، ووقفا يحدقان في بعضهما لوقت طويل.

"يمكنك النوم على الأرض"، قالت أخيراً مع ابتسامة ماكرة وهي تحاول توكيد التزامهما بعدم القيام بأي شيء سيندمان عليه لاحقاً. لكن يصعب تذكر ذلك أحياناً.

"من المحزن الاعتراف بذلك"، قال مبتسماً، "لكن هذا أفضل عرض تلقيته منذ مدة. سأقبل به".

"جيد. وأعدك أن أكون حسنة السلوك. أقسم لك". رفعت إصبعيها إلى الأعلى وزعم أنه خائب الأمل.

"هذا محزن أكثر". كانا يضحكان معاً حين خرجا، يداً بيد، لشراء قميص قطني نظيف، وشفرة حلاقة، وسروال جينز لــه. وقد عثرا على كل شيء في المتجر المحلي. كان القميص القطني يحمل إعلان "فانتا"، فيما سروال الجينز ملائم تماماً لــه. وقد أصرّ على الحلاقة في حمامها الصغير قبل تناول العشاء وبدا أفضل حين خرج. كانت ترتدي هي تنورة مخرمة من القطن الأبيض، وقميصاً ضيقاً، وحذاء رياضياً اشترته في طريقها إلى هنا. وكانت تبدو رائعة حقاً مع شعرها الداكن وبشرتها المسمرّة. كان يصعب الإدراك الآن أن هذه هي المرأة

التي قرأ عنها، وسحرته لوقت طويل. لم تعد تبدو الشخص نفسه أبداً. كانت صديقته، والمرأة التي يقع في غرامها. وثمة شيء جميل جداً في طريقة شعورهما حيال بعضهما على الصعيدين الجسدي والعاطفي، وقد رفضا إطلاق العنان لرغباتهما رغم الفرصة المتاحة لهما. كانت علاقة رومنسية رائعة وقديمة الطراز.

أمسكا بأيدي بعضهما، وقبّلا بعضهما، وذهبا للقيام بنزهة على الشاطئ عند منتصف الليل. وحين سمعا الموسيقى في البعيد، رقصا على الرمل، وهما يمسكان ببعضهما البعض، ثم قبّلها.

"ماذا سنفعل حين نعود؟"، قال أخيراً، فيما جلسا جنباً إلى جنب، وهما يستمعان إلى الموسيقى في البعيد. "ماذا سأفعل من دونك؟". لقد طرح هذا السؤال على نفسه مراراً وتكراراً.

"مثلما فعلت دوماً"، قالت بهدوء. لم تكن تنوي تحطيم زواجه، أو حتى تشجيعه على التفكير في ذلك. ليس لديها الحق في ذلك، مهما حصل بينها وبين آندي. بالإضافة إلى ذلك، وعلى رغم الانجذاب الذي يتشاركانه، كانت بالكاد تعرفه نوعاً ما.

"ما الذي فعلته دوماً؟" سأل، وهو يبدو فجأة غير سعيد. "لم أعد أستطيع التذكر. فكل شيء سابق يبدو غير حقيقي بالنسبة إليّ الآن. لا أعرف حتى ما إذا كنت سعيداً". لكن الأسوأ من ذلك هو أنه بدأ يشك في أنه لم يكن سعيداً. وكان هذا مفهوماً جديداً بالنسبة إلى بيتر.

"لا يهم ذلك ربما. لا تحتاج ربما إلى طرح هذه الأسئلة على نفسك"، قالت بحكمة. "لدينا كل هذا الحق الآن... سيكون لدينا ذكرى اليوم. سيبقى ذلك معي لوقت طويل"، قالت بحزن، ثم نظرت إليه. عرف كلاهما حقيقة حياته، وأنه تمت خيانته من دون أن يعرف ذلك، لكنها لن تقول ذلك لــه أبداً. كان يختلق الأعذار لنفسه، وسمح لكايت وفرانك بإدارة كل شيء، بدءاً من منزله وصولاً إلى عمله. لقد حدث ذلك تدريجياً. والشيء الوحيد الذي أدهشه، حين ينظر إليه الآن، بعينيّ أوليفيا، هو أنه لم يستطع أن يفهم لماذا لم يلاحظ ذلك

أبداً. لكن من الأسهل عليه ألا يفعل ذلك.

"ماذا سأفعل من دونك؟" قال بيتر بيأس فيما دفعها بالقرب منه. لم يستطع تخيل عدم وجودها للتحدث إليها. لقد عاش أربعاً وأربعين عاماً من دونها، وأصبح الآن فجأة عاجزاً عن تحمل الانفصال عنها للحظة واحدة.

"لا تفكر في ذلك"، قالت لـــه، وقبّلته هي هذه المرة. وقد احتاجا إلى كل قواهما للابتعاد عن بعضهما مجدداً ومشيا ببطء نحو الفندق، فيما التفت ذراعاهما حول بعضهما. وفيما مشيا ببطء نحو غرفتها الصغيرة، ابتسم لها بيتر وهمس لها.

"يجدر بك ربما البقاء مستيقظة ورش المياه الباردة عليّ طوال الليل"، قال مع ابتسامة ماكرة. كان سيفعل أي شيء للحصول على عصا سحرية وتغيير ظروفهما، لكنهما عرفا أنهما لا يملكان الحق في ما يريدانه، وكان هذا اختباراً حقيقياً لقدرتهما على عدم إطلاق العنان لرغباتهما.

"سأفعل ذلك"، وعدت أوليفيا مع ابتسامة. لم تتصل بعد بآندي، ويبدو أنها لا تنوي فعل ذلك في الوقت الحاضر. ولم يذكر بيتر المسألة مجدداً. شعر أن الأمر يعود إليها لاتخاذ هذا القرار. لكن عنادها بشأن ذلك أثار حيرته، وتساءل ما إذا كانت تعاقبه أم أنها تخشى فقط الاتصال به.

التزمت أوليفيا بكلمتها حين دخلا إلى غرفتها. سلّمته كل الوسادات وإحدى البطانيات، وساعدته في إعداد سرير غريب على السجادة بالقرب من السرير. نام في سروال الجينز والقميص القطني وبقي عاري القدمين. أما هي فارتدت قميص النوم في حمامها الصغير. وأخيراً، استلقيا في الظلمة. نامت هي على السرير، وهو على الأرض قربها، وأمسكا أيديهما وتحدثا في الظلمة لساعات، لكنه لم يحاول أبداً تقبيلها. وكانت الساعة قرابة الرابعة فجراً حين توقفت أخيراً عن الكلام وخلدت إلى النوم. نهض بهدوء، ونظر إليها فيما تنام مثل الفتاة الصغيرة، وانحنى وقبلها بنعومة. ثم استلقى على الأرض مجدداً، على سريره الخاص، وفكر فيها حتى الصباح.

الفصل السادس

كانت الساعة قرابة العاشرة والنصف حين استيقظا في صباح اليوم التالي، وكانت الشمس تسطع عبر النافذة. استيقظت أوليفيا أولاً وكانت تنظر إليه من السرير حين فتح عينيه. ابتسمت لــــه لحظة رآها.

"صباح الخير"، همست لــــه بمرح، ودمدم هو فيما تقلب على ظهره. فعلى رغم السجادة والبطانية، كانت الأرضية قاسية وكان أكثر من متعب قليلاً بعدما خلد إلى النوم قرابة السابعة. "هل أنت متيبّس؟" شاهدت وجهه حين التفت، وعرضت عليه فرك ظهره. كانا فخورين جداً بنفسيهما لأنهما قضيا طوال الليل من دون إساءة التصرف.

"أودّ ذلك". قبل عرضها بفرك ظهره بابتسامة عريضة، واستلقى على بطنه مع دمدمة أخرى، الأمر الذي أعجبها. كانت لا تزال مستلقية على بطنها في السرير، ومتمددة نحوه، وتدلّك عنقه برفق، فيما استلقى هو بسعادة على الأرض وأغمض عينيه.

"هل نمت جيداً؟"، سألته وهي تدلّك كتفيه بعد عنقه وتحاول ألا تفكر في مدى نعومة بشرته. كانت بشرته ناعمة مثل الطفل.

"استلقيت هنا أفكر فيك طوال الليل"، قال بصدق. "هذا دليل على كوني رجلاً شريفاً وأحسنت التصرف، أو ربما دليلاً على الغباوة والتقدم في العمر". انقلب على ظهره ونظر إليها، وأمسك يديها في يديه، ثم ومن دون أي إنذار، جلس وقبّلها.

"لقد حلمت بك هذه الليلة"، قالت فيما جلس على الأرض قربها، ووجههما قريبان من بعضهما. تلاعبت يداه بشعرها، فيما قبّل شفتيها مجدداً ومجدداً. عرف أنه سيتركها بعد وقت قصير.

"ماذا حدث في الحلم؟" همس وقبّل عنقها، وقد بدأ ينسى ببطء وعوده لنفسه.

"كنت أسبح في المحيط، وبدأت أغرق... ثم أنقذتني. أظن أن هذا يمثل تماماً ما حصل منذ أن التقيت بك. كنت أغرق حين التقيتك"، قالت وهي تنظر إليه. وفي هذه المرة، وضع ذراعيه حولها وقبّلها. كان قد أصبح على ركبتيه حينها، وبدأت يداه فجأة تكتشفان ثدييها تحت قميص النوم. أنّت قليلاً حين لمسها، وأرادت أن تذكره بوعودهما المتبادلة، لكنها نسيتها هي أيضاً في برهة، وتمددت نحوه ودفعته صوبها.

أصبحت قبلاتهما أكثر شغفاً فيما سحبته ببطء إليها في السرير، وبعد برهة، أصبح جسماهما متشابكين، وعالقين بين الشراشف، فيما هي لا تزال في قميص النوم وهو في سروال الجينز. استلقيا هناك لوقت طويل، وهما يقبلان بعضهما البعض وينسيان نفساهما ويكتشفان أموراً في بعضهما وعدا ألا يكتشفاها. وفيما قبّلها بيتر، أراد التهامها، وابتلاعها كلها، إلى أن تصبح جزءاً منه ويستطيع إبقاءها بقربه إلى الأبد.

"بيتر..."، همست اسمه، وأمسكها بالقرب منه، ثم راح يقبّلها مجدداً وكانت هي تتمدد صوبه في شوق كلي.

"أوليفيا... لا... لا أريدك أن تندمي لاحقاً...". حاول أن يكون مسؤولاً، لأجلها أكثر مما لأجله أو لأجل كايت، لكنه لم يستطع كبح نفسه أيضاً. ومن دون قول أية كلمة، نزعت عنه سروال الجينز، وكانت قميصه القطني قد اختفت قبلاً، فيما رمى هو قميص نومها الرقيق في الهواء ليستقر في مكان ما على الأرض فيما بدأ يمارس الحب معها. كانت الساعة قرابة الظهر تقريباً حين التقطا أنفاسهما مجدداً، واستلقيا في ذراعيّ بعضهما، مرهقين ومتخمين. لكن أياً منهما لم يبدو أكثر سعادة يوماً، وابتسمت له أوليفيا من حيث هي مستلقية بين ذراعيه، فيما تشابكت ساقاها مع ساقيه الآن.

"بيتر... أنا أحبك..."

"هذا شيء جيد"، قال وهو يشدها بالقرب منه لدرجة أنهما أصبحا مثل شخص واحد، "لأني لم أحب أبداً اياً كان بهذا القدر في حياتي. أظن أني لست رجلاً شهماً في النهاية"، قال وهو يبدو نادماً قليلاً فقط، ومسروراً جداً بما فعلاه، فيما ابتسمت هي لـــه بنعاس.

"أنا مسرورة لأنك لست كذلك". تنهدت واقتربت أكثر منه.

لم يتفوها بأي شيء لوقت طويل، وإنما استلقيا في ذراعيّ بعضهما، وهما شاكرين لكل لحظة تشاركاها. وفي النهاية، وهما يعلمان أنهما سيضطران إلى ترك بعضهما مجدداً، مارسا الحب مرة أخيرة. وحين نهضا أخيراً، تشبثت به أوليفيا وبكت. لم تشأ أن تتركه أبداً، لكنهما عرفا أنه يجدر بهما ذلك. قررت أن تعود معه إلى باريس. وغادرا الفندق في الساعة الرابعة وهما يبدوان مثل ولدين مطرودين من جنة عدن.

توقفا لتناول السندويشات مع الجلوس على الشاطئ والنظر إلى المحيط.

"سأتمكن من تصوّرك هنا، إذا عدت"، قال بحزن، وهو ينظر إليها ويتمنى، تماماً مثلها هي، لو أنهما يستطيعان البقاء معاً إلى الأبد.

"هل ستأتي لزيارتي؟"، سألت وهي تبتسم لـــه بحزن، فيما تدلى شعرها فوق عينيها، وتناثرت حبيبات الرمل فوق وجهها حيث كانت مستلقية.

لكن بيتر لم يجب لوقت طويل. لم يكن واثقاً مما سيقوله لها. عرف أنه لا يستطيع قطع أية وعود. ما زالت لـــه حياة مع كايت، وقبل ساعة واحدة فقط، قالت أوليفيا إنها تفهم ذلك. لا تريد أن تسلبه أي شيء. فكل ما تريده هو تذكر ما تشاركاه في اليومين الماضيين. وهذا أكثر مما يعرفه بعض الأشخاص طوال حياتهم.

"سأحاول"، قال أخيراً، وهو لا يريد أن يخرق وعداً معها قبل أن يأخذه. عرف كلاهما كم سيكون ذلك صعباً، وقد قالا قبلاً إنهما لن يتابعا قصتهما الغرامية. يجب ألا يبقى منها شيئاً سوى الذكرى. لقد كانت حياتهما معقّدة جداً،

وهما متورطان كثيراً مع أشخاص آخرين. وحين تعود أوليفيا إلى عالمها، لن يسمح البابارازي الذين يتبعونها عادة بحصول شيء مثل هذا أبداً. فما تشاركاه كان أعجوبة ولا يمكن تكراره أبداً.

"أودّ العودة إلى هنا واستئجار منزل"، قالت أوليفيا بصوت عال. "أظن أني أستطيع الكتابة هنا".

"يجدر بك المحاولة"، قال فيما قبّلها.

رميا ما بقي من الغداء، ووقفا لبرهة، يداً بيد، ينظران إلى المحيط.

"أود التفكير بأننا سنعود إلى هنا يوماً ما. معاً، أعني"، قال بيتر وهو يعدها بشيء لم يجرؤ على قوله قبلاً، بأن هناك أملاً خافتاً وبعيداً للمستقبل. أو ربما ليوم آخر فقط. ذكرى أخرى لحملها معهما. لم تكن أوليفيا تتوقع أي شيء منه.

"سنفعل ربما"، قالت بهدوء. "إذا كان هذا قدرنا، قد يحصل ذلك ربما". لكن عليهما تخطي العقبات أولاً، والوثب فوق الحواجز، وتجاوز الحلقات النارية. لديه فيكوتيك لمتابعته حتى النهاية، وحميه للتنافس معه، وكايت التي تنتظره في كونيكتيكوت، فيما هي عليها العودة والتناقش مع آندي.

مشيا بهدوء إلى سيارته، وقد أحضرت معها بعض الطعام للطريق. وضعته في المقعد الخلفي وأملت ألا يستطيع ملاحظة الدموع في عينيها، لكنه أحسّ بها حتى من دون النظر إليها. أحس بها في قلبه. فقد كان يبكي للأسباب نفسها مثلها. أراد أكثر مما لديهما الحق فيه.

دفعها بالقرب منه فيما وقفا ينظران إلى البحر للمرة الأخيرة، وقال لها كم يحبها. أخبرته الشيء نفسه، ثم قبلا بعضهما مجدداً ودخلا أخيراً إلى سيارته المستأجرة للشروع في رحلة عودة طويلة إلى باريس.

بالكاد تحدثا مع بعضهما في البداية، ثم استرخيا مجدداً وبدآ يتحدثان. تحدث كل منهما عما حصل معه بطريقته، محاولاً استيعاب المسألة، والقبول بالقيود المحتّمة.

"سيكون الأمر صعباً جداً"، قالت أوليفيا وهي تبتسم عبر الدموع رغماً عنها فيما عبرا لا فيياروري، "حين أعرف أنك هناك في مكان ما ولا أستطيع أن أكون معك".

"أعرف"، قال لها وهو يشعر بثقل في حنجرته أيضاً. "كنت أفكر في الشيء نفسه حين غادرنا الفندق. سيصيبني ذلك بالجنون. إلى من سأتحدث؟".

"يمكنك الاتصال بين الحين والآخر"، قالت بأمل. "أستطيع أن أخبرك أين أكون".

لكنهما عرفا أنه حيثما يكون، سيبقى متزوجاً. "لا يبدو هذا عادلاً لك". لم يكن أي شيء عادلاً. تمثل الخطر في ما فعلاه، وهما يدركان ذلك تماماً. والواقع أن عدم ممارسة الحب لم تكن لتغير فعلياً أي شيء. وبطريقة ما، جعل ذلك الأمور أصعب قليلاً. لكن على الأقل بهذه الطريقة، أخذا كل شيء ويمكنهما حمله معهما.

"قد نلتقي ربما في مكان ما بعد ستة أشهر، لنرى فقط ماذا حلّ في حياتنا". بدت محرجة لبرهة، وهي تفكر في أحد أفلامها المفضلة مع كاري غرانت وديبوراه كير. كان هذا فيلماً كلاسيكياً وبكت بسببه آلاف المرات حين كانت شابة. "نستطيع أن نلتقي ربما في مبنى الإمباير ستايت"، قالت وهي تمازح، وهزّ هو رأسه بسرعة.

"ليس هذا جيداً. لن تظهري أبداً. سأصاب أنا بالجنون وتنتهين أنت في كرسي نقال. جربي فيلماً آخر". ابتسم هو وضحكت هي عليه.

"ماذا سنفعل؟"، سألت وهي تنظر عبر النافذة بحزن.

"نعود. نكون أقوياء. نعود إلى كل ما فعلناه قبلاً لينجح الأمر. أظن ان هذا أسهل بالنسبة إلي مما هو إليك. كنت مغفلاً جداً وأعمى، ولم أدرك حتى كم كنت غير سعيد. أظن أنه لديك الكثير من الأمور الواجب تسويتها. ستكون المشكلة بالنسبة إليّ جعل الأمر يبدو وكأن شيئاً لم يحدث، كما لو أني لم أشاهد الحقيقة خلال أسبوعي في باريس. كيف سأشرح ذلك؟"

"لست مضطراً ربما لفعل ذلك". تساءلت كيف ستزعزع فوضى فيكوتيك استقراره إذا لم ينجح العقار في الاختبارات. يجب الانتظار لمعرفة ذلك، وكان بيتر يزداد قلقاً بشأن ذلك.

"لماذا لا تراسليني أوليفيا؟"، قال أخيراً. دعيني أعرف على الأقل أين أنت. سأصاب بالجنون إذا لم أعرف. هل تعديني بذلك؟".

"طبعاً". هزت رأسها.

تحدثا خلال الطريق في الليل، وكانت الساعة قرابة الرابعة فجراً حين وصلا إلى باريس. توقف على بعد مبانٍ قليلة من الفندق، ورغم أنهما أصبحا متعبين كلاهما، ركن سيارته إلى جانب الطريق.

"هل أستطيع أن أشتري لك فنجان قهوة؟"، سألها وهو يتذكر لقاءهما في ساحة الكونكورد، وابتسمت هي بحزن.

"يمكنك أن تشتري لي أي شيء تريد، بيتر هاسكل".

"ما أريد أن أعطيه لك لا يمكن شراؤه، بأي ثمن"، قال وهو يشير إلى كل ما يشعره حيالها منذ أول لحظة رآها فيها. "أحبك. وسأفعل ذلك ربما لبقية حياتي. لن يكون هناك شخص مثلك أبداً. لم يحدث ذلك أبداً ولن يحدث البتة. تذكري ذلك، أينما كنت. أحبك". قبّلها طويلاً وبقوة، ثم تشبثا ببعضهما مثل شخصين يغرقان.

"أحبك كثيراً، بيتر. أتمنى لو أستطيع أن آخذك معي".

"أتمنى ذلك أنا أيضاً". عرف أن أياً منهما لن ينسى أبداً ما تشاركاه خلال اليومين الماضيين، وما جرى بينهما هذا الصباح.

أوصلها إلى الفندق بعدئذ، وجعلها تنزل من السيارة في الطرف البعيد من ساحة الفاندوم. لم تكن تحمل أية حقائب معها، وإنما فقط التنورة القطنية التي ارتدتها. وكانت قد لفت سروال الجينز خاصتها والقميص القطني وحملتهما معها. لم تترك أي شيء معه، سوى قلبها، ونظرت إليه لمرة أخيرة،

ثم قبّلها مجدداً وركضت عبر الساحة فيما الدموع تنهمر على وجنتيها حين تركته.

جلس هناك لوقت طويل، يفكر فيها، ويراقب مدخل الفندق حيث رآها للمرة الأخيرة. عرف أنه يفترض أن تكون وصلت إلى غرفتها حينها، ووعدته هذه المرة أن تعود ولا تختفي مجدداً. وإذا فعلت، أرادها أن تأتي إليه، أو تجعله يعرف على الأقل أين هي. لا يريد البحث هنا في كل فرنسا. فعلى عكس زوجها، كان بيتر مهتماً كثيراً بسلامتها. كان قلقاً بشأن كل شيء، بشأن ما فعلاه، بشأن ما سيحدث لها الآن بعد عودتها، وما إذا كان سيتم استغلالها أو لا، أو ما إذا كانت ستتركه هذه المرة. كان قلقاً بشأن مواجهة كايت مجدداً، حين يعود إلى كونيكتيكوت، وما إذا كانت ستشعر بأن شيئاً تغير بينهما. أو هل حصل ذلك؟ جعلته أوليفيا يدرك أن نجاحه من صنعه هو، لكنه ما زال يشعر بأنه مدين كثيراً لكايت، على رغم ما قالته أوليفيا لـــه. لا يستطيع التخلي عنها الآن. عليه المضي قدماً كأن شيئاً لم يحدث. وما حدث مع أوليفيا لا يملك أي ماضٍ أو حاضر أو مستقبل. إنه ببساطة لحظة، حلم، برهة، ماسة عثرا عليها في الرمل وحملاها. لكن كليهما لديه واجبات أخرى تحتل الأولوية. فكايت هي التي تشكل ماضيه، وحاضره، ومستقبله. والمشكلة الوحيدة هي الألم الذي في قلبه. وفيما عاد ماشياً إلى فندق الريتز، رأى أن قلبه سيتحطم فيما فكر في أوليفيا. تساءل ما إذا كان سيراها مجدداً، وأين هي في هذه اللحظة بالتحديد. فالحياة من دونها كانت تفوق التصور، لكن هذا كل ما يملكه الآن.

وحين فتح باب غرفته، شاهد الظرف الصغير في انتظاره. لقد اتصل الدكتور بول لويس سوكارد، وطلب أن يتصل به السيد هاسكل بأسرع وقت ممكن.

لقد عاد إلى الحياة الحقيقية، إلى الأشياء التي تهمه، إلى زوجته وأولاده وعمله. وفي مكان ما في البعيد، كانت المرأة التي عثر عليها لكنه لا يستطيع أبداً الحصول عليها، المرأة التي يحبها كثيراً.

وقف عند شرفته فيما الشمس أشرقت، وهو يفكر فيها. بدا كل ذلك مثل

حلم، وهو ربما كذلك. ما من شيء فيه حقيقي ربما. ساحة الكونكورد، المقهى في مونتمارتر... الشاطئ في لافافيير... كل ذلك. عرف أنه مهما كان شعوره حيالها، أو مهما كان ذلك جميلاً، عليه التخلي عنه الآن.

الفصل السابع

حين رنّ هاتف الاستيقاظ في الساعة الثامنة، كان بيتر مرهقاً جداً. وما أن أقفل سماعة الهاتف، تساءل لمَ يشعر بهذه الرهبة. شعر وكأن روحه مثقلة بالحزن، ثم تذكر فجأة. لقد رحلت عنه. انتهى الأمر. عليه الاتصال بسوكارد، والعودة إلى نيويورك ومواجهة فرانك، وكاتي. وقد عادت أوليفيا إلى زوجها.

كان يصعب تصديق مدى بؤسه حين وقف في الحمام، يفكر فيها، ويجبر عقله على العودة إلى العمل الذي يجدر به إتمامه هذا الصباح.

اتصل بسوكارد في تمام الساعة التاسعة، ورفض بول لويس إخباره ما هي النتائج. أصرّ على أن يأتي بيتر مباشرة إلى المختبر. قال إن كل الاختبارات انتهت الآن. أراد ساعة فقط من وقت بيتر، وقال إنه يستطيع اللحاق بسهولة بطائرة الساعة الثانية. انزعج بيتر من أنه لن يعطيه على الأقل خلاصة عن النتائج عبر الهاتف، ووافق على الحضور إلى مكتبه في العاشرة والنصف.

طلب القهوة والكرواسان، لكنه لم يتناول أي منهما. غادر الفندق في العاشرة ووصل قبل عشر دقائق. كان سوكارد في انتظاره، لكن وجهه كان مقطباً. إلا أن النتائج لم تكن في النهاية سيئة مثلما خشي بيتر، أو توقع بول لويس.

ثمة واحدة من المواد الأساسية في فيكوتيك خطرة بوضوح، ويحتمل أن يعثروا على بديل لها، لكن لا يجدر التخلي عن المنتج بكامله. يجب العمل عليه من جديد، كما قال سوكارد، ويمكن أن تكون هذه العملية طويلة. وعند الإلحاح عليه، اعترف بأنه يمكن إنجاز التغييرات في ستة أشهر أو سنة، أو ربما أقل في حال حصول أعجوبة، وإن كان هذا غير مرجح. ومن الناحية المنطقية،

يمكن أن تستغرق العملية سنتين تقريباً، وهذا أطول كثيراً مما توقعه بيتر بعد محادثتهما الأولى. وإذا خصصوا المزيد من فرق العمل لهذا المنتج، يحتمل أن يصبح فيكوتيك جاهزاً في أقل من سنة، وهذه ليست نهاية العالم، رغم أن الأمر مسبب للخيبة بلا شك. إلا أن المادة، كما هي موجودة الآن، ومثلما كانوا ينوون تسويقها، قاتلة ربما. يفترض ألا تكون كذلك، ويملك سوكارد عدة اقتراحات حول كيفية إجراء التعديلات اللازمة. لكن بيتر عرف أن فرانك لن يأخذ في الاعتبار أياً من هذه الأخبار الجيدة. إنه يكره التأجيلات، فضلاً عن أن البحث المسهب الواجب إنجازه مكلف كثيراً. ولا أمل في طلب القيام بتجارب بشرية مبكرة من دائرة العقاقير والأغذية، أو حضور الجلسة التي حددوها في سبتمبر بهدف وضع المنتج على "الخط السريع". فما أراده فرانك، طبعاً، كان الإطلاق المبكر للعقار بأسرع وقت ممكن، ليفضي إلى عائدات كبيرة، وهذا أمر مختلف عما أراده بيتر من المنتج. لكن مهما كانت أسبابهما أو أهدافهما، لا يمكن طلب أي شيء في الوقت الحاضر.

شكر بيتر بول لويس على رأيه وعلى بحثه المسهب، وجلس تائهاً في أفكاره فيما عاد إلى الفندق، وهو يحاول التفكير في الكلمات الصحيحة الواجب قولها لفرانك. لا تزال كلمات بول لويس ترنّ في أذنيه على نحو غير مريح: "فيكوتيك، كما هو الآن، قاتل". لا شك في أنهم لم ينووا ذلك، ولم يكن يريد ذلك لأمه وشقيقته. لكن بيتر لم يستطع نوعاً ما تخيل فرانك وهو يسمع الأخبار بطريقة منطقية، أو حتى كاتي. إنها تكره الأشياء التي تغضب والدها. لكن رغم ذلك، عليها أن تفهم هذه المرة. فما من أحد يريد سلسلة من المآسي، أو حتى مأساة واحدة، ولا يستيطعون السماح بحدوث ذلك.

وضب بيتر حقائبه عند عودته إلى الفندق، وفيما انتظر الدقائق العشر الأخيرة لوصول السيارة، قلّب الأخبار. وها هي. كان هذا تماماً ما توقعه. فأخبار الساعة هي أنه تم العثور على أوليفيا دوغلاس تاتشر. والقصة التي قالوها كانت غريبة جداً للتصديق، ولا شك في أنها لم تكن كذلك. لقد ذهبت

للقاء صديق، على ما يبدو، وتعرضت لحادث سيارة بسيط، وعانت من فقدان الذاكرة لثلاثة أيام. ويبدو أن أحداً في المستشفى الصغير الذي كانت فيه تعرّف إليها أو شاهد الأخبار، لكنها عادت في الليلة الفائتة إلى رشدها مجدداً وها قد عادت الآن بسعادة إلى زوجها.

"هذا كثير على الصحافة الصادقة"، قال بيتر، وهو يهزّ رأسه ويبدو متقززاً. ثم عرضوا الصور القديمة نفسها التي تظهر فيها متعبة، وأجروا بعدها مقابلة مع طبيب أعصاب حول ضرر الدماغ الدائم الناجم عن ارتجاج بسيط. لكنهم أنهوا التقرير متمنين أن تتعافى السيدة تاتشر تماماً وبسرعة. "آمين"، قال فيما غيّر القناة. نظر حول الغرفة للمرة الأخيرة، وحمل حقيبته. لقد رحلت حقيبته الكبيرة، وما من شيء آخر لفعله سوى مغادرة غرفته في الفندق.

لكنه شعر بحنان غريب هذه المرة عند مغادرة الغرفة. لقد حدث الكثير خلال هذه الرحلة، وأراد فجأة أن يصعد إلى الأعلى، لرؤيتها. سوف يطرق على باب جناحها، ويقول إنه صديق قديم... وسيظن آندي تاتشر ربما أنه مجنون. تساءل بيتر ما إذا كان شك في أي شيء خلال الأيام الثلاثة الماضية، أو أنه لا يهتم. كان يصعب تخمين ذلك، فضلاً عن أن القصة التي أخبروها للصحافة ضعيفة جداً. رأى بيتر أن هذا سخيف وتساءل من الذي ابتكر هذه القصة.

وحين نزل إلى الأسفل، كانت الشخصيات العادية موجودة، مثل العرب واليابانيين. بدا أن هناك مجموعة جديدة من الواصلين الذين يسجلون أسماءهم فيما مرّ بيتر أمام مكتب الاستقبال. وكانت هناك مجموعة كبيرة من الرجال الذين يرتدون البذلات الرسمية ويضعون سماعات الأذن ويحملون أجهزة اللاسلكي فيما خرج من الباب الرئيسي. ثم شاهدها في البعيد. كانت على وشك الدخول إلى سيارة ليموزين، فيما كان آندي قد دخلها مع اثنين من رجاله. كان بعيداً عنها، يتحدث إلى رجاله، وكأنها شعرت بوجود بيتر في الجوار، ألقت

أوليفيا نظرة فوق كتفها. توقفت، مسمّرة، ونظرت إليه. التقت عيناهما لوقت طويل، وخشي بيتر من أن يلاحظ أحد ذلك. أومأ لها قليلاً برأسه، ثم، وكأنها اضطرت إلى إبعاد نفسها عنه مجدداً، دخلت إلى الليموزين، وأغلق الباب، ووقف بيتر يحدق فيها من الرصيف، عاجزاً عن رؤية شيء عبر النوافذ الداكنة.

"سيارتك في الانتظار، سيدي"، قال لـــه البواب بتهذيب، وهو يسعى إلى تفادي زحمة سير أمام الريتز. ثمة عارضتان تحاولان المغادرة للتصوير، وكانت ليموزين بيتر تعيقهما. وكانتا تشعران بالهستيريا، وتصرخان عليه وتلوحان لـــه.

"آسف". أعطى المال للبواب ودخل إلى السيارة، ومن دون أية كلمة أخرى، أو حتى نظرة أخيرة عليها، نظر مباشرة أمامه فيما توجه السائق بسرعة نحو المطار.

وفي سيارتهما، كان آندي يصطحب أوليفيا للقاء اثنين من رجال الكونغرس والسفير في السفارة. إنه اجتماع خطط لـــه طوال الأسبوع، وقد أصرّ على أن تذهب معه. كان غاضباً منها في البداية، وعلى الجلبة التي سببتها، لكن بعد ساعة واحدة من عودتها آمنة، استنتج أن اختفائها كان ربحاً بالنسبة إليه. استنبط هو ومدراؤه سلسلة من الاحتمالات، والتي صممت كلها لإثارة الشفقة، ولاسيما في ضوء مشاريعه الحالية. أراد أن يجعلها جاكلين كيندي أخرى. كانت تملك المظهر المناسب لذلك، ولها الميزة الضالة نفسها، فضلاً عن أناقتها الطبيعية وشجاعتها في وجه العدائية. رأى مستشاروه أنها مثالية. عليهم الانتباه إليها أكثر مما فعلوا في الماضي، وصقلها قليلاً، لكنهم كانوا أكيدين من أنها تستطيع فعل ذلك.

إلا أنه توجب عليها التوقف عن الهروب. فقد فعلت شيئاً مثل هذا لفترة حين مات ألكس، طارت لبضعة ساعات، واختفت ليلة في مكان ما، علماً أنها تكون عادة عند شقيقها أو أهلها. وقد طال غيابها هذه المرة أكثر من الماضي،

لكنه لم يشعر حقاً انها في خطر. عرف أنها ستظهر في النهاية، لكنه أمل في ألا ترتكب حماقة في غضون ذلك. وقد قال لها رأيه في ذلك مباشرة قبل مغادرتهما للسفارة، وأخبرها بما يتوقعه منها الآن. قالت في البداية إنها لن تذهب معه. وعارضت بشدة القصة التي أعطوها للصحافة بشأنها.

"أبدو مثل مغفلة كبيرة"، قالت، مذعورة. "امرأة مجنونة"، قالت وهي تتذمر بشدة من القصة.

"لم تتركي لنا الكثير من الخيارات. ما الذي تريدين أن نقوله؟ أنك كنت ثملة في فندق في مكان ما لثلاثة أيام؟ أو هل يجدر بنا قول الحقيقة؟ وما هي الحقيقة، في أية حال، أو هل يجدر بي معرفتها؟"

"ليست ممتعة بقدر أي شيء ابتكرته. احتجت إلى بعض الوقت لنفسي. هذا كل شيء".

"هذا ما ظننته"، قال وهو يبدو ضجراً أكثر مما هو منزعج. لقد اختفى هو أيضاً مرات عدة، لكنه كان أكثر ذكاء من زوجته. "في المرة التالية، يمكنك ترك ملاحظة لي، أو إخبار شخص ما".

"كنت سأفعل ذلك"، قالت وهي تبدو محرجة هذه المرة، "ثم لم أكن واثقة من أنك ستلاحظ".

"تظنين أني لا أدرك أبداً ما يجري"، قال وهو يبدو منزعجاً.

"ألست كذلك؟ بشأني على الأقل". ثم استجمعت شجاعتها وقالت ما خططت لـــه منذ وقت طويل. "أودّ التحدث إليك بعد الظهر. حين نعود ربما من السفارة".

"لديّ غداء"، قال وبدأ يفقد الاهتمام فيها على الفور. لقد عادت. لم تحرجه. لقد أرضوا الصحافة. إنه يحتاج إليها في السفارة، ولديه بعد ذلك أشياء أخرى للتفكير فيها.

"سيكون بعد ظهر اليوم ملائماً"، قالت ببرودة. استطاعت أن تلاحظ في

عينيه تلك النظرة القائلة إنه لا يملك الوقت لها. كانت هذه نظرة مألوفة بالنسبة إليها، وليست نظرة تقرّبه منها.

"هل من خطب؟"، سأل مع نظرة متفاجئة. فمن النادر أن تطلب وقته، لكنه لم يشك أبداً في ما هو آت.

"أبداً. أختفي دوماً لثلاثة أيام دفعة واحدة. ما الذي يمكن أن يكون خطأ؟". لم يحب النظرة في عينيها ولا طريقة قولها لذلك.

"كنت محظوظة لأني تمكنت من تمويه ذلك عنك، أوليفيا. ولو كنت مكانك، لما تذمرت كثيراً. لا يمكن أن تتوقعي أن تهربي بعيداً هكذا، وأن يسرّ الجميع حين تعودين إلى المنزل. ولو أرادت الصحافة ذلك، كان بإمكانها تأنيبك. لمَ لا تتوقفين إذاً"، قال لها. كان مدركاً تماماً أن مثل هذه الأعمال الجريئة يمكن أن تضر كثيراً بحظوظه.

"آسفة"، قالت وهي تبدو متجهمة. "لم أقصد أن أسبب لك الكثير من المشاكل". لم يقل لها أبداً أنه قلق عليها، أو خشي أن تكون تعرضت لأذى. في الحقيقة، لم يفكر أبداً في ذلك. فهو يعرفها جيداً، وبقي مقتنعاً بأنها مختبئة. "لماذا لا نتحدث بعدما تعود من مواعيدك بعد الظهر؟ يمكن أن تنتظر الأمور حتى ذلك". حاولت أن تقول ذلك بهدوء. لكنها كانت غاضبة منه أيضاً. لطالما خذلها. لم يعد مهتماً بها منذ أعوام. وأصبح من الأصعب الآن مقارنته مع بيتر.

كان بيتر كل ما تستطيع التفكير فيه، وحين غادرا إلى السفارة بعد برهة، كاد قلبها أن يتحطم حين شاهدته. خشيت أن توحي لــه بأية إشارة. عرفت أن الصحافة ستراقبها عن كثب لفترة. وهي تشكك ربما في القصة الملفقة أيضاً، وسوف تسرّ بأي نبأ سار يمكن أن يصدر.

تاهت في أفكارها طوال الوقت الذي كانوا فيه في السفارة. ولم يطلب منها آندي الانضمام إليه لتناول الغداء بعد ذلك. لديه موعد طويل مع سياسي فرنسي. لكن حين عاد في الساعة الرابعة، لم يكن مستعداً أبدً لما قالته لــه.

كانت تنتظره بهدوء في غرفة الجلوس في الجناح، وهي تجلس في كرسي وتحدق عبر النافذة. كان بيتر في الطائرة في طريقه إلى نيويورك عندئذ، وكل ما استطاعت التفكير به كان هو. إنه يعود "إليهم"، إلى الأشخاص الآخرين في حياته، إلى الذين لا يهتمون به. وعادت هي إلى المستغلين أيضاً، ولكن ليس لوقت طويل.

"ما هي القصة الكبيرة؟" سأل آندي حين دخل. كان اثنان من مساعديه معه، لكن حين شاهد وجهها، ولاحظ مدى جديتها، صرفهما بسرعة. شاهد هذا المظهر مرة أو مرتين، حين مات شقيقه وحين مات ألكس. أما بقية الوقت فكانت تبدو بعيدة عنه، ومنعزلة عن العالم الذي يعيش فيه.

"لديّ شيء أريد قوله لك"، قالت بهدوء، غير واثقة من أين تبدأ. وكل ما تعرفه هو أنه عليها إخباره.

"تصورت ذلك"، قال وهو يبدو أكثر وسامة من أي رجل تعرفه. كانت عيناه الزرقاوان كبيرتين، وجعله شعره الأشقر يبدو مثل صبي صغير. كان يملك كتفين عريضين، وخصراً نحيلاً، وفيما جلس في إحدى الكراسي المقصبة، شبك رجليه. لكن أوليفيا لم تعد تتأثر به بعد الآن، ولم يعد يسحرها. عرفت كم هو أناني، وكم هو مهووس، وكم هو لا يهتم بها أبداً.

"سوف أرحل"، قالت ببساطة. هذا هو. لقد قالته. انتهى.

"ترحلين إلى أين؟"، سأل وهو يبدو مرتبكاً. لم يفهم حتى ما قالته، واستطاعت فقط أن تبتسم على ذلك. كان هذا يفوق فهمه أو تصوّره.

"أنا أتركك"، فسرت لـــه الأمر، "ما إن نعود إلى واشنطن. لم أعد أستطيع المتابعة. لهذا السبب، ابتعدت في الأيام القليلة الماضية. كان عليّ التفكير في ذلك. لكني واثقة الآن". أرادت أن تشعر بالأسف لما تقوله لــه، لكنهما عرفا أنها غير آسفة. ولم يكن هو آسفاً أيضاً، وإنما فقط مذهول.

"توقيتك ليس رائعاً"، قال بتأمل، لكنه لم يسألها عن سبب رحيلها.

"لم يكن أبداً كذلك. ما من وقت جيد أبداً لشيء مثل هذا. إنه المرض. ليس ملائماً أبداً". كانت تفكر في ألكس، وأومأ هو برأسه. عرف كم كان هذا الأمر صعباً بالنسبة إليها. لكن مضى عامان على ذلك. بطريقة ما، ظن أنها لم تتعاف أبداً، ولا زواجهما أيضاً.

"هل من شيء محدد دفعك إلى ذلك؟ هل من شيء يزعجك؟". لم يزعج نفسه لسؤالها ما إذا كان هناك شخص آخر. كان يعرفها أفضل من ذلك، وشعر بسهولة أنه لا يوجد أحد. وكان مقتنعاً تماماً بأنه يعرف كل شيء عنها.

"هناك الكثير من الأمور التي تزعجني آندي. أنت تعرف ذلك". تبادل الاثنان نظرة طويلة، ولم ينكر أي منهما أنهما أصبحا غريبين. لم تعد تعرف حتى من يكون الآن. "لم أشأ أبداً أن أكون زوجة سياسي. قلت لك ذلك حين تزوجنا".

"لا حيلة لي في ذلك، أوليفيا. فالأمور تتغير. لم أتوقع أبداً أن يقتل طوم. لم أتوقع أبداً الكثير من الأمور. ولا أنت أيضاً. الأمور تحصل. عليك بذل ما بوسعك لمواجهتها".

"لقد فعلت ذلك. كنت هناك لأجلك. ناضلت معك. فعلت كل شيء توقعته، لكننا لم نعد متزوجين، آندي، وأنت تعرف ذلك. لم تعد موجوداً لأجلي منذ أعوام. لا أعرف حتى من تكون الآن".

"أنا آسف"، قال بهدوء، وبدا صادقاً، لكنه لم يعرض تغيير ذلك. "هذا وقت سيء لكي تفعلي ذلك بي". نظر إليها بنظرة ثاقبة كانت ستخيفها لو عرفت في ما يفكر. إنه يحتاج إليها بشدة، ولا مجال أبداً أن يسمح لها بالرحيل. "ثمة شيء كنت أنوي مناقشته معك. لم أتخذ القرار النهائي حتى الأسبوع الماضي". ومهما كان القرار، كان واضحاً لها أنها ليست جزءاً منه. "أردتك أن تكوني بين أول الأشخاص الذين يعرفون ذلك، أوليفيا". "بين أول الأشخاص" وليس أول الأشخاص، وهذه هي كل القصة في السنوات الأخيرة من زواجهما. "سوف أترشح للرئاسة في السنة المقبلة. وهذا يعني كل شيء

بالنسبة إلي. وأنا أحتاج إلى مساعدتك للفوز". جلست تحدق فيه، ولو ضربها بقبعة بايسبول، لما كانت الضربة أقوى. ليس لأنها لم تكن تتوقع ذلك. عرفت أن هذا محتمل، لكنه الآن حقيقة، وجعلتها طريقة قوله لذلك أشبه بقنبلة بين يديها، علماً أنها لا تملك فكرة عما يجب فعله الآن. "كنت أفكر كثيراً في ذلك، وأنا أعرف شعورك حيال الحملات السياسية. لكني أتخيل أن هناك بعض الإغراء في أن تكوني السيدة الأولى". قال هذا مع ابتسامة صغيرة، لتشجيعها، لكنها لم تبتسم لـــه. بدت مذعورة. فآخر شيء تريده في العالم هو أن تكون السيدة الأولى.

"لا إغراء في أي شيء"، قالت وهي ترتعد.

"لكن هناك إغراء بالنسبة إليّ"، قال بفظاظة. فهذا الشيء الوحيد الذي يريده، أكثر مما يريدها أو يريد أي زواج. "ولا أستطيع فعل ذلك من دونك. فما من شيء أسوأ من الرئيس المنفصل عن زوجته أو المطلق. وليس هذا جديداً عليك". لقد أصبحت محترفة في السياسة، بعد أن نشأت مع والدها. لكن حين نظر إليها، خطرت لـــه فكرة. فعليه على الأقل إنقاذ ما يستطيع من ذلك، رغم أنه لم يبذل أي جهد لإقناعها بأنه ما زال يحبها. إنها ذكية جداً على ذلك، وقد أثبت لها ذلك مرات عدة. لقد تأزمت العلاقة كثيراً، وهما يعرفان ذلك.

"دعيني أقترح شيئاً عليك"، قال لها بكثير من الاهتمام. "ليست هذه فكرة رومنسية تماماً، لكنها قد تلائم احتياجاتنا معاً. أنا أحتاج إليك. للسنوات الخمس القادمة على الأقل، من الناحية العملية. سنة واحدة للحملة الانتخابية وأربع سنوات أخرى لولايتي الأولى. بعد ذلك، يمكننا التفاوض مجدداً، أو يتوجب على البلاد التكيف مع وضعنا. يحين الوقت ربما ليفهم الأشخاص أن الرئيس إنسان أيضاً. في النهاية، أنظري إلى ما كان عليه الأمير تشارلز والأميرة ديانا. لقد تحملت انكلترا ذلك، وسنفعل نحن ذلك حتماً". برأيه، لقد أصبح الرئيس، ويتوجب على الناس التكيف معه، تماماً مثلما فعلت هي.

"لست واثقة تماماً من أننا من هذا النوع"، قالت بسخرية، لكنه لم يلاحظ على ما يبدو.

"في أية حال"، تابع، متجاهلاً إياها ومفكّراً في المستقبل ومركّزاً على جعل المسألة تبدو مغرية، "نحن نتحدث عن خمس سنوات. أنت شابة جداً، أوليفيا. يمكنك تحمّل ذلك، وسوف يمنحك ذلك ميزة لم تكن لديك قبلاً. لن يشعر الناس بالأسف فقط حيالك، وإنما بالفضول نحوك، ويتوصلون في النهاية إلى "عشقك". نستطيع أنا ورجالي أن نجعل ذلك يحدث". أرادت التقيؤ حين سمعت ذلك، لكنها تركته يتابع. "سوف أضع خمس مئة ألف دولار في حسابك في نهاية كل عام، بعد الضرائب. وفي نهاية الخمس سنوات، يصبح لديك مليونين ونصف مليون دولار". رفع يده لاستباق أي تعليق. "أعرف أنه لا يمكن شراؤك، لكن إذا أردت الرحيل بعد ذلك، يكون لديك نواة جيدة للاستثمار. وإذا أنجبنا ولداً آخر"، ابتسم لها، وهو يجعل الصفقة تبدو أكثر جمالاً، "سأعطيك مليوناً آخر. كنا نتحدث عن ذلك في الآونة الأخيرة، وأظن أن هذه قد تكون مسألة مهمة. لا تريدين أن يظن الأشخاص أن هناك شيئاً غريباً فينا، أو يقولون إننا لوطيان، أو أنك مهووسة بالمأساة. لقد قالوا ما يكفي لغاية الآن. أظن أنه حان الوقت لنا للمضي قدماً وإنجاب ولد آخر". لم تستطع أوليفيا أن تصدق ما سمعته. "إننا نتحدث عن طفل"، يعني هو والمسؤولين عن حملته الانتخابية. كان هذا أكثر من مقرف.

"لمَ لا نستأجر طفلاً ببساطة؟" قالت ببرودة. "لا يمكن أن يعرف أحد بذلك. يمكننا اصطحابه معنا في الحملات الانتخابية، ومن ثم إعادته حين نعود إلى المنزل. فهذا أسهل كثيراً. الأطفال يسببون الكثير من الفوضى والكثير من المشاكل". لم يحب النظرة في عينيها حين قالت ذلك.

"إن مثل هذه التعليقات غير ضرورية"، قال بهدوء، وهو يبدو تماماً على حقيقته، أي صبياً غنياً ذهب إلى أفضل المدارس، ودخل إلى جامعة هارفارد ودرس الحقوق. لديه الكثير من المال العائلي، ولطالما اعتقد أنه ما من شيء لا يستطيع الحصول عليه إذا اشتراه أو عمل بكد كافٍ. وهو يرغب في فعل الاثنين معاً، ولكن ليس من أجلها. ولا مجال أبداً لأن تنجب ولداً آخر منه. فهو

لم يهتم أبداً بالولد الأول، منذ أن أصيب بالسرطان. وكان هذا جزءاً من السبب الذي جعل موت ألكس صعباً جداً عليها، وأسهل نوعاً ما بالنسبة إلى آندي. فهو لم يكن أبداً قريباً من ابنهما مثلما كانت هي.

"إن اقتراحك مثير للغضب. وهذا أقرف شيء سمعته في حياتي"، قالت مع نظرة غاضبة. "تريد شراء خمس سنوات من حياتي، بسعر معقول، وتريدني أن أنجب ولداً آخر لأن هذا سيساعدك على الفوز. قد أتقيأ إذا جلست هنا وأصغيت إليك لوقت أطول". أخبره مظهر وجهها برأيها تماماً في اقتراحه.

"لطالما أحببت الأولاد. لا أفهم لمَ هذه مشكلة؟"

"لم أعد أحبك أبداً، آندي، ولهذا السبب، أو لجزء منه. كيف يمكن أن تكون غير حساس لهذه الدرجة؟ ما الذي حدث لك؟" حرقت الدموع عينيها، لكنها رفضت البكاء من أجله. فهو لا يستحق ذلك. "أنا أحب الأولاد. وما زلت أفعل. لكني لن أنجب طفلاً للحملة الانتخابية، من رجل لا يحبني. هل كنت تقترح أن نفعل ذلك بالتلقيح الاصطناعي؟" فهو لم يضاجعها منذ أشهر، ولم تعد تهتم فعلاً. إنه لا يملك الوقت، ولديه موارد أخرى يستثمرها بانتظام، فيما لا تملك هي أي اهتمام.

"أظن أنك تفرطين في ردة الفعل"، قال لها، لكنه شعر بالقليل من الإحراج نتيجة ما قالته. كان هناك بعض الحقيقة في ذلك، وهو يعرف ذلك. لكنه لا يستطيع التراجع الآن. فمن المهم لــه أن يتغلب عليها. لقد قال لمدير حملته الانتخابية إنها سترفض إنجاب الطفل. فقد كانت متعلقة كثيراً بطفلهما الأول، وشعرُت باضطراب شديد حين مات، وظن أنها لن ترغب أبداً في إنجاب طفل آخر. فهي تخاف كثيراً الآن أن تخسره. "حسناً، لكني أود أن تفكري في الأمر. فلنقل مليون دولار لكل سنة. هذه خمسة ملايين دولار في خمس سنوات، ومليونين إضافيين إذا أنجبت طفلاً". كان جاداً وكل ما استطاعت فعله الآن هو الضحك.

"هل تظن أنه يجدر بي طلب مليونيّ دولار لكل سنة، وثلاثة ملايين إذا

أنجبت طفلاً؟ ما رأيك في ذلك"، ادعت أنها تفكر في المسألة، "لنرى... أي ستة ملايين إذا أنجبت توأماً... وتسعة ملايين إذا أنجبت ثلاثة توائم. أستطيع تلقي حقن "بيرغونال"... أو ربما حتى أربعة توائم". التفتت ونظرت إليه بعينين مجروحتين. من هو هذا الرجل الذي آمنت به في ما مضى؟ كيف يمكن أنها أخطأت جداً به؟ وعند الإصغاء إليه، تساءلت ما إذا كان إنساناً يوماً، رغم أنها عرفت في أعماق قلبها أنه كان فعلاً كذلك في البداية. والواقع أنه بسبب الشخص الذي كان عليه يوماً، وليس الشخص الذي أصبح عليه الآن، بقيت وأصغت. "إذا فعلت أياً من هذا لك، وأشك في أن أفعل، سيكون هذا نوعاً من الوفاء المشوه لك، وليس طمعاً بك أو لأني أحاول استغلالك. لكني أعرف كم تريد ذلك بشدة". ستكون هذه هديتها الأخيرة لـــه، ولن تشعر بعدها بالذنب إذا رحلت.

"هذا كل ما أريده، أوليفيا"، قال وكان شاحباً جداً. وعرفت أنه كان صادقاً لمرة واحدة.

"سوف أفكر في الأمر"، قالت بهدوء. لم تعد تعرف ما تفعل الآن. في هذا الصباح، كانت مقتنعة بأنها ستعود إلى لا فافيير في نهاية الأسبوع، وهي الآن على وشك أن تصبح السيدة الأولى. هذا كابوس. لكنها شعرت كما لو أنها تدين لـــه بشيء ما. فهو لا يزال زوجها، وكان والد طفلها، ويمكنها أن تساعده للحصول على الشيء الوحيد الذي يريده في الحياة. وهذه هدية رائعة لأي كان. ومن دونها، عرفت أنه لن يستطيع فعل ذلك.

"أريد أن أعلن الأمر خلال يومين. سوف نعود إلى واشنطن غداً".

"شكراً لأنك أخبرتني".

"إذا بقيت في مكانك، يمكنك الحصول ربما على مشاريع سفرنا"، قال بفظاظة، وهو يراقبها، ويتساءل عن القرار الذي سوف تتخذه. لكنه يعرفها جيداً ويدرك أنه لا يستطيع إجبارها. تساءل ما إذا كان التحدث إلى والدها سيجدي نفعاً، لكنه خشي أن تتحول المسألة ضده في النهاية.

كانت ليلة طويلة ومؤلمة لها في الفندق، وتمنت لو أنها تستطيع الذهاب في نزهة طويلة لوحدها. تحتاج إلى الوقت للتفكير، لكنها تعرف تماماً أن رجال الأمن يراقبونها عن كثب. وتمنت أكثر من أي شيء آخر لو تستطيع التحدث إلى بيتر. تساءلت ما سيكون رأيه، وهل سيقول إنها تدين لآندي بهذه الهدية الأخيرة بحيث تكون آخر دليل رائع على الوفاء، أو هل سيقول إنها مجنونة. تبدو خمس سنوات بمثابة دهر، وعرفت أنها ستكره هذه السنوات الخمس، خصوصاً إذا ربح الانتخابات.

لكن في الصباح، اتخذت قرارها والتقت آندي خلال الفطور. بدا عصبياً وشاحباً، ليس بسبب إمكانية خسارتها، وإنما بسبب خوفه الكبير من ألا تساعده في فوز الانتخابات.

"أفترض أنه يجدر بي أن أقول شيئاً فلسفياً"، قالت عند تناول القهوة والكرواسان. لقد طلب من الجميع الرحيل، وهذا أمر نادر بالنسبة إليه. فهي لم تجلس لوحدها معه منذ سنوات، إلا في السرير خلال الليل، وكانت هذه المرة الثانية خلال يومين. نظر إليها بغرابة، وهو مقتنع تماماً من أنها سترفضه. "لكني أعتقد أننا تخطينا الفلسفة، أليس كذلك؟ أتساءل دوماً كيف وصلنا إلى هنا. ما زلت أذكر البداية. أظن أنك كنت تحبني آنذاك، ولا أستطيع أن أفهم أبداً ما الذي حدث. أذكر الأحداث، مثل الأفلام الإخبارية القصيرة التي أعرضها في رأسي، لكني لا أستطيع أن أتذكر بالضبط اللحظة التي فسدت فيها الأمور. هل تستطيع؟"، سألته بحزن.

"لست واثقاً من أن هذا يهم"، قال وهو يبدو مقهوراً. لقد عرف ما ستقوله لـــه. لم يظن أبداً أنها ستكون انتقامية هكذا. لديه نصيبه من التلكؤات، وقد قام بالكثير من الأشياء، لكنه لم يظن أبداً أن هذا يهمها فعلاً. أدرك الآن أنه كان أحمق جداً. "أظن أن الأمور حصلت مع الوقت. ومات شقيقي. لا تعرفين كيف كان ذلك بالنسبة إلي. كنت هناك، لكن الأمر كان مختلفاً بالنسبة إليّ. ففجأة، كل ما كان متوقعاً منه أصبح متوقعاً مني. عليّ التوقف عن كوني أنا وأصبح

هو. أظن أننا تهنا أنت وأنا في الدوامة".

"كان يجدر بك إخباري آنذاك ربما". ما كان يجدر بها إنجاب ألكس أبداً ربما. كان يجدر بها ربما تركه منذ البداية. لكنها ما كانت لتتخلى عن السنتين من عمر ألكس مقابل أي شيء. لكنها لا تريد رغم ذلك إنجاب ولد آخر الآن. أدركت، حين نظرت إليه، أنه عليها إخراج آندي من بؤسه. فقد كان يموت فيما انتظرها لتنتهي ما تريد قوله. وقررت فعل ذلك بسرعة. "قررت الموافقة على البقاء معك خلال السنوات الخمس المقبلة، مقابل مليون دولار عن كل سنة. ليس لديّ فكرة عما أريد فعله بالمال، توزيعه على جمعية خيرية، أو شراء قصر في سويسرا، أو تأسيس مركز للأبحاث باسم ألكس، أو أي شيء. سوف أفكر في ذلك لاحقاً. لقد عرضت عليّ مليون دولار وأنا أقبل بذلك. لكن لديّ شروطي أيضاً. أريدك أن تضمن لي خروجي في نهاية السنوات الخمس، سواء أعيد انتخابك أم لا. وإذا خسرت هذه المرة، تنتهي كل الرهانات وأرحل أنا في اليوم التالي للانتخابات. ولا يعود هناك أي ادعاء زائف. سوف أقبل بكل الصور التي تريدها، ومرافقتك في الحملات الانتخابية، لكننا لم نعد متزوجين أنا وأنت. لا يفترض بأي شخص آخر أن يعرف ذلك، لكني أريد أن يكون الأمر واضحاً بيننا. أريد غرفة نومي الخاصة أينما ذهبنا، ولن يكون هناك المزيد من الأولاد". كان هذا فظاً، وسريعاً، وصريحاً، وقد انتهى. لكنها أجبرت نفسها على القبول بحكم بالسجن لمدة خمس سنوات، وكان هو مصدوماً جداً بحيث لم يبدُ مسروراً.

"كيف يفترض بي أن أبرر غرفة النوم المنفصلة؟" بدا قلقاً ومسروراً دفعة واحدة. لقد حصل على كل شيء يريده تقريباً، سوى الطفل، وكانت هذه فكرة مدير حملته الانتخابية أساساً.

"قل لهم إني مصابة بالأرق"، أجابت على سؤاله، "أو إني أعاني من الكوابيس". كانت هذه فكرة جيدة، وتصوّر أنهم سيخترعون قصة لتغطية الموضوع... لديه الكثير من العمل الواجب إنجازه... ضغط الرئاسة... شيئاً مثل هذا.

"ماذا عن التبني؟" كان يتفاوض على آخر نقاط الصفقة، لكنها بقيت مصرة على موقفها هذا.

"إنسَ الأمر. لست في صدد شراء أطفال للسياسة. لن أفعل هذا بأي كان، وليس حتماً بطفل بريء. إنهم يستحقون حياة أفضل من هذه، وأهلاً أفضل". فكرت في أحد الأيام في أنها قد ترغب ربما في إنجاب ولد آخر، أو حتى تبني واحد، ولكن ليس منه، وليس كجزء من صفقة أعمال عديمة الشفقة مثل هذه. "وأريد كل ذلك في عقد مكتوب. أنت محامٍ، ويمكنك إعداد العقد بنفسك، بيننا نحن فقط، من دون أن يراه أي شخص آخر".

"تحتاجين إلى شهود"، قال وهو لا يزال يبدو مذهولاً. لقد أربكته تماماً بجوابها. فبعد كل ما قالته في الليلة الفائتة، كان واثقاً من أنها لن تفعل ذلك.

"أعثر إذاً على شخص تثق به"، قالت بهدوء، لكن هذا كان طلباً صعباً في عالمه. فكل شخص محيط به يمكن أن يبيعه في لحظة.

"لا أعرف ما الذي أقوله لك"، قال وهو لا يزال يبدو مذهولاً".

"لم يبق هناك الكثير لقوله، آندي، أليس كذلك؟". بلمحة واحدة، ها هو يترشح للرئاسة وينهار زواجهما. جعلها ذلك حزينة، وفكرت في الأمر، لكن لم يبقَ أي حنان ولا حتى صداقة بينهما. ستكون خمس سنوات طويلة بالنسبة إليها، وأملت، من أجلها هي، ألا يفوز في الانتخابات.

"ما الذي جعلك تقبلين بهذا؟" سأل بنعومة، وهو يشعر بالامتنان أكثر مما فعل حيال أي شخص في حياته.

"لا أعرف. شعرت أني أدين لك بهذا. من غير الصحيح أن يكون لدي القدرة على منحك شيئاً تريده كثيراً، وأمنعه عنك. فأنت لا تحرمني من أي شيء أريده فعلاً، سوى الحرية. أريد أن أكتب في النهاية، لكن هذا يستطيع الانتظار". نظرت إليه باهتمام، وأدرك، للمرة الأولى منذ سنوات، أنه لم يعرفها أبداً.

"شكراً لك أوليفيا"، قال بهدوء فيما نهض.

"حظاً سعيداً"، قالت بنعومة، وأومأ هو برأسه فيما غادر الغرفة، من دون النظر إليها. وأدركت هي حين غادر الغرفة أنه لم يقبّلها أبداً.

الفصل الثامن

حين هبطت طائرة بيتر في مطار كيندي، كانت هناك سيارة ليموزين في انتظاره. لقد رتب كل شيء من الطائرة، وكان فرانك في انتظاره في المكتب. نوعاً ما، لم تكن الأخبار سيئة مثلما خشيها بيتر، لكنها ليست جيدة. وعرف أن كل شيء سيكون جديداً على فرانك، وأنه سيحتاج إلى الكثير من الشرح. فقد كان كل شيء يبدو على ما يرام قبل خمسة أيام، حين غادر بيتر جنيف.

كانت زحمة السير ليلة الجمعة في المدينة مزعجة. إنها ساعة الزحمة، وهذا شهر يونيو. السيارات مكتظة في كل مكان، وكانت الساعة قد تجاوزت السادسة حين وصل بيتر أخيراً إلى شركة ويلسون - دونوفان، وبدا مرهقاً ومجهداً في الوقت نفسه. لقد أمضى ساعات في الطائرة وهو يراجع تقارير سوكارد وملاحظاته، ولمرة واحدة لم يكن يفكر في أوليفيا. فكل ما استطاع التفكير به هو فرانك وفيكوتيك ومستقبلهم. ولعل أسوأ الأخبار هي ضرورة إلغاء الطلب من دائرة الأغذية والعقاقير لإطلاق العقار باكراً، لكن هذه مسألة عملية. وعرف بيتر أن أمل فرانك سيخيب كثيراً.

كان حموه في انتظاره في الأعلى، في الطابق الخامس والأربعين من شركة ويلسون - دونوفان، في الجناح الكبير الذي يشغله منذ ثلاثين عاماً تقريباً منذ انتقال شركة ويلسون - دونوفان إلى هذا المبنى. وكانت سكرتيرته لا تزال خارجاً. قدمت شراباً لبيتر حين وصل، لكن كل ما أراده هو كوب من الماء.

"إذاً، نجحت!"، بدا فرانك مميزاً وفرحاً، وهو يرتدي البذلة المخططة ويتألق بشعره الأبيض، ولاحظ بيتر من طرف عينيه أن هناك زجاجة شراب في دلو من الفضة. "ما كل هذه السرية؟ هذا شبيه جداً بجو المؤامرات

والجاسوسية!". تصافح الرجلان، وسأله بيتر إذا كان على ما يرام. لكن فرانك دونوفان بدا أكثر صحة مما هو. إنه في السبعين، لكنه حيوي وبصحة جيدة، ومسؤول تماماً عن كل شيء، مثلما هو الآن. لقد أمر بيتر تقريباً بأن يخبره بما حدث في باريس.

"التقيت سوكارد اليوم"، قال بيتر فيما جلس، متمنياً لو أن قال شيئاً تحذيرياً قبلاً على الهاتف. فقنينة الشراب غير المفتوحة كانت تحدق به مثل اتهام. "احتاج إلى الكثير من الوقت في الاختبارات، لكني أظن أن المسألة تستحق ذلك". شعر بركبتيه ترتعشان مثل ولد وتمنى تقريباً لو أنه لم يكن مضطراً للتواجد هنا.

"ماذا يعني ذلك؟ فاتورة صحية نظيفة، حسب ما أفترض". نظر شزراً إلى صهره، وهز بيتر رأسه وواجهه بشجاعة.

"أخشى لا، سيدي. فأحد المكونات الثانوية أصابه بالجنون في الجولة الأولى من الاختبارات، وما كان حتماً ليمنحنا ترخيصاً إلى أن أعاد كل الاختبارات مجدداً لمعرفة ما إذا كنا نعاني من مشكلة خطيرة هنا، أم أن أنظمة اختباراتهم كانت مخطئة".

"وماذا تبين؟". بدا الرجلان جادين الآن.

"أخشى أن يكون منتجنا. فثمة عنصر واحد علينا تغييره. وحين نفعل، سننجح. لكن في الوقت الحاضر، وحسب قول سوكارد، فيكوتيك قاتل". بدا بيتر وكأنه مستعد لمواجهة أي شيء، لكن فرانك هز رأسه غير مصدق، وجلس مجدداً في كرسيه ليتأمل ما أخبره به بيتر للتو.

"هذا سخيف. نحن نعرف أفضل من ذلك. أنظر إلى برلين. أنظر إلى جنيف. لقد أجروا هذه الاختبارات طوال أشهر، وتوصلنا إلى نتائج جيدة كل مرة في اختباراتهم".

"لكننا لم نفعل ذلك في باريس. لا يمكننا تجاهل ذلك. يبدو على الأقل أن

هناك عنصراً واحداً فقط، ويظن أنه يمكن تغييره "بسهولة نسبياً". كان يشير إلى كلام سوكارد الآن.

"كم بسهولة؟" قال لـــه فرانك مقطباً، وهو يريد جواباً واحداً فقط.

"يظن أنه إذا كنا محظوظين، يمكن أن تستغرق الأبحاث ستة أشهر إلى سنة. وإلا، سنتين ربما. لكن إذا ضاعفنا فرق العمل مجدداً، أظن أننا قد نصبح جاهزين بحلول السنة المقبلة. لا أظن أننا نستطيع الانتهاء قبلاً". لقد حسب المسألة بدقة على جهاز الكمبيوتر أثناء رحلة العودة.

"هذا هراء. نحن نطلب الموافقة على إجراء تجارب بشرية مبكرة من دائرة الأغذية والعقاقير خلال ثلاثة أشهر. لقد وصلنا إلى هذه المرحلة وهذا ما نريده. إنها مهمتك أنت لتدبير المسألة. إجعل ذلك الأحمق الفرنسي يأتي إلى هنا للمساعدة، إذا اضطررنا لذلك".

"لا يمكننا فعل ذلك في ثلاثة أشهر". بدا بيتر مذعوراً مما قاله فرانك. "هذا مستحيل. علينا سحب الطلب لإجراء التجارب البشرية المبكرة من دائرة الأغذية والعقاقير، وعلينا تأجيل مثولنا أمام الجلسة".

"لا أريد ذلك"، صرخ فرانك عليه. "سنبدو سخيفين. لدينا الكثير من الوقت لحل المشاكل قبل أن نمثل أمام الجلسة".

"وإذا لم نفعل، سوف يمنحوننا الرخصة التي نريدها، وسوف نقتل أحداً. لقد سمعت ما قاله سوكارد، إنه خطير. فرانك، أنا أريد أن أرى هذا المنتج في الأسواق أكثر من أي كان. لكني لن أضحي بالناس من أجله".

"أنا أقول لك"، تحدث إليه حموه عبر أسنانه المطبقة، "أمامك ثلاثة أشهر لحل المشكلة قبل المثول أمام الجلسة".

"لن أذهب إلى جلسة دائرة الأغذية والعقاقير مع منتج خطير، فرانك. هل تفهم ما أقوله؟" رفع بيتر صوته عليه، وكانت هذه أول مرة. لكنه كان متعباً، والرحلة كانت طويلة، وهو لم يحصل على ليلة من النوم الحقيقي منذ أيام.

وكان فرانك يتصرف مثل مجنون، وهو يصر على الذهاب إلى الجلسة لطلب إجراء التجارب البشرية ووضع فيكوتيك على "الخط السريع"، فيما قال لهم سوكارد للتو إنه دواء قاتل. "هل تسمعني؟" كرر سؤاله لفرانك، وهز الرجل العجوز رأسه بغضب صامت.

"لا، لم أفهم. أنت تعرف ما الذي أريده من هذا. والآن، إفعل ذلك. لن أبدد المزيد من المال على الأنابيب لتطوير ذلك أكثر. فهو إما ينجح الآن أو لن ينجح أبداً. هل هذا واضح؟"

"جداً"، قال بيتر بهدوء، وقد استعاد السيطرة على نفسه. "أظن إذاً أنه لن ينجح. فالالتزام بالمزيد من التمويل للأبحاث أم لا هو قرارك أنت"، قال باحترام، لكن فرانك اكتفى بالتحديق به في غضب.

"أنا أمنحك ثلاثة أشهر".

"أحتاج إلى أكثر من ذلك، فرانك. وأنت تعرف ذلك".

"لا أهتم بما ستفعله. تأكد فقط من أنك مستعد للجلسة في شهر سبتمبر".

أراد بيتر أن يقول لـــه إنه أصيب بالجنون، لكنه لم يجرؤ على ذلك. فهو لم يعهده أبداً وهو يتخذ قرارات خطيرة. إنه غير منطقي البتة ويفعل شيئاً يمكن أن يحطم الشركة من حولهما. هذا سخيف، وافترض بيتر فقط أنه سيعود إلى رشده في الصباح. فقد خاب أمله، تماماً كما حصل مع بيتر.

"أنا آسف بشأن الأخبار السيئة"، قال بيتر بهدوء، متسائلاً ما إذا كان فرانك يتوقع إيصاله إلى غرينتش في سيارة الليموزين. إذا كان الجواب نعم، ستكون الرحلة طويلة وغير مريحة، لكن بيتر راغب في القيام بذلك.

"أظن أن سوكارد فقد صوابه"، قال فرانك بغضب، وهو يذرع مكتبه ويفتح الباب للإشارة إلى بيتر بتركه.

"غضبت أنا أيضاً بشأن ذلك"، قال بصدق، لكنه كان على الأقل منطقياً أكثر من فرانك، الذي بدا أنه لا يفهم عواقب ما يقوله. لا يمكنك طلب

الحصول على تجارب بشرية مبكرة، والسعي إلى الإطلاق المبكر لمنتج لا يزال خطراً بوضوح ولم يتوصل إلى الكمال، إلا إذا كنت تخطط فقط للمشاكل. ولم يفهم بيتر لماذا كان فرانك رافضاً لفهم ذلك.

"ألهذا السبب بقيت في باريس طوال الأسبوع؟" سأل فرانك، وهو لا يزال غاضباً بوضوح عليه. ليست هذه غلطة بيتر، لكنه المسؤول عن الأمور السيئة.

"نعم. ظننت أنه سيتحرك بسرعة أكبر إذا بقيت هناك أنتظر".

"لم يكن يجدر بنا ربما الطلب منه لإجراء الاختبارات". لم يستطع بيتر أن يصدق ما سمعه.

"أنا واثق من أنك ستشعر بطريقة مختلفة حين تفكر في الأمر قليلاً وتقرأ التقارير". سلّمه بيتر كومة من الأوراق أخرجها من حقيبته.

"أعطها لمركز الأبحاث"، دفعها فرانك بعيداً عنه بسرعة. "لن أقرأ هذه النفايات. إنها تسعى إلى تأخيرنا من دون سبب. أعرف نوع العمل الذي ينجزه سوكارد لنا. إنه متجمد بآرائه".

"إنه عالم حائز على الجوائز"، قال بيتر بحزم، مصمماً على التشبث بموقفه، لكن الاجتماع مع فرانك كان كابوساً من البداية إلى النهاية، وكان تواقاً إلى المغادرة والعودة إلى المنزل في غرينتش. "أظن أنه يجدر بنا مناقشة هذا أكثر يوم الاثنين، بعد أن يتسنى لك بعض الوقت لاستيعاب الأمور".

"ما من شيء لاستيعابه. لن أناقش حتى المسألة. أنا واثق من أن تقرير سوكارد ليس سوى هستيريا، وأرفض الانتباه إليها. إذا أردت ذلك، فهذا شأنك". ثم ضيّق عينيه ولوّح لـــه بإصبعه. "ولا أريد مناقشة هذا مع أي كان. قل لفرق الأبحاث لدينا أن تبقي فمها مغلقاً. فكل ما نحتاجه هو تسرب هذه الإشاعات حتى تسحب دائرة الأغذية والعقاقير طلبنا". شعر بيتر كما لو أنه في فيلم خيالي. لقد حان الوقت فعلاً حتى يتقاعد فرانك، إذا كان سيتخذ هذا النوع

من القرارات. ليس لديهم خيار. لا يمكنهم الذهاب إلى دائرة الأغذية والعقاقير مع فيكوتيك قبل أن يصبح جاهزاً. ولم يكن لديه فكرة عن سبب رفض فرانك للإصغاء. لكن فرانك بدا منزعجاً أكثر فأكثر حين انتقل لمناقشة الجانب التالي من الأعمال.

"تلقينا بياناً من الكونغرس أثناء غيابك"، قال لبيتر. "يريدوننا أن نمثل أمام اللجنة الفرعية في الخريف، لمناقشة الأسعار المرتفعة للمنتجات الصيدلانية في سوق اليوم. الحكومة تتذكر أكثر فأكثر بسبب عدم توزيعنا العقاقير مجاناً في الأماكن الفقيرة. نحن نفعل هذا كثيراً في العيادات ودول العالم الثالث. هذه صناعة تبغي الربح، وليست مؤسسة خيرية. ولا تظن أننا سنجعل سعر فيكوتيك مثل هبة مجانية. لن أقبل بذلك!". انتصب الشعر في عنق بيتر حين لفظ حموه هذه الكلمات. فالهدف الإجمالي للعقار هو جعله في متناول عامة الشعب، وجعله متوافراً للأشخاص في المناطق البعيدة أو الريفية، أو الظروف المنزلية التي تجعل الحصول على المعالجة من الاختصاصيين الطبيين أمراً صعباً، لا بل مستحيلاً، تماماً مثل أمه وشقيقته. وإذا كانت شركة ويسلون - دونوفان ستجعل سعره مثل عقار مترف، لن يحققوا الهدف، وتوجب على بيتر مقاومة موجة من الذعر.

"أظن أن السعر سيكون مسألة مهمة هنا"، قال بيتر بهدوء.

"وهذا هو رأي الكونغرس أيضاً"، صرخ فرانك في وجه بيتر. "وهم لا يستدعوننا فقط لذلك، وإنما لمسائل أكثر شمولية. لكن علينا التشبث بالأسعار المرتفعة وإلا سيحطموننا حين ينزل فيكوتيك إلى الأسواق".

"أظن أنه يجدر بنا إبقاء السعر منخفضاً"، قال بيتر، فيما انهار قلبه حين قال ذلك. فهو لم يحب أي شيء من الذي سمعه. كل شيء يتعلق بالربح. إنهم يطورون عقاراً عجيباً، وسوف يستفيد فرانك دونوفان قدر الإمكان من ذلك.

"لقد قبلت الدعوة. سوف تذهب. أظن أنه يمكنك فعل هذا في سبتمبر، حين تذهب إلى جلسة دائرة الأغذية والعقاقير. سوف تكون في واشنطن في أية حال".

"ربما لا"، قال بيتر بصرامة، وهو مصمم على تأجيل المعركة حتى وقت لاحق. كان مرهقاً. "هل تودّ أن أصطحبك معي إلى غرينتش؟"، سأل بتهذيب وهو يأمل في تغيير الموضوع. كان لا يزال مذهولاً بعناد فرانك. فهذا يفوق المنطق.

"سوف أتناول العشاء في المدينة"، قال فرانك باقتضاب. "سوف أراك في عطلة نهاية الأسبوع". كان بيتر واثقاً من أنه رتّب مع كاتي شيئاً ما، وسوف تخبره حين يعود إلى المنزل. لكن كل ما استطاع التفكير فيه حين غادر كان الجنون في موقف فرانك. لقد أصيب بالخرف ربما. فما من شخص سليم يرغب في المثول أمام دائرة الأغذية والعقاقير، ويطلب الإطلاق المبكر لمنتج خطير، ليس بعدما قاله سوكارد، وليس في حال وجود أي خطر على الإطلاق. وبقدر ما هو بيتر معني، لا علاقة لذلك أبداً بالالتزامات القانونية، أو المسؤولية القانونية، وإنما بالمسؤولية الأخلاقية. تخيل لو تم ترخيص فيكوتيك للبيع، وقتل شخصاً ما. لم يشك بيتر أبداً أنه في هذه الحالة سيكون هو وفرانك المسؤولين، وليس العقار. فهذا أمر محسوم.

احتاج فرانك إلى الساعة الكاملة التي استغرقتها الرحلة للتعافي من الاجتماع مع فرانك. وحين وصل إلى المنزل، كانت كاتي والأولاد يجولون في المطبخ. كانت تحاول تنظيم حفلة شواء، ووعدها مايك بالمساعدة، لكنه كان يتحدث على الهاتف لتحديد موعد مع فتاة في وقت لاحق من تلك الليلة، وقال بول إن لديه شيء آخر للقيام به. نظر بيتر إلى زوجته بحزن، وخلع سترته، ووضع المئزر. إنها الساعة الثانية فجراً بالنسبة إليه، لكنه لم يكن في المنزل طوال الأسبوع، وشعر بالقليل من الذنب.

حاول أن يقبّل كاتي قبلة التحية بعد أن وضع المئزر، لكنه تفاجأ بمدى برودتها، وتساءل ما إذا كانت تشك بما حصل في باريس. فالتخاطر عند المرأة يذهله. لم يخدعها أبداً طوال ثمانية عشر عاماً، وحين فعل لمرة واحدة، شك في أنها عرفت ذلك. اختفى الأولاد بسرعة لمتابعة مشاريعهم، وبقيت هي

باردة معه طوال العشاء. وحين رحل الأولاد، قالت لــه شيئاً وشعر أن قلبه ينهار حين سمع ذلك.

"قال لي والدي إنك كنت قاسياً جداً معه الليلة"، قالت بهدوء وهي تنظر بحقد إلى زوجها. "لا أظن أن هذا عادل. كنت غائباً كل الأسبوع وكان هو متحمساً لإطلاق فيكوتيك، والآن أفسدت الأمر". لم تكن غاضبة بسبب امرأة أخرى، وإنما بسبب والدها. فكالعادة، هي تدافع عنه من دون ان تعرف حتى ما حصل.

"لم أفسد الأمر، كايت، بل سوكارد هو الذي فعل"، قال وهو يشعر بالإرهاق. لا يستطيع مواجهتهما معاً. فبالكاد نام طوال الأسبوع، ولم يكن قادراً على تحمل ذلك، فضلاً عن أنه ينزعج جداً من ضرورة دفاعه عن قراراته المهنية أمامها. "كشف المختبر في فرنسا مشكلة خطيرة، عيباً في تكوين فيكوتيك مما قد يقتل أحداً. نريد تغييره". قال هذا بهدوء، لكنها بدت رغم ذلك مشككة فيما شرح لها الأمر.

"يقول أبي إنك ترفض أخذه إلى الجلسة". كان صوتها بمثابة اتهام في المطبخ.

"طبعاً أنا أرفض. هل تظنين أني أرغب في أخذ منتج مشتمل على عيب كبير إلى دائرة الأغذية والعقاقير وأطلب منهم الإطلاق المبكر للدواء، لبيعه لأناس أبرياء؟ لا تكوني سخيفة. ليس لديّ فكرة عن سبب تصرف والدك بهذه الطريقة. لكني أفترض أنه سيعود إلى صوابه حين يقرأ التقارير".

"يقول أبي إنك كنت أحمق، وأن التقارير هستيرية، ولا حاجة أبداً إلى الذعر". كانت قاسية فانقبضت العضلات في فك بيتر. لن يناقش الأمر معها أكثر.

"لا أظن أن هذا هو الوقت الملائم للتحدث عن ذلك. أنا واثق من أن والدك منزعج، تماماً مثلي أنا. وأنا تماماً مثله، لم أشأ أن تكون النتائج على ما هي عليه. لكن الإنكار ليس الحل".

"تجعله يبدو غبياً"، قالت بغضب، وغضب بيتر هذه المرة عليها.

"تصرف مثل الغبي، وأنت تتصرفين الآن كأنك أمه. ليس هذا بيننا. إنها مسألة عمل مهمة في الشركة، وقرار مهم يمكن أن يهدد الحياة. ليس قرارك أنت لتتخذينه، أو حتى للتعليق عليه، ولا أظن أنه يجدر بك التدخل في هذا". شعر بالغضب لأن فرانك اتصل بها للشكوى لحظة غادر المكتب. وذكّره ذلك فجأة بكل شيء قالته أوليفيا. كانت محقة. كايت هي التي تدير حياته، وكذلك والدها. وما يزعجه هو أنه لم يسمح لنفسه أبداً بملاحظة ذلك.

"يقول والدي إنك لا تريد حتى أن تمثل أمام الكونغرس بشأن التسعير". بدت مجروحة فيما قالت ذلك، وتنهد بيتر وهو يشعر بالعجز.

"لم أقل ذلك. قلت إني أظن أنه يجدر بنا إبقاء السعر منخفضاً الآن، لكني لم أتخذ أي قرار بشأن الكونغرس. لا أعرف أي شيء عن ذلك". لكنها تعرف. لقد أخبرها فرانك كل شيء. وكالعادة، كانت تعرف أكثر منه.

"لماذا أنت صعب جداً؟"، قالت لـــه كايت فيما وضع هو الأطباق في غسّالة الصحون، وحاول مساعدتها. لكنه كان مرهقاً جداً ومتعباً جداً بحيث استطاع الوقوف بالكاد.

"لا تتدخلي في هذا، كايت. دعي والدك يدير شركة ويسلون - دونوفان. إنه يعرف ما يقوم به". ولم يكن يجدر به التذمر أمام ابنته. كان بيتر شاحباً.

"هذا هو تماماً ما كنت أقوله لك"، قالت كايت بصوت منتصر. لم تبدو حتى مسرورة لرؤيته. فكل ما أرادته هو الدفاع عن والدها أمامه. لم تكترث حتى كم كان بيتر متعباً، أو كم خاب أمله هو أيضاً نتيجة العيب في فيكوتيك أو عدم قدرتهم على الذهاب إلى دائرة الأغذية والعقاقير، أو الشروع في الإنتاج. فقد كانت أفكارها كلها منصبة على والدها. لم يكن الأمر جلياً لـــه أبداً مثلما هو الآن، وجعلته النظرة في عينيها يشعر بالكثير من الألم. "دع والدي يتخذ القرارات. إذا قال إنه يمكنك الذهاب إلى دائرة الأغذية والعقاقير مع المنتج، ما من سبب لعدم فعل ذلك. وإذا كان يسرّ بمثولك أمام الكونغرس

لمسائل التسعير، لمَ لا تفعل ذلك؟" أراد بيتر أن يصرخ عالياً حين سمع ذلك.

"إن المثول أمام الكونغرس ليس المهم الآن، كايت. والذهاب إلى دائرة الأغذية والعقاقير بسرعة مع منتج خطر ربما هو مثل الانتحار، بالنسبة إلينا جميعاً في الشركة، وبالنسبة إلى المرضى الذين قد يختارون استعماله، غير واعين للمضاعفات المميتة ربما. هل تتناولين عقار التاليدوميد الآن بعد أن عرفت تأثيراته؟ طبعاً لا. هل تطلبين الإطلاق المبكر من دائرة الأغذية والعقاقير؟ طبعاً لا. لا يمكنك تجاهل العيوب القاتلة ربما في هذه المنتجات حين تعرفين أنها موجودة فعلاً، كايت. هذا جنون، وكذلك هو الذهاب إلى دائرة الأغذية والعقاقير في وقت باكر. يمكنك إبعاد البلاد كلها عن العقار عند إنزاله في وقت مبكر جداً أو بطريقة غير حكيمة".

"أظن أن والدي محق. أنت جبان"، قالت بفظاظة.

"لا أصدق ذلك"، قال وهو يحدق فيها غير مصدق. "هل هذا ما قاله لك؟". أومأت برأسها إيجاباً. "أظن أنه مرهق كثيراً وأودّ ألا تقحمي نفسك في ذلك. كنت غائباً طوال أسبوعين، ولا أريد التناقش معك بشأن والدك".

"إذاً، لا تعذبه. إنه غاضب جداً من طريقة تصرفك بعد ظهر اليوم. أظن أن هذا غير لطيف وقليل الاحترام من قبلك، بيتر".

"حين أحتاج إلى تقرير حسن سلوك منك، كايت، سأطلب واحداً. لكن إلى حين ذلك، أظن أننا نستطيع أنا ووالدك حل المسألة بأنفسنا. إنه رجل ناضج، ولا يحتاجك للدفاع عنه".

"ربما بلى. فعمره ضعف عمرك تقريباً، وإذا لم تحترمه، ستقوده سريعاً إلى القبر، إذا عاملته بخشونة". كانت على وشك البكاء فيما وبّخت زوجها بعنف وجلس هو وفك ربطة عنقه. لم يستطع أن يصدق ما يسمعه.

"أوه، هلاّ توقفت بحق الله؟ هذا سخيف. إنه رجل ناضج. يستطيع الاعتناء بنفسه، ولا حاجة لأن نتشاجر بسببه. سوف تسببين لي الموت المبكر

إذا لم تتوقفي. بالكاد نمت هذا الأسبوع، وانا قلق بشان التحاليل في المختبر". وهناك طبعاً أوليفيا، وثلاث ليالٍ من التحدث معها والقيادة من وإلى لافافيير. لكنه لم يذكر أياً من ذلك، وبدا الأمر خيالياً جداً لدرجة أنه بالكاد يستطيع تصديقه. لقد أعادته كايت إلى عالمه بسرعة الانفجار النووي.

"لا أعرف لماذا كنت قاسياً جداً معه"، قالت وهي تمسح أنفها، وحدق بيتر فيها متسائلاً ما إذا كانت هي ووالدها مجرد مجنونين. إنهم يتعاطون مع منتج. وقد واجه بعض المشاكل. ليست مسألة شخصية. ورفضه الذهاب إلى دائرة الأغذية والعقاقير ليس تمرداً ضد فرانك، كما أن صراحته معه لا تعني تحدياً لكاتي. هل أصيبوا بالجنون؟ هل كان الأمر هكذا على الدوام؟ او هل أصبح الأمر فجأة أسوأ من قبل؟ بسبب تعبه الكبير، كان يصعب عليه تخمين ما يجري، وجاء بكاء كاتي بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير، فوقف ووضع ذراعيه حولها.

"لم أكن فظاً معه، كاتي، صدقيني. لقد واجه ربما يوماً سيئاً. وكذلك أنا. فلنخلد إلى السرير، أرجوك... أنا متعب جداً وأشعر أني أموت". أم أن خسارة أوليفيا هي التي جعلته يشعر هكذا؟ لم يعد باستطاعته فهم أي شيء الآن.

ذهبت كاتي معه إلى السرير رغماً عنها، وكانت لا تزال تتذمر من عدم إنصافه مع والدها. كان الأمر سخيفاً جداً بحيث توقف عن إجابتها وخلد إلى النوم بعد خمس دقائق وهو يحلم بفتاة شابة على الشاطئ. كانت تضحك لــه وتغريه، وركض هو نحوها ظناً منه أنها أوليفيا. لكن حين وصل إليها وجد أنها كاتي وكانت غاضبة منه. كانت تصرخ عليه، وفيما أصغى إليها، شاهد أوليفيا تختفي في البعيد.

حين استيقظ في اليوم التالي، شعر بالكآبة مجدداً. كان يغمره شعور يأس كبير أثقل صدره. لم يستطع أن يتذكر طبيعته، أو سبب شعوره هكذا، وفيما التفت من حوله وشاهد الغرفة المألوفة، تذكر. تذكر غرفة أخرى، يوماً آخر، امرأة مختلفة. كان يصعب التصديق أن الأمر حصل قبل يومين فقط. وفيما

استلقى في السرير يفكر فيها، جاءت كاتي وأخبرته أنهم سيلعبون الغولف بعد الظهر مع والدها.

لقد رحلت أوليفيا، ورحل الحلم. هذه هي الحقيقة التي عاد إليها. إنها الحياة نفسها التي عاشها على الدوام، لكنها بدت فجأة مختلفة تماماً.

الفصل التاسع

استقرت الأمور نوعاً ما في النهاية. فقد تحسنت معنويات كاتي، وتوقفت عن الدفاع عن والدها كما لو أنه ولد صغير. وبعد أيام قليلة من عودة بيتر إلى المنزل، أصبحت هي ووالدها بمزاج أفضل. ولطالما أحب بيتر وجود الأولاد في المنزل، رغم أنهم يقضون هذه السنة وقتاً أقل وأقل مع أهلهم. لقد حصل مايك على رخصة قيادة الآن، وكان يأخذ بول إلى كل مكان، الأمر الذي خفف العبء عنهما وعنى في المقابل عدم رؤيتهما. حتى باتريك بدا أنه يمضي القليل من الوقت معهما. إنه مغرم بابنة الجيران، ويمضي معظم ساعات النهار في منزلها.

"ماذا عنا هذه السنة؟ هل نعاني من الجذام؟" تذمر بيتر أمام كايت في صباح أحد الأيام أثناء تناول الفطور. "لم نعد نشاهد الأولاد أبداً. إنهم دوماً في الخارج في مكان ما. أظن أنه يجدر بهم قضاء الوقت معنا حين يعودون إلى المنزل من المدرسة الداخلية، لكنهم يبقون بدل ذلك خارجاً مع أصدقائهم طوال الوقت". شعر فعلاً بالحرمان من دونهم. إنه يحب قضاء الوقت مع أولاده، ويشعر بالحزن نوعاً ما حين لا يفعل ذلك. إنهم يوفرون نوعاً من الصحبة والراحة التي لم يعد يتشاركها مع كاتي.

"سوف تراهم في الكروم هذه السنة"، قالت بهدوء. كانت أكثر اعتياداً على قدومهم ورحيلهم، وأكثر اعتياداً منه على حياتهم المشغولة. وفي الحقيقة، لم تكن تستمتع بصحبتهم مثله هو. لطالما كان والداً مذهلاً، حتى حين كانوا صغاراً.

"هل يجدر بي أخذ موعد منهم منذ الآن؟ شهر أغسطس لا يزال بعيداً خمسة أسابيع. أكره الاشتياق إليهم. سأكون موجوداً هناك لشهر واحد فقط". كان شبه متذمر وضحكت هي عليه.

"لقد نضجوا"، قالت.

"هل يعني ذلك أنه تم طردي؟" بدا مذهولاً فعلاً. ففي الرابع عشرة، والسادس عشرة والثامن عشرة، لم يعد الأولاد يهتمون كثيراً لأهلهم.

"نوعاً ما. يمكنك لعب الغولف مع والدي في عطلات نهاية الأسبوع". والمثير للسخرية هو أنها لا تزال تمضي المزيد من الوقت مع والدها أكثر مما يمضيه أولادها معها. لكنه لم يلفت انتباهها إلى ذلك ولم يقل لها إن ردة فعل أولاده كانت طبيعية جداً.

وبقيت الأمور متوترة قليلاً بين بيتر وفرانك. وفي هذا الأسبوع فقط، وافق فرانك على ميزانية ضخمة لأبحاث فيكوتيك، على أن ينفذها فريقا عمل، يعملان ليلاً ونهاراً. لكنه لم يوافق رغم ذلك على إلغاء المثول أمام جلسة دائرة الأغذية والعقاقير، رغم أن بيتر وافق على مضض المثول أمام الكونغرس لمناقشة مسائل التسعير، وذلك لإرضاء والد كاتي.

لم يشأ القيام بذلك، لكن الأمر لا يستحق الشجار، وكان فخراً للشركة أن يتواجد بيتر هناك. والواقع أنه لا يكره فقط ضرورة الدفاع عن الأسعار المرتفعة، التي يفرضونها هم والآخرون في الصناعة على المنتجات فيما لا يجدر بهم فعل ذلك. لكن كما قال فرانك، إنهم في الصناعة للربح. إنهم يهتمون بأمراض البشر، لكنهم يتوقعون رغم ذلك جني المال. إلا أن بيتر أراد أن يكون فيكوتيك مختلفاً. وكان يأمل في إقناع فرانك بجني الربح من حجم المبيعات وليس من الأسعار الخيالية. ففي البداية على الأقل، لن يكون هناك منتج منافس. إلا أن فرانك لا يرغب في الوقت الحاضر مناقشة المسألة. فكل ما أراده هو وعد بيتر بأن يحاول المثول أمام دائرة الأغذية والعقاقير مع فيكوتيك بحلول سبتمبر. لقد أصبح هوساً. أراد إنزال فيكوتيك إلى الأسواق بأسرع ما يمكن، مهما كانت التكاليف. أراد أن يصنع التاريخ وملايين الدولارات.

استمر في الإصرار على أن لديهم الكثير من الوقت، وسوف يتوصلون

إلى حل المشاكل قبل سبتمبر. توقف بيتر أخيراً عن مناقشته وعرف أنهم يستطيعون الانسحاب من الجلسة لاحقاً، إذا اضطروا لذلك. ثمة أمل ضئيل في أن يكونوا جاهزين آنذاك، لكن سوكارد يقول إن هناك شك في ذلك. ورأى بيتر أن أهداف فرانك غير واقعية البتة.

"ما رأيك في إحضار سوكارد إلى هنا؟ قد يسرّع هذا الأمور قليلاً"، اقترح بيتر، لكن فرانك لم يعتبر ذلك فكرة جيدة، وحين اتصل بيتر ببول لويس لمناقشة المسألة معه، قيل لــه إن الدكتور سوكارد في إجازة. تفاجأ بيتر لذلك، وانزعج من التوقيت. لكن أحداً في باريس لا يعرف إلى أين ذهب في إجازته، وما من شيء استطاع بيتر فعله للعثور عليه.

انتهى شهر يونيو تقريباً قبل أن تهدأ الأمور مجدداً، وفي هذه الفترة كان الوقت قد حان لفرانك وكايت والأولاد للمغادرة إلى الكروم. سوف يمضي بيتر عطلة نهاية أسبوع الرابع من يوليو معهم، ويعود من ثم إلى المدينة ليباشر من بعدها في التنقل. سوف يستعمل الشقة الصغيرة التابعة للشركة والموجودة في المدينة خلال أيام الأسبوع، ويعمل لساعات أطول في المكتب. ويذهب بعدها إلى كروم مارتا في عطلات نهاية الأسبوع. أراد أن يكون متواجداً، من الاثنين وحتى الجمعة، لمساعدة فرق الأبحاث. وأحب البقاء في المدينة. سوف يشعر بالوحدة في غرينتش في أية حال، من دون كايت أو الأولاد. إنها فرصة ممتازة لإنجاز الكثير من الأعمال.

لكنه لم يكن يفكر في العمل في نهاية شهر يونيو. فقد شاهد قبل أسبوعين إعلاناً يقول إن آندي تاتشر سيترشح للرئاسة، أولاً في الانتخابات التمهيدية، وإذا فاز بها، في الانتخابات الوطنية بعد سنة في نوفمبر. ولاحظ بيتر باهتمام أنه حين عقد تاتشر أول مؤتمر صحافي لــه، والمؤتمرات الصحافية التالية أيضاً، كانت أوليفيا تقف بقربه. لقد وعدا بعضهما ألا يتصلا، ولذلك لا يستطيع الآن الاتصال بها لسؤالها عن ذلك. لكن رؤيتها فجأة إلى جانب آندي تاتشر كانت مربكة بالنسبة إليه، وتساءل ما عنى ذلك بالنسبة إلى خطتها السابقة

لمغادرته. لكنهما اتفقا على عدم الاتصال ببعضهما، والتزم بيتر بالأمر على رغم صعوبته. وقرر أن ظهورها المنتظم إلى جانب آندي في الحلبة السياسية يعني بوضوح قرارها بعدم تركه. تساءل عن شعورها حيال ذلك، وما إذا كان آندي قد اتخذ هذا القرار. فهو يعرف ما يفعله بها، وطبيعة علاقتهما، ولذلك من غير المحتمل أن تكون فعلت ذلك بسبب العاطفة. يحتمل أن تكون فعلت ذلك بسبب الإحساس بالواجب. ولم يشأ أن يصدق فعلاً أن سبب ذلك هو عشقها لـــه.

كان غريباً كيف مضيا قدماً في حياتهما، بعد الوقت الوجيز الذي أمضياه معاً في فرنسا. ولم يكف عن التساؤل ما إذا كان كل شيء قد أصبح فجأة مختلفاً بالنسبة إليه، تماماً كما حصل معه. حاول في البداية أن يقاوم ذلك بشدة، وأن يقول لنفسه إن شيئاً لم يتغير. لكن الأمور التي لم تزعجه أبداً قبلاً أصبحت فجأة مشاكل أساسية. ففجأة، أصبح كل ما تقوله كايت أو تفعله لـــه علاقة على ما يبدو بوالدها. وبدا عمله أكثر صعوبة. فالبحث في فيكوتيك لم يشهد أية تغيّرات بعد. ولم يكن فرانك أبداً فاقد المنطق مثلما هو الآن. حتى أولاده ليسوا بحاجة إليه. والأسوأ من كل ذلك أن بيتر شعر كما لو أنه لم يعد هناك أي فرح في حياته، أية إثارة، أي غموض، أي عاطفة. لا يوجد أي من الأشياء التي تشاركها مع أوليفيا في فرنسا. لكن الأكثر إيلاماً على الإطلاق هو عدم وجود أحد للتحدث إليه. لم يدرك أبداً على مر السنوات كم أصبح هو وكايت بعيدين، كم أصبحت هي مشغولة بأشياء أخرى، وكم أصبحت منهمكة تماماً بنشاطاتها وأصدقائها. بدا أنه لم يبق لـــه أي مكان بعد الآن، والرجل الوحيد الذي يهمها هو والدها.

تساءل ما إذا كان شديد الحساسية، أو غير منطقي، أو لا يزال متعباً، او شديد القلق بعد خيبة فيكوتيك، لكنه لا يظن ذلك. وحتى حين ذهب معهم إلى الكروم لقضاء الرابع من يوليو، أزعجه كل شيء. شعر أنه بعيد عن أصدقائهم، وغير منسجم معها، وحتى هنا، لم يشاهد الأولاد إلا نادراً. بدا

وكأن كل شيء تغير، من دون أن يدرك ذلك، وانتهت كل حياته معها. لم يصدق فيما راقب حياته تنحلّ. تساءل كثيراً ما إذا كان يجبر الأمور نوعاً ما على الوصول إلى حسم معها، من دون أن يدرك ذلك، كما لو أنه يبرر ما فعله مع أوليفيا في جنوب فرنسا. ففعل ذلك في زواج ميت هو أمر أكثر من مفهوم، وأكثر قابلية للتسامح، لكن فعل ذلك في زواج حيّ هو أمر صعب جداً.

وجد نفسه يبحث في الصحف عن صور لأوليفيا. وفي الرابع من يوليو، شاهد آندي على التلفزيون. كان في سباق للسيارات في كاب كود، وكانت هناك تغطية لــه مع يخته الكبير المربوط على الرصيف وراءه. شك في أن تكون أوليفيا هناك في مكان ما، في الجوار، لكنه لم يستطع رؤيتها.

"ماذا تفعل؟ تشاهد التلفزيون في منتصف النهار؟" وجدته كاتي في غرفتهما، وحين ألقى نظرة سريعة عليها، كان من الصعب عدم ملاحظة وجهها الذي لا يزال جميلاً. كانت ترتدي ثوب سباحة أزرق اللون وتضع السوار الذهبي الذي يتدلى منه قلب والذي أحضره لها من باريس. لكن رغم شعرها الأشقر ووجهها الجميل، لم تترك فيه الأثر القوي الذي تركته فيه أوليفيا كلما رآها. وجعله ذلك يشعر بالذنب مجدداً، فيما ذهلت كاتي بتعابيره القلقة. "هل من خطب؟" سألته. أصبحت الأمور صعبة بينهما الآن. بدا هو سريع الغضب أكثر من المعتاد، وأكثر اضطراباً، وهذه ليست عادته. وقد أصبح على هذه الحال منذ رحلته الأخيرة إلى أوروبا.

"لا، كل شيء على ما يرام. أردت فقط أن أشاهد الأخبار". نظر بعيداً عنها، ووجه جهاز التحكم عن بعد صوب التلفزيون مع تعبير غامض.

"لماذا لا تخرج وتسبح؟" قالت، مبتسمة. إنها دوماً سعيدة هنا. إنه مكان جميل، ويسهل صيانة منزلهم هنا. وهي تحب أن تكون محاطة بأولادهما وأصدقائهما. لطالما كان هذا مكاناً جيداً أيضاً لها ولبيتر. رغم أن الأمور بدت مختلفة قليلاً هذا الصيف. هناك الكثير من الضغط عليه، مع الأبحاث التي تجرى على فيكوتيك، وكل ما استطاعته هو الأمل بان تجري الأمور على ما

يرام ويحصلون على النتائج التي يريدها بيتر ووالدها. لكن في الوقت الحاضر، يبدو بيتر غير سعيد وبعيداً.

مضى أسبوعان كاملان قبل أن يتمكن من اكتشاف الحقيقة في المختبر، وجلس بيتر وحدّق في الفضاء بعدما أقفل السماعة. لم يستطع أن يصدق ما سمعه، وتوجه إلى كروم مارتا لمناقشة المسألة شخصياً مع والد كاتي.

"لقد طردته؟ لماذا؟ كيف استطعت فعل ذلك؟" لقد طرد فرانك دونوفان الشخص الذي حمل لـــه الأخبار السيئة. فهو ما زال لا يفهم أن بول لويس أنقذهم على المدى الطويل.

"إنه مجنون. إنه مثل امرأة عجوز عصبية تشاهد العفاريت في الظلمة. ما من سبب لإبقائه". للمرة الأولى منذ ثمانية عشر عاماً، بدأ بيتر يظن أن حماه مجنون فعلاً.

"إنه أحد أشهر العلماء في فرنسا، فرانك، وهو في التاسعة والأربعين. ماذا تفعل؟ كان يمكننا استخدامه هنا لمساعدتنا في تسريع الأبحاث".

"أبحاثنا على ما يرام. لقد ناقشت ذلك معهم البارحة. قالوا لي إنهم سيكونون جاهزين في يوم العمال. لن تبقى هناك أية مشاكل في فيكوتيك، ولا عيوب، ولا أشباح، ولا خطر". لكن بيتر لم يصدقه.

"هل يمكنك إثبات ذلك؟ هل أنت واثق؟ قال بول لويس إن الأمر قد يستغرق سنة".

"هذا رأيي. هو لا يعرف ما يقوله". لكن بيتر خشي مما فعله فرانك، واستخدم سجلات الشركة لتحديد موقع بول لويس. اتصل به في أول ليلة عاد بها إلى نيويورك وأخبره عن مدى أسفه وتحدث إليه عن فيكوتيك وعن تقدمهم.

"سوف تقتلون أحداً"، قال بول لويس بلكنته الإنكليزية الثقيلة. لكنه تأثر بالاتصال، علماً أنه كنّ دوماً الكثير من الاحترام لبيتر. قيل لـــه في البداية إن

طرده من الشركة هو فكرة بيتر، لكنه عرف لاحقاً أن الأمر جاء فعلاً من رئيس مجلس الإدارة. "لا يمكنكم المجازفة به بعد"، كرر بول لويس. "عليك إجراء كل الاختبارات، وسوف يستغرق ذلك أشهراً، حتى لو عمل فريقان على مدار الساعة. يجب ألا تدعهم يفعلون ذلك".

"لن أسمح لهم. أعدك بذلك. أنا أقدّر كل شيء فعلته. أنا آسف لما حدث". وكان يقصد ذلك فعلاً.

"لا بأس"، قال الرجل الفرنسي، وهو يبتسم بطريقة فلسفية. لقد تلقى عرضاً آخر من شركة صيدلانية ألمانية مهمة تملك مصنعاً كبيراً في فرنسا، لكنه أراد بعض الوقت لاتخاذ قراره. وقد ذهب إلى بريطانيا لفعل ذلك. "أفهم. أتمنى لك الحظ الجيد في هذا. يمكن أن يكون منتجاً رائعاً".

تحدث الرجلان قليلاً، ووعده بول لويس بأن يبقى على اتصال معه. وفي الأسبوع التالي، تابع بيتر نتائج الأبحاث عن كثب أكثر. إذا كان بول لويس محقاً، ما زال لديهم الكثير من العمل لإنجازه قبل أن يتمكنوا من إعطاء "الضوء الأخضر" للمنتج بضمير مرتاح.

في نهاية شهر يوليو، بدا أنهم يحرزون تقدماً جيداً. وكانت معنويات بيتر مرتفعة حين غادر في إجازته إلى كروم مارتا. لقد وعده قسم الأبحاث بأن يرسلوا لــه فاكسات يومية من المكتب. لكن نتيجة ذلك، وجد صعوبة أكبر في الاسترخاء. بدا مربوطاً على الدوام بجهاز الفاكس الذي يصله بمركز ابحاث فيكوتيك وبمكتبه.

"أنت لا تستمتع أبداً هذه السنة"، تذمرت زوجته، لكنها لم تهتم به كثيراً. كان لديها الكثير من الأصدقاء، وأعمال الاعتناء بالحديقة، وكانت تقضي الكثير من الوقت في منزل والدها، وتساعده على تجديده، وتقرر ما إذا كانت ستغير ديكور مطبخه الصيفي أم لا. ساعدته في إقامة الحفلات للأصدقاء، ونظمت لــه العديد من حفلات العشاء، التي حضرتها هي وبيتر. لكن بيتر تذمر من ذلك أيضاً. فقد قال إنها غير موجودة أبداً، وفي كل مرة يراها، تكون مسرعة للقاء والدها.

"ماذا يحدث لك؟ لم تكن تغار أبداً من والدي قبلاً. أشعر وكأني ممزقة بينكما"، قالت وهي تبدو منزعجة. لطالما كان بيتر راضياً عن الأشياء التي تفعلها مع والدها، وها هو الآن يتذمر باستمرار. ولم يكن والدها أفضل حالاً، لأنه ما زال غاضباً على بيتر بسبب موقفه حيال فيكوتيك.

كان هناك توتر ملحوظ بين الرجلين هذه السنة، وفي منتصف شهر أغسطس، غادر بيتر مجدداً إلى المدينة واستعمل العمل بمثابة عذر لذلك. لقد طفح الكيل معه. لم يكن واثقاً من سبب ذلك، قد تكون المشكلة فيه هو، لكنه خاض جدالاً مع الأولاد، ورأى أن كاتي صعبة على نحو غير اعتيادي، وسئم جداً من الذهاب إلى منزل فرانك لتناول العشاء. بالإضافة إلى كل ذلك، كان الطقس سيئاً، وشهدوا أسبوعاً من العواصف الرعدية، فضلاً عن وجود خطر إعصار آتٍ من برمودا. وفي اليوم الثالث، أرسل الجميع لحضور السينما، وأغلق الأبواب والنوافذ، وثبّت مفروشات الحديقة. جلس لاحقاً يتناول الغداء أمام شاشة التلفزيون، يشاهد مباراة بايسبول، ثم انتقل لمشاهدة الأخبار خلال الإعلانات لسماع ما جرى مع الإعصار أنغوس. لكنه أصيب فوراً بالذهول حين شاهد صورة ليخت عملاق تلتها صورة جامدة للسيناتور آندي تاتشر. كان التقرير الإخباري قد انتهى منذ برهة وكان المذيع يقول..."إن المأساة حصلت في وقت متأخر من الليلة الفائتة. ولم يتم العثور بعد على الجثث. ولم نتمكن من الاتصال بالسيناتور للحصول على تعليقه".

"يا إلهي"، قال بيتر بصوت عالٍ لنفسه، ووجد نفسه فجأة واقفاً هناك، فيما وضع السندويش على الطاولة خلفه. عليه أن يعرف ماذا حصل لها. هل هي ميتة أم حية، وهل كانوا يبحثون عن جثتها؟ كان على وشك البكاء فيما حدق في التلفزيون وبدأ يقلّب المحطات باضطراب شديد.

"مرحبا أبي. في أية جولة؟" سأل مايك فيما دخل إلى الغرفة عائداً من السينما. لم يسمعهم بيتر وهم يدخلون، وبدا مثل الشبح فيما واجهه.

"لا جولة...لا علامات... لا أعرف... لا تبالي..." نظر إلى التلفزيون

مجدداً، فيما غادر مايك، لكن بيتر لم يستطع العثور على شيء في البداية. ثم وجد ذلك على القناة الثانية، وسمع التقرير هذه المرة من بدايته تقريباً. لقد علقوا في عاصفة في مياه غادرة خارج غلاوسستر، في يخت آندي البالغ طوله مئة وعشرة أقدام. وعلى رغم حجم اليخت الكبير وثباته المفترض، ارتطموا ببعض الصخور في عاصفة، وغرق اليخت في عشر دقائق تقريباً. كانوا قرابة العشر أشخاص على متنه. كان اليخت مبرمجاً بالكمبيوتر، وكان السيد تاتشر يقوده بنفسه بمساعدة بحار واحد، وبعض الأصدقاء. وحتى اللحظة، لا يزال العديد من الركاب مفقودين، لكن السيناتور نفسه نجا. كانت زوجته على متن اليخت، وكذلك شقيقها عضو الكونغرس من بوسطن، إدوين دوغلاس. لكن المؤسف أن زوجة إدوين دوغلاس وولديه الصغيرين غرقوا. تم العثور على جثة الزوجة صباح هذا اليوم، رغم أنه لم يتم العثور بعد على أي من الولدين. ثم، وبعد برهة، قال المذيع إن زوجة السيناتور، أوليفيا دوغلاس تاتشر، غرقت أيضاً لكنها لا تزال في حالة حرجة في مستشفى أديسون جيلبير، وتم إنقاذها الليلة الفائتة بواسطة خفر السواحل. تم العثور عليها فاقدة الوعي، لكنها بقيت عائمة بفضل سترة نجاتها.

"يا إلهي... يا إلهي...". أوليفيا. كانت تخاف جداً من المحيط. بالكاد استطاع أن يتخيل ما حصل لها، فيما فكر باضطراب شديد في الذهاب إليها الآن. لكن كيف سيشرح ذلك؟ ماذا سيقولون في الأخبار؟ ظهر رجل أعمال مجهول الهوية في المستشفى اليوم، وهو يائس لرؤية السيدة تاتشر، لكن تم صرفه. تم إلباسه سترة المجانين وإرساله إلى زوجته حتى يستعيد رشده... لا يملك أي فكرة عن كيفية الوصول إليها، أو كيفية رؤيتها من دون تسبيب المشاكل لأي منهما. وفيما جلس مجدداً، وحدق في التلفزيون، أدرك أنها لا تزال في الوقت الحاضر في وضع خطر، ولا مجال أبداً للقيام بذلك. قالت قناة أخرى إنها لم تستعد وعيها بعد، وقالت إنها في غيبوبة عميقة، ثم عرضوا كل صورها القديمة وذكروا كل المآسي التي حصلت معها، تماماً كما حصل في

باريس. كان الصحافيون ينتظرون أمام منزل أهلها في بوسطن، وعرضوا كذلك بضعة دقائق تظهر شقيقها المفجوع وهو يغادر المستشفى، بعد أن خسر للتو زوجته وولديه. كانت رؤيته مؤلمة إلى حد يفوق التصور، وشعر بيتر بالدموع تنهمر على وجنتيه فيما شاهده.

"هل من خطب أبي؟" عاد مايك إلى الغرفة وبدا قلقاً حين شاهد والده.

"لا، أنا... أنا بخير... لقد حدث شيء فقط لبعض الأصدقاء. هذا مريع. عاصفة قرب كاب كود الليلة الفائتة، وغرق يخت السيناتور تاتشر. يبدو أن هناك عدداً من الأشخاص المفقودين، والعديد من الجرحى"... وهي لا تزال في غيبوبة. لماذا حصل ذلك لها؟ ماذا لو ماتت؟ كان هذا يفوق التصور.

"هل تعرفهم؟" بدت كاتي متفاجئة فيما دخلت إلى غرفة الجلوس في طريقها إلى المطبخ. "كُتب شيء عن الحادث في الصحف صباح اليوم".

"التقيت بهم في باريس"، قال، وهو يخشى أن يقول لها أكثر، كما لو أنها ستعرف من نبرة صوته، أو أسوأ من ذلك، تشاهده يبكي.

"يقولون إنها غريبة جداً. سمعت أنه سيترشح للرئاسة". قالت كاتي عبر باب المطبخ، ولم يجب بيتر. لقد صعد إلى الأعلى بأكبر هدوء ممكن وكان يتصل بالمستشفى من غرفة نومهما.

لكنه لم يعرف أي شيء من الممرضات في مستشفى أديسون جيلبير. قال إنه صديق قريب للعائلة، وأخبروه تماماً ما سمعه على التلفزيون. إنها في غرفة العناية الفائقة، ولم تستعد وعيها منذ ان تم إنقاذها. وكم يمكن أن يستمر ذلك؟ تساءل ما إذا كانت أصيبت بضرر في الدماغ، ما إذا كانت ستموت، وما إذا كان سيراها مجدداً. ومجرد التفكير في ذلك جعله يرغب في التواجد معها. لكن كل ما استطاع فعله هو الاستلقاء الآن على سريره والتذكر.

"هل أنت على ما يرام؟" صعدت كاتي إلى الأعلى وهي تبحث عن شيء ما، وبدت متفاجئة لرؤيته مستلقياً على سريرهما. كان يتصرف بغرابة منذ أيام، أو بالأحرى طوال الصيف. لكن والدها كان هكذا أيضاً. وما استطاعت

ملاحظته أن فيكوتيك مشؤوم بالنسبة إليهما معاً. وشعرت بالأسف لأنهما قررا تطويره. إنه لا يستحق الثمن الذي يدفعانه. نظرت كاتي إلى بيتر حينها ولاحظت أن عينيه رطبتين. لم يكن لديها فكرة عما يفعله. "هل أنت على ما يرام؟"، سألت مجدداً، باهتمام. وضعت يداً على رأسه. لكنه لا يعاني من ارتفاع الحرارة.

"أنا بخير"، قال وهو يشعر بالذنب حيالها مجدداً، لكنه في الوقت نفسه خائف جداً على أوليفيا بحيث استطاع بالكاد التفكير. حتى لو لن يراها أبداً مجدداً، عرف أن العالم سيكون مكاناً مختلفاً من دون وجهها الرقيق، وعينيها اللتين تذكرانه دوماً بالمخمل البني. أراد أن يذهب إليها الآن ويفتحهما، ويقبلها مجدداً. أراد أن يكون هناك لأجلها. وحين شاهد آندي على التلفزيون مجدداً، أراد أن يخنقه لعدم كونه معها. كان يتحدث عن كل شيء فعلوه، وكيف جاءت العاصفة بسرعة، وكم كانت مأساة كبيرة عدم التمكن من إنقاذ الأولاد. وبطريقة ما، من دون أن يقول ذلك، أراد أن يشير إلى أنه بطل على رغم خسارة الحياة والخطر المحدق بزوجته.

كان بيتر هادئاً أكثر من المعتاد تلك الليلة. فالإعصار المرتقب رحل عنهم واتصل بالمستشفى مجدداً. لكن شيئاً لم يتغير. بالنسبة إليه، وإلى آل دوغلاس المنتظرين في المستشفى، كانت هذه عطلة نهاية أسبوع مشؤومة. لكن في وقت متأخر من ليلة الأحد، بعد أن خلدت كاتي إلى النوم، اتصل مجدداً. كانت هذه المرة الرابعة خلال اليوم، وشعر بركبتيه ترتجفان حين قالت الممرضة الكلمات التي صلى لأجلها.

"لقد استيقظت"، قالت فيما شعر هو بحنجرته تمتلئ بالدموع. "سوف تكون بخير"، قالت برفق. وحين أقفل السماعة، وضع وجهه بين يديه وبكى. كان لوحده، ويستطيع إخراج مشاعره الآن. لم يستطع التفكير في شيء آخر خلال اليومين الماضيين. لم يتمكن حتى من ترك رسالة لها، لكنه أرسل لها كل أفكاره الجيدة وصلواته. حتى أنه فاجأ كاتي بالذهاب إلى الكنيسة بنفسه يوم الأحد.

"لا أعرف ما الذي حصل لـــه"، قالت لوالدها تلك الليلة على الهاتف. "أقسم لك، إنه هذا الهراء مع فيكوتيك. أكره ذلك. إنه يجعله مريضاً ويدفعني للجنون".

"سوف يتجاوز المحنة"، قال والدها. "سنكون كلنا أكثر سعادة حين يصبح في الأسواق". لكن كاتي لم تعد واثقة. فمعاركهم بشأنه كانت مؤلمة جداً.

وفي صباح اليوم التالي، اتصل بيتر بالمستشفى مجدداً، لكنهم لم يسمحوا لـــه بالتحدث إليها. كان يترك أسماء مزيفة، وقال هذه المرة إنه قريبها من بوسطن. لا مجال حتى لترك رسالة مرمّزة لها لأنه لا يعرف من قد يكتشفها. لكنها كانت حية، وبخير. قال زوجها في مؤتمر صحافي إنهم محظوظون، وأنها ستعود إلى المنزل خلال أيام قليلة. وغادر إلى الساحل الغربي في وقت لاحق من ذلك الصباح. كان ينجز حملته الانتخابية، وأصبحت هي خارج الحلبة الآن.

عاد في الوقت المناسب لحضور دفن زوجة إدوين وولديه. كان بيتر مسمّراً أمام التغطية التلفزيونية، وشعر بالارتياح حين رأى أن أوليفيا لم تكن هناك لحسن الحظ. فبيتر يعرفها جيداً ويدرك انها لا تستطيع تحمل ذلك. سوف يذكرها ذلك كثيراً بولدها الصغير. لكن أهلها كانوا هناك، وإدوين، المفجوع جلياً والواقف بقربهم، وطبعاً آندي الذي وضع ذراعه حول شقيق أوليفيا. كانت هناك الطبقة السياسية الاعتيادية، وكل الصحف وقنوات التلفزيون، تغطي الحدث من مسافة بعيدة.

شاهدت أوليفيا الدفن على التلفزيون من غرفة العناية الفائقة، وبكت كثيراً. رأت الممرضات أنه لا يجدر بها حضور ذلك، لكنها أصرّت. إنهم عائلتها، ولا تستطيع أن تكون معهم. لكن حين شاهدت آندي لاحقاً يجري مقابلة حول مدى شجاعتهم جميعاً، وكم كان هو بطلاً، أرادت قتله.

بعد ذلك، لم يزعج نفسه حتى للاتصال بها وإخبارها عن حال إدوين. وحين اتصلت بالمنزل، بدا والدها وكأنه ثمل وقال لها إنهم اضطروا لتسكين

أمها بالعقاقير. إنه وقت مريع لهم جميعاً، وشعرت أوليفيا بالأسى لأنها لم تستطع تقديم حياتها عوضاً عنهم. كان الولدان صغيرين جداً، وزوجة شقيقها حاملاً مجدداً، رغم أن أحداً لم يعرف بذلك. ورأت أوليفيا أنه لم يعد لديها أي شيء للعيش من أجله. إنها تعيش حياة فارغة، مثل دمية شخص مغرور. لم يكن ليهتم أحد لو مات أي منهما، باستثناء أهلها. وفكرت في بيتر حينها، وفي الساعات التي تشاركاها، وتمنت لو أن هناك طريقة لرؤيته. لكن كما هي حال الأشخاص الآخرين الذين أحبتهم، أصبح جزءاً من الماضي الآن وما من طريقة أبداً لإدخاله في حاضرها أو مستقبلها.

استلقت في السرير بعد ذلك، بعد إطفاء التلفزيون، وبكت وهي تفكر في تفاهة الحياة. لقد مات ابن شقيقها وابنة شقيقها، وأمهما، وكذلك ابنها هي... وطوم شقيق آندي. العديد من الأشخاص الطيبين. كان يستحيل فهم سبب نجاة البعض وموت البعض الآخر.

"كيف حالك، سيدة تاتشر؟" سألتها إحدى الممرضات برفق فيما بكت. لاحظت الممرضات كم كانت غير سعيدة. مع وجود كل عائلتها في بوسطن لحضور الدفن، لم يأتِ أحد لزيارتها. كانت الممرضة قلقة عليها، ثم تذكرت. "ثمة شخص يتصل بك كل بضعة ساعات منذ ان وصلت إلى هنا. رجل. يقول إنه صديق قديم"، ثم ابتسمت، "وقال هذا الصباح إنه قريبك. لكني واثقة من أنه الرجل نفسه. لا يترك اسمه أبداً، لكنه يبدو قلقاً جداً عليك". ومن دون أي تردد، عرفت أنه بيتر. فمن غيره سيتصل ولماذا لا يترك اسمه؟ لا شك في أنه هو، ورفعت عينيها المليئتين بالحزن إلى الممرضة الواقفة بقربها.

"هل أستطيع التحدث إليه في المرة التالية؟" بدت مثل ولد مضروب. كانت مغطاة بالرضوض المريعة حيث ارتطمت بالشظايا المتناثرة من اليخت. كانت مأساة فظيعة وعرفت أنها لن تذهب أبداً قرب المحيط مجدداً.

"سوف أحاول إيصالك به إذا اتصل مجدداً"، طمأنتها الممرضة وذهبت. لكن حين اتصل بيتر مجدداً في وقت باكر من صباح اليوم التالي، كانت نائمة.

وبعد ذلك، جاءت ممرضة أخرى لأداء الخدمة.

استلقت أوليفيا في السرير تفكر به على الدوام بعد ذلك، متسائلة عن حاله، وماذا حصل لفيكوتيك وجلسة دائرة الأغذية والعقاقير. لا مجال أبداً للحصول على أخباره، واتفقا على ألا يتصلا ببعضهما منذ أن غادرا باريس. لكن الأمر يبدو صعباً جداً الآن. خصوصاً هنا، في المستشفى. لديه الكثير للتفكير فيه، وهناك الكثير من الأمور في حياتها التي باتت تكرهها الآن. لقد وعدت آندي أن تبقى معه، لكن هذا يكلفها كل شيء وعدت نفسها بأن تحققه. وفجأة، لم تستطع التفكير سوى في الحياة الوجيزة وغير المتوقعة، وكم هي ثمينة. لقد باعت روحها للسنوات الخمس التالية، وهذا يبدو مثل دهر في الوقت الحاضر. تمنت فقط ألا يفوز في الانتخابات. عرفت أنها لن تستطيع الصمود. ولا يمكن لزوجة الرئيس أن تختفي ببساطة. في السنوات الخمس التالية، عليها التحمل والصمود.

أمضت أربعة أيام أخرى في غرفة العناية الفائقة، إلى أن أصبحت رئتاها نظيفتين تقريباً، واستطاعوا نقلها إلى غرفة أخرى. جاء حينها آندي من فيرجينيا لرؤيتها. لديه بعض العمل الواجب إنجازه هناك، لكن ما إن وصل إلى المستشفى، حتى ظهر الصحافيون فجأة في كل مكان، وطاقم كاميرا، حتى أن أحدهم حاول رؤيتها. اختبأت فوراً تحت الشراشف، وأبعدتهم الممرضة عن الطابق، لكن آندي يجذب الصحافة مثلما يجذب الدم أسماك القرش. وكانت أوليفيا السمكة الصغيرة التي يريدون أكلها.

لكن خطرت لآندي فكرة رائعة. لقد رتب مؤتمراً صحافياً لها في المستشفى في اليوم التالي، مباشرة خارج غرفتها. أحضر لها مصفف شعر وخبير ماكياج. تم ترتيب كل شيء، ويمكنها التحدث إلى الصحافة من الكرسي النقال. لكن حين شرح لها الأمر، شعرت بقلبها يخفق ومعدتها تنقبض.

"لا أريد أن أفعل ذلك الآن". ذكرها ذلك حين مات ألكس ولاحقتها الصحافة باستمرار. يريدون أن يعرفوا الآن ما إذا شاهدت ابنة وابن شقيقها

يموتان، أو زوجة شقيقها، وكيف تشعر الآن بعد وفاتهم ونجاتها هي، وكيف يمكنها شرح الأمر. شعرت بالاختناق لمجرد التفكير في ذلك، وكل ما استطاعت فعله هو هزّ رأسها مذعورة. "لا أستطيع، آندي... أنا آسفة..."، قالت وهي تبتعد عنه، متسائلة ما إذا اتصل بيتر مجدداً. لم تشاهد الممرضة نفسها منذ أن غادرت غرفة العناية الفائقة، ولم يخبرها أحد بأي شيء. ولم تستطع السؤال عنه، عن رجل من دون اسم يتصل منذ أيام. لا تستطيع أن تفعل أي شيء يمكن أن يلفت الانتباه إليها.

"إسمعي، أوليفيا، عليك التحدث إلى الصحافة، وإلا سيظنون إننا نخبئ شيئاً ما. كنت في غيبوبة طوال أربعة أيام. لا تريدين أن تظن البلاد أنك مصابة بتلف في الدماغ أو شيء مماثل". تحدث إليها كما لو أنها فعلاً كذلك، وكل ما استطاعت التفكير به هو محادثتها المحزنة مع شقيقها هذا الصباح. إنه تائه وهي تستطيع أن تتخيل شعوره، بعد كل ما عاشته مع ألكس. لكنه خسر كل عائلته، ويريدها الآن آندي أن تتحدث إلى الصحافة من كرسي نقال.

"لا أبالي بما يفكرون. لن أفعل ذلك"، قالت بحزم.

"عليك فعل ذلك"، صرخ عليها، "لدينا اتفاق".

"أنت تقرفني"، قالت وهي تلتفت بعيداً عنه. وفي اليوم التالي، حين جاؤوا، رفضت مقابلتهم. لا تريد أن ترى مصفف الشعر، أو خبير الماكياج، ولم تخرج أبداً من غرفتها في الكرسي النقال. ظن الصحافيون أنهم يتلاعبون بهم، وعقد آندي مؤتمراً صحافياً في القاعة من دونها. شرح لهم الصدمة التي تعيشها، والذنب الذي تشعر به كونها أحد الناجين. قال إنه يعاني من ذلك هو أيضاً، لكن كان يصعب التصديق أن آندي تاتشر يعاني من أي شيء، سوى رغبة عارمة في البيت الأبيض، مهما كلفه ذلك. لكنه لن يخسر هذه الفرصة، وفي اليوم التالي، سمح بنفسه لثلاثة صحافيين بالدخول إلى الغرفة. وحين نظرت أوليفيا وشاهدتهم، بدت ضعيفة جداً وخائفة كثيراً. بدأت تبكي، وأجبرتهم ممرضة واثنان من مساعديها على الخروج. لكنهم نجحوا في التقاط

عشر صور لها قبل مغادرتهم الغرفة، واحتشدوا معاً في القاعة خارجاً حيث تحدثوا مع آندي. وحين عاد، بعدما غادر الصحافيون المستشفى، نهضت من سريرها وضربته بانتقام.

"كيف يمكن أن تفعل هذا بي؟ لقد توفيت كل عائلة إدوين للتو، وأنا لم أخرج حتى من المستشفى". كانت تبكي فيما ضربت يديها على صدره، وهي تشعر كأنها مغتصبة. لكنه احتاج لأن يثبت لهم أنها حية وبخير، وأنها لم تنهار، مثلما بدأوا يشكون، لأنها تختبئ منهم. وما كانت تحاول الحفاظ عليه هو كرامتها، لكن آندي لم يهتم لذلك. إنه يحمي صموده السياسي.

شاهد بيتر صورها في الأخبار تلك الليلة، وذهب قلبه إليها. بدت خائفة وضعيفة فيما استلقت في السرير، وبكى. فقد مزقته النظرة المهجورة في عينيها. كانت ترتدي ثوب المستشفى، مع أنابيب مغروزة في الأوردة في كلا الذراعين، وقال أحد الصحافيين إنها لا تزال تعاني من التهاب الرئة. إنه مشهد مؤثر لها، ولا شك في أنه سيحوز على الكثير من التعاطف، وهذا هو تماماً ما يريده زوجها. ولم يستطع بيتر سوى التفكير فيها بعد أن أطفأ جهاز التلفزيون.

لكن أوليفيا فاجأت آندي حين قالوا لها في المستشفى إنهم يرغبون في إرسالها إلى المنزل في نهاية الأسبوع، وقالت لـــه إنها لن تعود إلى المنزل معه. لقد تحدث مع أمها بشأن ذلك. سوف تعود إلى المنزل مع أهلها. إنهم يحتاجون إليها. وسوف تذهب إلى منزل آل دوغلاس في بوسطن.

"هذا سخيف، أوليفيا"، تذمر آندي حين أخبرته على الهاتف ما تريد القيام به. "لست فتاة صغيرة، أنت تنتمين إلى فرجينيا معي".

"لماذا؟" سألته بفظاظة. "لكي تدع الصحافيين يدخلون إلى غرفتي كل صباح؟ لقد عانت عائلتي من محنة كبيرة، وأريد أن أكون معهم". لم تلمه على الحادث. فالعاصفة ليست ذنبه، لكن طريقة معالجته للأمور منذ ذلك الحين تفتقد حتماً إلى الكرامة والعاطفة، أو حتى الحشمة، وعرفت أنها لن تسامحه أبداً. لقد استغلهم جميعاً. وفعلها مجدداً حين وجدت أسطولاً من الصحافيين

ينتظرها في قاعة المستشفى حين غادرت أديسون جيلبير. كان آندي الشخص الوحيد الذي يعلم بموعد خروجها، وهو الوحيد الذي يمكن أن يخبرهم. وظهروا في منزل أهلها أيضاً، لكن والدها أثبت موقفه هذه المرة.

"نحتاج إلى بعض الخصوصية هنا"، شرح، وأصغى إليه الناس بصفته الحاكم. أجرى بعض المقابلات المختارة، لكنه شرح أن زوجته وابنته وابنه ليسوا في وضع يتيح لهم تسلية أفراد الصحافة في الوقت الحاضر. "أنا واثق من أنكم تفهمون"، قال بلباقة، ووافق على التقاط صورة واحدة لـــه فقط. وقال إنه لن يعطي المزيد من الشروحات حول وجود السيدة تاتشر في منزله، سوى أنها أرادت أن تكون مع أمها وشقيقها، الذي يمكث أيضاً معهم. لم يستطع إدوين دوغلاس أن يتحمل الإقامة في منزله بعد، أو الخروج من هذه المحنة.

"هل تم إبعاد آل تاتشر منذ الحادث؟"، صرخ لـــه أحد الصحافيين وبدا متفاجئاً بالسؤال. لم يخطر لـــه هذا، وسأل زوجته الشيء نفسه تلك الليلة، متسائلاً ما إذا كانت تعرف شيئاً يجهله هو.

"لا أظن ذلك". قطبت جانيت دوغلاس وجهها أمامه. "لم تقل أوليفيا أي شيء"، لكنهما عرفا تماماً أنها تحتفظ بالكثير من الأسرار لنفسها. لقد عانت الكثير خلال الأعوام القليلة الماضية، وتحب الاحتفاظ بأسرارها.

لكن آندي سارع إلى التذمر لها حين سمع السؤال. قال لها إنه إذا لم تعود إلى المنزل سريعاً، سوف تبدأ الإشاعات.

"سأعود إلى المنزل حين أصبح جيدة كفاية لترك هنا"، قالت ببرودة.

"ومتى سيكون ذلك؟" سوف يعود إلى كاليفورنيا بعد أسبوعين، وأرادها أن تكون معه.

إنها تخطط فعلاً للعودة إلى فرجينيا خلال أيام قليلة، لكن إلحاحه جعلها ترغب في البقاء بعيداً لوقت أطول. وبعد مرور أسبوع على وجودها هناك، سألتها أمها أخيراً عن ذلك.

"ماذا يحدث؟"، سألت برفق، فيما جلست أوليفيا في غرفة نوم أمها. تعاني أمها من صداع الشقيقة بانتظام، وكانت قد شفيت للتو من نوبة، فيما لا تزال تحمل مكعباً ثلجياً. "هل كل شيء على ما يرام بينك وبين آندي؟"

"يعتمد هذا على مفهومك لعبارة "ما يرام""، قالت أوليفيا ببرودة. "ما من شيء أسوأ من العادة. إنه منزعج فقط لأني لا أسمح للصحافة بإزعاجي أو أعيد تمثيل الحادث لهم على التلفزيون. لكن أعطه يوماً واحداً أو اثنين، أمي، وأنا واثقة من أنه سيتدبر الأمر".

"السياسة تحدث أموراً غريبة عند الرجال"، قالت أمها بحكمة. فهي تعرف أفضل من أي كان ما الحقيقة، وكم كلّفتهم. حتى خضوعها الأخير لاستئصال الثدي تم الإعلان عنه في التلفزيون، مع صور شعاعية ومقابلة مع طبيبها. لكنها زوجة الحاكم، وعرفت أنه يجدر بها توقع ذلك. إنها في الحياة العامة طوال حياتها تقريباً، وقد استنفد ذلك الكثير منها. وكل ما تستطيع أن تراه الآن هو أنه استنفد شيئاً من حياة ابنتها أيضاً. يدفع الانسان كثيراً ثمن الانتخابات الرابحة، أو حتى الخاسرة.

نظرت إليها أوليفيا بهدوء، وتساءلت عما ستقوله أمها إذا أخبرتها الحقيقة. كانت تفكر في ذلك منذ أيام. وأرادت أن تعرف ما عليها فعله الآن. "أريد تركه أمي. لا أستطيع فعل ذلك. حاولت تركه في شهر يونيو، لكنه كان يرغب في الرئاسة بشدة، فوافقت على إجراء الحملة الانتخابية معه، والبقاء معه خلال السنوات الأربع الأولى إذا فاز". نظرت إلى أمها بحزن. إن ما فعلته حماقة بدا مريعاً في الكلام. "إنه يدفع لي مليون دولار عن كل سنة للقيام بذلك. والشيء المضحك هو أني لا أهتم حتى. بدا ذلك مثل المقامرة بالمال حين عرضه عليّ. فعلت ذلك لأجله لأني كنت أحبه. لكني أظن أني لم أعد أحبه كفاية، مثلما كنت في البداية. أنا أعرف الآن تماماً أني لا أستطيع فعل ذلك". إنها لا تدين بذلك لأي أحد، ولا حتى لآندي.

"لا تكفي"، قالت جانيت دوغلاس بفظاظة. "حتى المليون دولار كل سنة

لا تكفي. ولا عشرة ملايين. ما من مبلغ يستحق تدمير الحياة من أجله. أهربي حين تستطيعين، أوليفيا. كان يجدر بي فعل ذلك قبل أعوام. لقد فات الأوان الآن. لقد قادني ذلك إلى الشرب، وحطم صحتي، ودمر زواجنا، ومنعني من القيام بكل شيء أردته، وألحق الأذى بعائلتنا وجعل الحياة صعبة بالنسبة إليكم جميعاً. أوليفيا، إذا كنت لا تريدين ذلك، إذا كنت لا ترغبين أنت في هذا بشدة، أخرجي الآن، فيما لا يزال بإمكانك. أرجوك حبيبتي"، امتلأت عيناها بالدموع فيما شدّت على يد ابنتها، "أتوسلك. ومهما قال والدك، أنا أدعمك مئة في المئة". ثم نظرت إليها بجدية أكبر. فالتخلي عن السياسة أمر، والتخلي عن زواج يمكن إنقاذه أمر آخر. "ماذا عنه؟ ماذا عن آندي؟"

"لقد انتهى الأمر منذ وقت طويل، أمي".

أومأت جانيت برأسها مجدداً. لم يفاجئها ذلك فعلاً. "ظننت ذلك. لكني لم أكن واثقة". ثم ابتسمت ببطء. "سوف يظن والدك أني كذبت عليه ذلك اليوم. لقد سألني ما إذا كل شيء على ما يرام معك، وقلت لـــه نعم. لكني لم أكن واثقة حينها".

"شكراً، أمي"، قالت أوليفيا وهي تضع ذراعيها حولها. "أحبك". لقد أعطتها أمها للتو أعظم هدية على الإطلاق، مباركتها.

"أنا أحبك أيضاً حبيبتي"، قالت فيما أمسكت بابنتها. "إفعلي ما تريدينه، ولا تقلقي بشأن ما يقوله والدك. سيكون على ما يرام. سوف يحدثان هو وآندي بعض الضجة لفترة، ثم ينسيان الأمر. وآندي لا يزال شاباً. يمكنه الزواج ثانية وفعل ذلك مرة جديدة. ليس أول من يفعل ذلك في واشنطن. لا تدعيه يجبرك على العودة، أوليفيا، إلا إذا كنت تريدين ذلك". فما تريده فعلاً لابنتها هو أن تكون بعيدة عن هنا. أرادت لها الحرية.

"لا أريد العودة أمي. لن أفعل أبداً. كان يجدر بي تركه قبل أعوام... قبل أن يولد ألكس، أو على الأقل بعدما مات".

"أنت شابة، وسوف تصنعين حياة لنفسك"، قالت بحزن. فهي لم تفعل

أبداً. لقد تخلت عن حياتها، ومهنتها، وأصدقائها، وأحلامها. لقد بددت كل طاقة لديها في سبيل مهنة زوجها السياسية، وأرادت شيئاً مختلفاً تماماً لابنتها. "ماذا ستفعلين الآن؟"

"أريد الكتابة". ابتسمت بخجل وضحكت أمها.

"هكذا، تكتمل الدائرة، أليس كذلك؟ إفعلي ذلك، ولا تدعي أياً كان يوقفك".

جلسا وتحدثا طوال بعد الظهر وأعدّا الغداء معاً في المطبخ. فكرت أوليفيا حتى في إخبارها عن بيتر، لكنها لم تفعل في النهاية. قالت إنها تفكر في العودة إلى فرنسا، إلى قرية الصيد التي أحبتها كثيراً. إنه مكان جيد للكتابة، ومكان جيد للاختباء، لكن أمها حذرتها من ذلك أيضاً.

"لا يمكنك الاختباء إلى الأبد".

"لمَ لا؟" ابتسمت بحزن. ما من شيء آخر لتفعله الآن، سوى الاختفاء، على نحو شرعي هذه المرة. لكنها لم تعد تريد شيئاً لـــه علاقة بالصحافة أو الناس.

انضم شقيقها إليهما لتناول العشاء تلك الليلة. كان حزنه قوياً وكبيراً، لكنها جعلته على الأقل يضحك مرة أو مرتين، واستمر في متابعة ما يجري في واشنطن عبر الهاتف والفاكس كل يوم. لم تصدق أوليفيا أنه يستطيع التفكير في ذلك الآن، لكن حتى أمام هذه الخسارة الكبيرة، كان شبيهاً جداً بوالدهما. كان واضحاً أنه غارق في السياسة تماماً مثل والدها وزوجها. وفي وقت متأخر من تلك الليلة، اتصلت بآندي لتقول لـــه إنها اتخذت قراراً مهماً.

"لن أعود"، قالت ببساطة.

"ليس هذا مجدداً"، بدا منزعجاً هذه المرة. "هل نسيت عقدنا؟"

"ما من شيء فيه يقول إني مضطرة للبقاء معك، أو متابعتك حتى الرئاسة. يقول فقط إنه إذا فعلت ذلك، سوف تدفع لي مليون دولار عن كل سنة. حسناً، لقد وفرت عليك الكثير من المال".

"لا يمكنك فعل ذلك"، قال وهو يبدو أكثر غضباً مما سمعته يوماً. إنها تعترض الشيء الوحيد الذي يريده.

"بلى، أستطيع، وسوف أفعل. سوف أغادر إلى أوروبا غداً صباحاً".

لن تغادر فعلياً قبل بضعة أيام، لكنها أرادت التأكد من أن يعرف بأن الأمر انتهى. وصل إلى بوسطن في اليوم التالي، وكما توقعت أمها، تشاجر والدها معهما. لكنها في الرابعة والثلاثين، وتعرف ما تريده، وهي امرأة ناضجة. وتعرف أن شيئاً لن يغير رأيها.

"هل تدركين عما تتخلين؟" صرخ والدها عبر الغرفة، فيما نظر إليه آندي شاكراً. بالنسبة إلى أوليفيا، بدا ذلك مثل غوغاء الإعدام من دون محاكمة.

"نعم"، قالت بهدوء، وهي تنظر مباشرة إليهما، "الحسرة والأكاذيب. لقد عشتهما لفترة، وأظن أني سأتدبر أموري جيداً من دونهما. أوه، لقد نسيت، والاستغلال".

"لا تكوني فظة هكذا"، قال والدها بقرف. إنه سياسي من المدرسة القديمة، وليس متغطرساً بقدر آندي. "إنها حياة رائعة، وفرصة ممتازة، وأنت تعرفين ذلك".

"بالنسبة إليك ربما"، قالت وهي تنظر إلى والدها بحزن واضح. "لكن بالنسبة إلى بقيتنا، إنها حياة من الوحدة والخيبة، من الوعود الكاذبة طوال الحملة الانتخابية. أريد حياة حقيقية مع رجل حقيقي، أو لوحدي إذا كان هذا قدري. لم أعد أهتم أبداً. أريد فقط الابتعاد عن السياسة بقدر ما أستطيع، ولا أسمع أبداً الكلمة مجدداً". ألقت نظرة جانبية طويلة على أمها، ولاحظت أنها كانت تبتسم.

"أنت مجنونة"، صرخ والدها. لكن حين غادر آندي منزلهم تلك الليلة، كان غاضباً جداً ووعدها بأنها ستدفع ثمن ما فعلته به للتو. ولم يكن يكذب. ففي اليوم الذي غادرت فيه إلى فرنسا، أي بعد ثلاثة أيام، كتبت قصة في صحف بوسطن عرفت أنه هو من اخترعها. قالت القصة إنه بعد حادثها

المأسوي الأخير، الذي توفي في ثلاثة من أفراد عائلتها، عانت من ضغط الصدمة، وتم إدخالها إلى مستشفى بسبب انهيار عصبي. قالت القصة إن زوجها قلق جداً عليها، ورغم أن المقال لم يذكر ذلك صراحة، جرى التلميح إلى إقصائها بسبب حالتها العقلية. وكان المقال متعاطفاً كله مع آندي لتحمله مثل هذه المشكلة. إنه يجيد تغطية أخباره. إذا قال إنها مجنونة، لا بأس حينها في التخلص منها. الجولة الأولى لآندي... أم هي الجولة الثانية... أو العاشرة؟ هل تخلى عنها أم أنها هربت ببساطة وأنقذت حياتها فيما هو غير مهتم؟ لم تعد واثقة الآن.

شاهد بيتر القصة أيضاً، وشك في أنها من تأليف آندي. فهذا لا يبدو مطابقاً لأوليفيا، حتى بعد الوقت القصير الذي عرفها فيه. لكنه لا يستطيع التأكد هذه المرة، لأنهم لم يذكروا اسم المستشفى التي أدخلت إليه. وما من طريقة أبداً لمعرفة الحقيقة، وهذا ما دفعه إلى القلق بشدة.

أخذتها أمها إلى المطار بعد ظهر يوم الخميس، بعد أيام قليلة من إطلاعها آندي على رحيلها. كان الوقت في نهاية أغسطس حينها، وما زال بيتر وعائلته في الكروم. وضعت جانيت دوغلاس ابنتها في الطائرة، ووقفت هناك حتى أقلعت الطائرة. أرادت أن تتأكد من أنها في أمان ومن أنها رحلت فعلاً. لقد هربت أوليفيا من مصير أسوأ من الموت برأي أمها. وشعرت بالارتياح حين شاهدت الطائرة تحلق في الأعلى في طريقها إلى باريس.

"بأمان الله، أوليفيا"، قالت بنعومة وهي تأمل ألا تعود إلى الولايات المتحدة قبل وقت طويل. فهناك الكثير من الألم الذي ينتظرها هنا، الكثير من الذكريات، الكثير من الرجال الأنانيين والفاسدين الذين ينتظرون إيذاءها. شعرت أمها بالسعادة لأنها عرفت أنها عائدة إلى فرنسا. وفيما اختفت الطائرة بعيداً عن الأنظار، أشارت جانيت إلى حراسها الشخصيين وخرجت ببطء من المطار مع تنهد. أصبحت أوليفيا الآن في أمان.

الفصل العاشر

فيما انتهى شهر أغسطس، واستمرت الفاكسات في الوصول حول أبحاث فيكوتيك، بدا أن التوتر بين بيتر وحماه تصاعد. وفي عطلة الأسبوع، كان الأمر واضحاً تقريباً، وحتى الأولاد بدأوا يشعرون.

"ما الذي يحدث بين جدي وأبي؟"، سأل بول بعد ظهر يوم الأحد وقطّبت كاتي حاجبيها فيما أجابته.

"أصبح والدك صعباً"، قالت بهدوء، لكن حتى ابنها لاحظ أنها تلوم بيتر على التوتر بينهما.

"هل تشاجرا أو حصل شيء من هذا؟" كان كبيراً كفاية ليفهم، وكانت أمه صريحة عادة معه، رغم أن "الشجارات" غير مألوفة عادة في العائلة. لكنه عرف تماماً أن والده وجده مختلفان بشأن أمر ما.

"إنهما يعملان على منتج جديد"، قالت، ببساطة، لكن المسألة أكثر تعقيداً من ذلك، وهي تعرف هذا. لطالما طلبت من بيتر أن يهوّن على نفسه. فقد عمل والدها طوال الصيف، وفي عمره، ليس هذا جيداً لـــه. لكن حتى كاتي اعترفت بأن والدها يبدو أفضل من أي وقت مضى. ففي عمر السبعين، لا يزال يلعب كرة المضرب لمدة ساعة كل يوم، ويسبح ميلاً كاملاً كل صباح.

"أوه"، كان بول راضياً من شرحها. "أظن أن المسألة ليست خطيرة إذاً". لقد حلّ مشكلة فيكوتيك ذات ملايين الدولارات بتقييم سهل من شاب في السادس عشرة.

سوف يذهبون جميعاً إلى حفلة كبيرة تلك الليلة للاحتفال بنهاية الصيف. سوف يكون كل أصدقائهم هناك، وسوف يغادرون بعد يومين. سوف يعود باتريك وبول إلى المدرسة، فيما يذهب مايك إلى برينستون. ويوم الاثنين،

سوف ينتقلون جميعاً إلى غرينتش.

كاتي لديها الكثير من الأشياء الواجب إنجازها، مثل إغلاق منزلها، وكذلك منزل والدها، في الكروم. وكانت ترمي بعض الثياب فيما تجول بيتر وراقبها. لم يكن هذا الصيف مفيداً لــه أبداً. فالصفعة المزدوجة الناجمة عن خسارة فيكوتيك تقريباً والاضطرار إلى التخلي عن أوليفيا بعد لحظات فقط من لقائهما كانت بمثابة ألم كبير لــه طوال شهر أغسطس. كما أن القلق بشأن فيكوتيك زاد من كآبته، فضلاً عن أن ضغط فرانك المستمر لم يساعده، ولا تدخّل كاتي المستمر في ما لا يعنيها أبداً. إنها مهتمة كثيراً بما يحصل بينهما، وحريصة كثيراً على حماية والدها. ولا مجال للإنكار بأن ما حصل مع بيتر في فرنسا غيّر الأمور. لم يكن يريد ذلك. لقد كان مصمماً جداً على العودة والانطلاق مجدداً من حيث غادر، لكن هذا لم يحدث. إنه مثل فتح نافذة ومشاهدة منظر، ومن ثم الدخول إلى المنزل مجدداً. بقي واقفاً في المكان نفسه، يحدّق في جدار فارغ، ويتذكر ما كان موجوداً هنا: ولو لفترة وجيزة فقط. فالمشهد الذي رآه مع أوليفيا لا ينسى أبداً، ورغم أنه لم يقصد أبداً ذلك، عرف الآن أن ذلك غيّر حياته إلى الأبد. لن يعدّل أي شيء، ولن يذهب إلى أي مكان. لم يتصل بها أبداً، سوى الاتصال بالمستشفى بعد الحادث والحصول على تقارير عن حالتها من الممرضة في غرفة العناية الفائقة. لكنه لم يستطع نسيانها أيضاً. كما أن حادثها أثار الذعر فيه، فمجرد المعرفة أنها على وشك الموت بدت مثل عقوبة مرعبة. ولكن لماذا هي وليس هو؟ لماذا يجب أن تعاقب أوليفيا؟

"أنا آسف لأن الصيف كان حقيراً هكذا"، قال بيتر بحزن، وهو يجلس على السرير فيما وضعت كاتي كومة من الكنزات بعيداً في صندوق مع كرات تحمي من العث.

"لم يكن سيئاً جداً"، قالت بلطف، وهي تلقي نظرة سريعة عليه من أعلى سلم صغير.

"هكذا كان بالنسبة إليّ"، قال بصدق. لقد كان يائساً طوال الصيف. "كان لدي الكثير من الهموم"، قال بتفسير فائق البساطة، وابتسمت لـــه كاتي مجدداً. ثم أصبحت عيناها جديتين فيما راقبته. كانت تفكر في والدها.

"وكذلك هو أبي. لم يكن الأمر سهلاً عليه أيضاً". كانت تفكر فقط في فيكوتيك. أما بيتر فكان يفكر في المرأة الاستثنائية التي التقاها في باريس. لقد جعلت أوليفيا العودة إلى كاتي شبه مستحيلة تقريباً. كانت كاتي مستقلة جداً وباردة جداً، وترغب كثيراً في العمل من دونه. بدا أنهما لن ينجزا أي شيء مع بعضهما بعد الآن، سوى رؤية أصدقائهما في الليل بين الحين والآخر، ولعب كرة المضرب مع والدها. أراد أكثر من ذلك. إنه في الرابعة والأربعين، وأراد فجأة الرومنسية. أراد الاتصال بها. أراد الراحة، والصداقة، وحتى بعض الإثارة. أراد الاستلقاء بقربها والشعور بلحمها قرب لحمه. أرادها أن ترغب فيه. لكنه يعرف كاتي منذ أربعة وعشرين عاماً، وبقي القليل من الرومنسية بينهما. هناك الذكاء، والاحترام، ومجموعة من الاهتمامات المشتركة، لكنه لم يكن يشعر بالإثارة حين يراها مستلقية قربه، وحين يفعل، يكون لديها اتصالات هاتفية يجب القيام بها، أو اجتماعاً في مكان ما، أو موعداً مع والدها. بدا أنهما يفوتان كل فرصة لممارسة الحب، للتواجد لوحدهما، للضحك أحياناً، أو الجلوس والتحدث، وقد اشتاق لذلك. لقد أرته أوليفيا ما كان يفتقد إليه تماماً. والحقيقة أن ما عاشه معها لم يعرفه أبداً مع كاتي. كان هناك نوع من الإثارة المندفعة في كل شيء لـــه علاقة بأوليفيا لدرجة تخطف الأنفاس. فالحياة مع كاتي كانت دوماً أشبه بالذهاب إلى حفل التخرج. ومع أوليفيا، كانت أشبه بالذهاب إلى حفل راقص مع أميرة خيالية. إنها مقارنة سخيفة وجعله ذلك يضحك حين فكر في الأمر، ثم شاهد كاتي تحدق فيه.

"لماذا تضحك؟ كنت أقول لك كم كان الأمر صعباً على أبي". لم يسمع كلمة واحدة مما قالته. كان يحلم بأوليفيا تاتشر.

"هذا هو الثمن الذي تدفعينه ثمن إدارة عمل مثل عملنا"، قال بيتر

ببساطة. "إنه عبء كبير، ومسؤولية كبيرة، ولم يقل أحد إن الأمر سيكون سهلاً". كان متعباً من سماع أخبار والدها. "لكني لم أكن أفكر في ذلك الآن. لماذا لا نذهب أنا وأنت إلى مكان ما؟ نحتاج إلى بعض الهروب". لم توفر كروم مارتا الإجازة المريحة التي عرفوها خلال الأعوام السابقة. "لماذا لا نذهب إلى إيطاليا أو مكان آخر؟ إلى الجزر الكاريبية أو هاواي؟" سيكون الأمر مختلفاً ومثيراً لمجرد التواجد معها هناك. وفكّر في أن رحلة مثل هذه قد تعيد القليل من الحياة إلى زواجهما.

"الآن؟ لماذا؟ إنه سبتمبر. لديّ آلاف الأشياء الواجب القيام بها، وكذلك أنت. عليّ إدخال الأولاد إلى المدرسة، وعلينا أخذ مايك إلى برينستون في عطلة الأسبوع التالية". نظرت إليه كما لو أنه مجنون، لكنه كان مصراً. فبعد كل هذه السنوات، عليه على الأقل محاولة البقاء معها.

"إذاً، بعد أن يستقر الأولاد في المدرسة. أنا لا أقصد اليوم، وإنما ربما في وقت ما خلال الأسابيع القليلة المقبلة. ما رأيك؟" نظر إليها بأمل فيما نزلت عن السلم وأراد أن يشعر حيالها أكثر مما يفعل حقيقة. لكن المشكلة أنه لم يفعل. قد تتمكن الرحلة إلى الجزر الكاريبية في تغيير ذلك.

"عليك الذهاب إلى جلسة دائرة الأغذية والعقاقير في سبتمبر. ألا يجدر بك الاستعداد لذلك؟"

لم يقل لها إنه مهما قال والدها، ليس لديه أية نية في الذهاب، ولن يسمح لوالدها بالذهاب أيضاً. لا يستطيعان حلف يمين كاذبة على أمل بعيد أن تحل كل المشاكل في وقت ما قبل نزول فيكوتيك إلى الأسواق. "دعيني أهتم بهذا"، كان كل ما قاله لها، "قولي لي فقط متى تستطيعين الرحيل، وسوف أخطط لذلك". فالشيء الوحيد في جدول أعماله هو المثول أمام الكونغرس بشأن التسعير، وقد وافق أخيراً على فعل ذلك. لكنه عرف أنه يستطيع تأجيل مثوله، إذا اضطر لذلك. إنها مسألة مجاملة ونفوذ أكثر مما هي وضع حاسم. وبالنسبة إليه، رأى أن زواجهما أكثر أهمية.

"لديّ الكثير من الاجتماعات هذا الشهر"، قالت كاتي بغموض، وفتحت درجاً آخر مليئاً بالكنزات. وفيما راقبها بيتر تعمل، تساءل فجأة عما كانت تقوله.

"ألا تريدين الذهاب؟". إذا كانت هذه هي الحالة، يريد أن يعرف. فهناك شيء يزعجها ربما، ثم خطرت في باله فجأة فكرة دوّت في رأسه مثل الصاعقة. هل تقيم علاقة غرامية هي أيضاً؟ هل هي مغرمة بشخص آخر؟ هل تتجنبه؟ يمكن أن يحدث لها ذلك في النهاية، رغم أن الأمر لم يخطر لـــه أبداً، وشعر فجأة بالحماقة لإدراكه بأنها ضعيفة مثله تماماً. فهي لا تزال جذابة، وشابة نسبياً، وهناك الكثير من الرجال الذين يعجبون بها. لكن بيتر لم يملك أية فكرة عن كيفية سؤالها ما إذا حصل ذلك فعلاً. فهي دوماً باردة نسبياً، ومتزمتة نوعاً ما، ولا مجال أبداً لسؤالها ما إذا أقامت يوماً علاقة غرامية خارج الزواج. بدل ذلك، حدّق فيها فيما وضعت بعض كرات الحماية من العث في صندوق آخر مشتمل على الكنزات. "هل هناك سبب يدفعك إلى عدم الرغبة في السفر معي؟"، سألها بأكبر فظاظة ممكنة، ونظرت إليه أخيراً وأعطته الجواب الذي أزعجه جداً.

"لا أظن أن هذا سيكون عادلاً بالنسبة إلى أبي في الوقت الحاضر. إنه منزعج من فيكوتيك. لديه الكثير من الهموم. سيظن أننا أنانيان فعلاً إذا ذهبنا لنستلقي على الشاطئ في مكان ما فيما يجلس هو في المكتب ويقلق". حاول بيتر بصعوبة إخفاء انزعاجه. لقد سئم من القلق بشأن فرانك. فهو يفعل ذلك منذ ثمانية عشر عاماً.

"نحتاج الآن ربما لأن نكون أنانيين"، ألح بيتر. "ألا يقلقك أحياناً أننا متزوجان منذ ثمانية عشر عاماً، ولا ننتبه كثيراً إلى بعضنا، أو إلى ما نحتاجه، أو إلى زواجنا؟" كان يحاول قول شيء لها، لكنه لم يعتمد الدبلوماسية حين فعل ذلك.

"ماذا تقول لي؟ إنك سئمت مني، وتحتاج لأن تراني على الشاطئ في

مكان ما لإحياء الزواج مجدداً؟" التفتت ونظرت إليه، ولم يكن واثقاً من كيفية الإجابة لبرهة. إنها أقرب إلى الحقيقة مما يجرؤ على إخبارها.

"أظن فقط أنه من الجميل الابتعاد عن والدك، والأولاد، والآلة المجيبة، واجتماعاتك المدرسية، وحتى فيكوتيك. فحتى هنا، نجد أنفسنا باستمرار بالقرب من آلة الفاكس، أو على الأقل أنا، والأمر شبيه بوجودي في المكتب. أودّ فقط أن أذهب بعيداً معك إلى مكان ما، حيث لا يصرف انتباهنا أي شيء، ويمكننا التحدث، وتذكير أنفسنا كيف كنا مجنونين حين التقينا للمرة الأولى أو حين تزوجنا".

ابتسمت لــه حينها. بدأت تفهم. "أظن أنك تواجه أزمة منتصف العمر. وما أراه فعلاً أنك قلق من جلسة دائرة الأغذية والعقاقير، وتريد الهروب، وأنت تستعملني لفعل ذلك. حسناً، إنسَ ذلك أيها الرجل الشاب. ستكون على ما يرام، سينتهي الأمر خلال يوم، وسنكون جميعاً فخورين بك". كانت تبتسم فيما قالت لــه ذلك، وشعر هو بقلبه ينهار. لم تفهم أي شيء، أو على الأقل حقيقة حاجته إلى شيء منها لا يحصل عليه، وأنه لا ينوي الذهاب إلى جلسة دائرة الأغذية والعقاقير. فالشيء الوحيد الذي سيفعله هو المثول أمام الكونغرس بشأن التسعير.

"لا علاقة لذلك بدائرة الأغذية والعقاقير"، قال بصرامة، وهو يحاول أن يبدو هادئاً ويرفض مناقشة مسألة الجلسة معها مجدداً. لقد سمع ما يكفي من والدها. "انا أتحدث عنا، كايت، وليس عن جلسة دائرة الأغذية والعقاقير". لكن أحد الأولاد قاطعهما حينها. أراد مايك مفاتيح السيارة، وكان باتريك في الأسفل مع صديقين، ويحتاج لأن يعرف ما إذا كان هنالك المزيد من البيتزا المثلجة في مكان ما لأنهم يتضورون جوعاً.

"كنت سأذهب حالاً إلى المتجر"، قالت لهم، وضاعت الفرصة. التفتت ونظرت إلى زوجها من فوق كتفها فيما غادرت الغرفة. "لا تقلق، سيكون كل شيء على ما يرام". ثم رحلت، وجلس هو على سريرهما لوقت طويل وهو

يشعر بالفراغ. لقد حاول على الأقل. لكنه لم يصل إلى أي شيء، وكان هذا عزاء بسيطاً. لم يكن لديها فكرة عما قاله، والشيء الوحيد الذي استطاعت التركيز عليه هو والدها، والجلسة.

ذكر لـــه فرانك الشيء نفسه مجدداً في الحفلة. كان ذلك أشبه بالاستماع إلى أسطوانة مكسورة، وبذل بيتر ما بوسعه لتغيير الموضوع. كان فرانك يطلب منه أن يكون "رجلاً طيباً" و"يتماشى مع الأمور" لبرهة. كان واثقاً من أن فرق الأبحاث لديهم سوف تعثر على كل العلل قبل نزول فيكوتيك إلى الأسواق، وسوف تُهدر كرامتهم إذا تراجعوا الآن عن طلب الإطلاق المبكر من دائرة الأغذية والعقاقير. وبرأي فرانك، سيكون ذلك بمثابة علم أحمر ينذر الصناعة بأن منتجهم يواجه مشاكل خطيرة.

"يمكن أن نحتاج إلى سنوات لنسيان ذلك. أنت تعرف ما يحدث حين يبدأ هذا النوع من الكلام. يمكن أن يلطخ سمعة فيكوتيك إلى الأبد".

"علينا الاستفادة من هذه الفرصة، فرانك"، قال بيتر وهو يحمل شراباً في يده. إنه ابتهال أصبح يعرفه الآن عن ظهر قلب وبقي الرجلان متشبثين بموقفهما المتناقضين.

وما إن استطاع بيتر فعل ذلك، ابتعد عنه، وشاهد بعد برهة فرانك يتحدث إلى كاتي. استطاع أن يخمّن طبيعة الحديث، وشعر بالاكتئاب حين راقبهما. كان واضحاً لـــه أنهما لا يناقشان عطلته المقترحة. وعرف بلا ريب أن هذه الخطة الصغيرة لن تتحقق أبداً. لم يقل لها أي شيء عن ذلك تلك الليلة. وفي اليومين التاليين، كانا مشغولين في إغلاق المنزل. إنه غير مهيء لفصل الشتاء، ولن يعودوا إليه قبل الصيف المقبل.

في رحلة العودة إلى المدينة، تحدث الأولاد عن العودة إلى المدرسة. كان بول يتطلع إلى لقاء أصدقائه في أندوفر، وأراد باتريك زيارة شوات وغروتون هذا الخريف. أما مايك فكل ما استطاع التحدث عنه هو برينستون. لقد ذهب جده إلى هناك، وسمع طوال حياته عن النوادي والاجتماعات هناك.

"من المؤسف جداً أنك لم تذهب إلى هناك، أبي. يبدو رائعاً". لكن شهادة مكتسبة من المدرسة الليلية في جامعة شيكاغو توازي تقريباً برينستون.

"انا واثق من أن هذا رائع، بنيّ، لكن لو ذهبت إلى هناك، لما التقيت أمك أبداً"، قال وهو يتذكر أول لقاء لهما في جامعة ميتشيغان.

"هذه نقطة"، قال مايك مع ابتسامة. كان يخطط للانضمام إلى نادي جده ما إن يسمحوا لــه بذلك. عليه الانتظار سنة، لكنه سيتحدث إلى بعض الجمعيات في غضون ذلك. لقد خطط كل شيء وصمم كل شيء. وقد تحدث عن ذلك طوال طريق العودة إلى نيويورك، الأمر الذي جعل بيتر يشعر بأنه مهمل ووحيد نوعاً ما. هذا غريب. فقد كان واحداً منهم طوال ثمانية عشر عاماً، لكن شيئاً في داخله ما زال يجعله يشعر بأنه دخيل، حتى مع أولاده الآن.

وفيما توجهوا جنوباً، ولم يكن الآخرون يتحدثون إليه، انحرفت أفكاره إلى أوليفيا. تذكر أحاديثهما في مونتمارتر في الليلة الأولى، والمشي معها على الشاطئ في لافافيير. كان هناك الكثير لقوله والكثير للتفكير فيه. وكاد أن يرتطم بسيارة أخرى فيما غرق في أحلام اليقظة، وصرخ جميع الموجودين في السيارة لتفادي الارتطام.

"يالإلهي، ماذا تفعل، أبي!" لم يستطع مايك أن يصدق ما حدث للتو.

"آسف، وقاد بحذر أكبر، لكنها أعطته شيئاً لم يعطه لــه أحد قبلاً. تذكرها أيضاً وهي تقول لــه إن ما حققه كان بفضله، وليس بفضل آل دونوفان، لكن هذا صعب التصديق، خصوصاً بالنسبة إلى بيتر. كان واضحاً لــه أن كاتي ووالدها جعلا كل ذلك يحدث.

لكن فيما انحرفت أفكاره إلى أوليفيا مجدداً، تساءل أين هي الآن، وما إذا كانت قصة تواجدها في المستشفى حقيقية. فقد كان كل شيء في القصة يبدو زائفاً. بدا مثل تغطية لانفصال، أو لعلاقة غرامية، أو لعملية شد وجه، وعرف أن اثنين من هذه الاحتمالات مستبعدين في حالتها. تساءل فجأة ما إذا كانت

تركت آندي، على رغم ترشحه للرئاسة. فقد كان هذا يلائم آندي للقول إنها مجنونة.

وبعد يومين، أدرك أنه كان محقاً حين تلقى بطاقة بريدية منها في المكتب. كانت البطاقة على مكتبه حين عاد من الغداء. كان هناك رسم لقارب صيد صغير، وأشارت علامة البريد إلى أنها صادرة من لافافيير.

كانت البطاقة مكتوبة بيدها الصغيرة والدقيقة، وكانت مرمّزة نوعاً ما. "أنا هنا مجدداً. أكتب. أخيراً. خرجت من المنافسة إلى الأبد. لم أستطع. آمل أن يكون كل شيء على ما يرام معك. لا تنسَ كم أنت شجاع. وهذا كله بفضلك. أنت أنجزت كل شيء. تحتاج إلى المزيد من الشجاعة لفعل ذلك، بدل الهروب، مثلما فعلت. لكني سعيدة. إعتنِ بنفسك. أحبك دوماً". وقد وقعت ببساطة بالحرف "أ". لكنه استطاع أن يشعر بما هو بين السطور. ما زال يتذكر البحة في صوتها حين قالت لــــه إنها تحبه. وهو يعرف أنها لا تزال تحبه، تماماً مثلما يحبها هو. سوف يحبها دوماً. سوف تحيا في قلبه، وذكرياته، إلى الأبد.

قرأ البطاقة البريدية مجدداً، وفكر فيها. كانت أقوى أكثر مما تظن. فالمغادرة هي التي احتاجت إلى الشجاعة الحقيقية، وليس البقاء، مثلما فعل هو. إنه معجب بها. وكان مسروراً لأجلها لأنها هربت من حياتها. أمل أن تكون سعيدة هناك، وتعيش بسلام. وكان واثقاً أن ما تكتبه سيكون لامعاً حتماً. كانت شجاعة جداً في شعورها، مصرة جداً على أن تكون من هي، وأن تقول ما تفكر به. لا تخفي أي شيء، ولا تكذب في أي شيء. إنها أمرأة تعيش للحقيقة، مهما كلفها ذلك. لقد أجرت تنازلاتها هي أيضاً، وتعترف بذلك. لكنها لم تفعل الآن. أوليفيا حرة الآن، وهو يحسدها، فيما وضع البطاقة البريدية بعيداً، على أمل ألا يكون رآها أحد.

جاءت نتائج اختبارات فيكوتيك في اليوم التالي، وكانت أفضل مما أمل، لكنها كانت بمثاب كارثة في ما يتعلق بالإطلاق المبكر للدواء، وعرف بيتر

ذلك. أصبح خبيراً في تفسير النتائج الآن، وقد عرف ما تعنيه تماماً مثل والد كاتي. اتفق الرجلان على الاجتماع لمناقشة النتائج مطوّلاً يوم الجمعة، والتقيا في غرفة الاجتماعات القريبة من مكتب فرانك في تمام الساعة الثانية. كان فرانك ينتظره مع تعابير صارمة، ويستبق أصلاً ما سيقوله لـــه بيتر. لم يبددا أي وقت في الحديث التافه، باستثناء التحدث عن مايك. كان بيتر وكاتي سيأخذانه إلى برينستون في صباح اليوم التالي، وكان فرانك فخوراً به بوضوح. لكن لحظة التطرق إلى الموضوع، عاد فرانك إلى العمل الجاد.

"تعرف كلانا لماذا نحن هنا، أليس كذلك؟"، قال وهو ينظر في عينيّ بيتر. "وأعرف أنك لا توافق معي"، قال بحذر. كان كل جسمه ملتف بالتوتر المسبق، وبدا مثل أفعى على وشك الانقضاض. شعر بيتر بأنه ضحيته، فيما استعد للدفاع عن نفسه، وعن كرامة الشركة، لكن فرانك عاجله وكان مستعداً للانسحاب إذا اضطر لذلك. "أظن أنه عليك الوثوق في حكمي هنا. فقد واجهت هذا قبلاً. أنا أمارس هذا العمل منذ خمسين عاماً تقريباً، وعليك تصديقي حين أقول لك إني أعرف ما أفعل. ليس خطأ أن نذهب إليهم الآن. وحين نضع هذا المنتج رسمياً في الأسواق، نكون جاهزين. لن اخاطر بذلك إذا لم أظن أننا نستطيع التسليم".

"وإذا كُنتَ مخطئاً؟ هل سنقتل أحداً؟ حتى ولو شخص واحد... رجل، امرأة، أو ولد... ماذا يحصل حينها؟ ماذا نقول؟ كيف نسامح أنفسنا؟ كيف يمكن أن نخاطر بذلك من خلال طلب الإطلاق المبكر؟" كان بيتر مثل صوت الضمير، لكن فرانك رأى أنه صوت الشؤم، واتهمه بكونه متجمد في عاداته "مثل ذلك الأحمق في باريس". "يعرف سوكارد هذه الأشياء، فرانك. لهذا السبب، استخدمناه، ليقول لنا الحقيقة. وعلينا الإصغاء حتى لو كانت الأخبار سيئة. أعرف أنه لم يعد معنياً هنا، لكننا فتحنا علبة بندورا ولا يمكننا تجاهل ذلك. وأنت تعرف هذا".

"لا يمكن القول أنه عليّ توظيف عشرة ملايين دولار لإجراء المزيد من

الأبحاث خلال شهرين إنه "تجاهل"، بيتر. ولم نكتشف أي شيء. واجه ذلك، لقد أرسل لنا حملة تعذيب... والأسوأ من ذلك أنها محاولة عقيمة. ما من شيء هناك. نحن نتحدث عن عنصر "يمكن" أن يتفاعل، و"ربما" يسبب سلسلة نادرة جداً من الظروف في واحد من مليون، في حال حصل كل شيء خطأ ووصلنا إلى مشكلة. الآن، قل لي بحق الله هل يبدو هذا منطقياً لك؟ يمكنك تناول حبتين من الأسبيرين مع كوب ماء والمعاناة من هذا التأثير. ما هو المهم إذاً هنا؟"

"إن تناول حبتين من الأسبيرين مع كوب ماء لن يقتلك. لكن فيكوتيك سيفعل إذا لم نكن حذرين".

"لكننا حذرون. هذه هي كل المسألة. يكشف كل عقار عن مخاطر، وتأثيرات جانبية، وسلبيات. وإذا كنا لا نريد القبول بذلك، علينا إغلاق أبوابنا والشروع في بيع القطنيات في السوق. بحق الله، بيتر، توقف عن إثارة غضبي بسبب ذلك، كن منطقياً. أريد أن تفهم أني سأتغلب عليك في هذا. سوف أذهب إلى دائرة الأغذية والعقاقير بنفسي إذا اضطررت لذلك، لكني أريدك أن تعرف لماذا. أريدك أن تعرف أني أؤمن فعلاً في أن فيكوتيك آمن، وأنا أراهن بحياتي على ذلك!"، قال وكان يصرخ على بيتر. كان وجهه أحمر، ومضطرباً، وأصبح صوته أعلى فيما جلسا في غرفة الاجتماعات. وفيما راقبه بيتر، لاحظ فجأة أن فرانك يرتجف. كان فرانك قلقاً جداً، وكان يتعرق، ولونه شاحباً. ثم توقف لبرهة وشرب القليل من الماء.

"هل أنت على ما يرام؟"، سأل بيتر بهدوء، وهو يراقبه. "لا يستحق هذا أن تجازف بحياتك من أجله. هذه هي المسألة المهمة. علينا معالجة ذلك على الصعيد السريري، ومواجهة المسألة بهدوء. إنه منتج، فرانك، هذا كل ما في الأمر. أنا أريده أكثر من أي شخص آخر، لكن في النهاية، إما ينجح أو لا ينجح. أو قد ينجح، لكنه قد يحتاج إلى وقت أطول مما أردنا حتى يصبح جاهزاً. لا يريد أحد أن ينزله إلى الأسواق أكثر مما أريد. لكن ليس بأي ثمن، وليس إذا كان هناك عامل واحد لسنا واثقين منه. ثمة خطب هنا في مكان ما.

نحن نعرف ذلك. وقد شاهدنا علاماته. وإلى أن نعثر عليه، لا يمكننا أن نسمح لأحد باستعماله. الأمر بسيط هكذا". تحدث باقتضاب ووضوح، وكلما ازداد اضطراب فرانك، أصبح هو أكثر هدوءاً.

"لا، بيتر، لا... ليس الأمر بهذه البساطة!"، صرخ فرانك في وجهه، وقد ازداد غيظه بسبب برودة صهره المجنونة. "سبعة وأربعون مليون دولار في أربع سنوات ليست "بسيطة" أبداً. كم تظن أننا سنخصص من المال لهذا بحق الله؟" كم تظن أنه يوجد من المال؟" لقد أصبح رديء الطبع، ورفض بيتر مواجهته.

"ما يكفي لجعله صحيحاً، حسب ما أتمنى، أو القضاء على المنتج. لدينا دوماً هذا الخيار".

"نحن نفعل ذلك". كان فرانك واقفاً على قدميه ويصرخ عالياً. "هل تظن إني سأرمي قرابة الخمسين مليون دولار خارج النافذة ببساطة؟ هل أنت مجنون! من يخص هذا المال برأيك؟ أنت؟ حسناً، فكر مجدداً، إنه مالي، ومال الشركة، ومال كاتي. فليلعنني الله إذا كنت ستقول لي أي شيء. لما كنت موجوداً هنا اليوم لو لم أشترك، وأصقلك، وأزوجك ابنتي". كان وقع كلماته على بيتر أشبه بالعصا، وحبس أنفاسه، وتذكر فجأة كلمات والده قبل ثمانية عشر عاماً حين قال لـــه إن سيتزوج هو وكاتي. "لن تكون أبداً أكثر من مجرد يد مستأجرة، بنيّ... لا تفعل ذلك". لكنه فعل، وانظروا إلى ما حدث. كان هذا رأيهم فيه بعد ثمانية عشر عاماً.

وقف بيتر على قدميه حينها، ولو كان فرانك دونوفان أصغر ببضعة سنوات، وأقل جنوناً، لضربه بيتر. "لن أصغي إلى هذا"، قال بيتر، وهو يشعر بكل جسمه يرتعد وهو يكبح نفسه عن ضربه، لكن فرانك لم يتوقف. أمسك بيتر بذراعه واستمر في الصراخ.

"سوف تصغي إلى كل شيء أقوله لك، وسوف تفعل ما أريده أنا هنا. ولا توجه لي هذه النظرة البريئة أيها الحقير. كان باستطاعتها الزواج من أي كان،

وأرادتك أنت، ولذلك جعلتك على ما أنت عليه اليوم حتى لا تشعر بالإحراج. لكنك لا شيء. هل تسمعني، أنت لا شيء! لقد بدأت هذا المشروع اللعين هنا، وكلّفتنا الملايين، وأقمت الوعود، وشاهدت أقواس القزح، وحين تظهر مشكلة صغيرة يظن أحمق فرنسي أنه رآها في غرفة مظلمة، تقحمنا إلى الخلف وتريد الصراخ مثل خنزير صغير قبل الذهاب إلى دائرة الأغذية والعقاقير. حسناً، دعني أقول لك شيئاً. سأراك ميتاً قبل أن أسمح لك بفعل ذلك!". لكن فيما قال هذه الكلمات، أمسك صدره وبدأ يسعل بقوة. كان وجهه أحمر جداً لدرجة أنه أصبح أرجوانياً، وكان واضحاً أنه أصبح عاجزاً عن التنفس. تشبث بذراعيّ بيتر حينها، ثم راح بيتر يحمل كل وزن الرجل العجوز فيما بدأ ينهار، وكاد بيتر أن ينهار معه. لبرهة، لم يستطع أن يصدق ما حصل، ثم فهم. أنزله على الأرض بسرعة، وطلب رقم الإسعاف بأسرع ما يمكن، وأعطاهم التفاصيل. كان فرانك يتقيأ حينها، وما زال يسعل. وما إن أقفل بيتر الهاتف، ركع قربه، وقلبه على جانبه وحاول دعم وزنه، وأبقى وجهه بعيداً عن التقيؤ. كان لا يزال يتنفس، وإن بصعوبة كبيرة، وكان بالكاد واعياً. لكن بيتر كان لا يزال مضطرباً من كل شيء قاله لــه الرجل العجوز. لم يعرف أبداً أنه يمكن أن يكون خبيثاً إلى هذه الدرجة، لدرجة قد تقتله. وكل ما استطاع بيتر التفكير به فيما جلس يدعمه هو ما ستقوله كاتي إذا مات. سوف تلوم بيتر على ذلك، وتقول إنها غلطته لأنه صعب جداً في مسألة فيكوتيك. لكنها لن تعرف أبداً ما سمعه بيتر للتو، وما قاله والدها لــه، والأشياء التي لا تغتفر التي وجهها إلى بيتر. وعرف، مع وصول رجال الإسعاف، أنه مهما حدث بعد ذلك، سيستحيل عليه أن ينسى أو يسامحه. فهذه ليست مجرد كلمات صادرة عن نوبة غضب، وإنما هي عميقة، وأسلحة بشعة كان يخفيها عنه طوال سنوات، ويحتفظ بها لاستعمالها يوماً ما. إنها خناجر مؤذية طعنته في الصميم، وعرف بيتر أنه لن ينساها أبداً.

بدأ رجال الإسعاف يساعدون فرانك عندئذ، ووقف بيتر وتراجع إلى

باستطاعته إيصال أمه لو كان هناك. وبول يحمل رخصة المبتدئين، وليس سائقاً جيداً كفاية لاجتياز كل الطريق من غرينتش. "هل يمكنك الطلب من أحد الجيران لإيصالك؟"

"أستطيع القيادة بنفسي"، قالت وهي لا تزال تبكي. "ماذا حصل؟ كان بخير البارحة؟ لطالما كان بصحة جيدة". كان كذلك، لكن كان هناك عوامل مخففة.

"إنه في السبعين، كايت، وهو يخضع للكثير من الضغط".

توقفت عن البكاء حينها، وأصبح صوتها قاسياً حين طرحت السؤال. "هل كنتما تتجادلان بشأن الجلسة مجدداً؟" عرفت أنهما كانا يخططان للقاء بشأن ذلك.

"كنا نناقش ذلك". لكنهما كانا يفعلان أكثر من ذلك. فقد كان فرانك يسيء معاملته، لكنه لم يشأ أن يقول أي شيء لكاتي. فما قاله والدها مؤلم جداً لتكراره، خصوصاً في ضوء ما حدث بعد ذلك. إذا مات الآن، لم يشأ بيتر أن تعرف كايت ما حصل بينهما.

"لا بد أنكما فعلتما أكثر من "المناقشة" إذا تعرض لنوبة قلبية"، قالت وهي تتهمه، لكنها لم تشأ تبديد الوقت معه على الهاتف.

"أظن أنه يجدر بك المجيء. يمكننا التحدث عن ذلك لاحقاً. سوف يدخل إلى غرفة العناية الفائقة في قسم القلب"، قال بفظاظة، وبدأت هي تبكي مجدداً. اشمئز بيتر من فكرة قيادتها السيارة. "سوف أذهب الآن وأرى ما حصل. سأتصل بك في السيارة إذا تغير أي شيء. تأكدي من إبقاء هاتفك قيد العمل".

"طبعاً"، قالت بنبرة واضحة فيما مسحت أنفها. "تأكد فقط من ألا تقول شيئاً يزعجه".

لكن فرانك لم يكن يستطيع الاستماع إلى أي كان حين وصل بيتر إلى مستشفى نيويورك بعد عشرين دقيقة. عليه التحدث إلى الشرطة أولاً، والتوقيع

على بعض الاستمارات التي تركها رجال الإسعاف، فضلاً عن أنه علق في زحمة سير خانقة وهو في طريقه إلى إيست ريفر. وحين وصل إلى هناك، كان فرانك قد خضع لتسكين كبير. تتم مراقبته عن كثب، وتحول وجهه الآن من الأرجواني إلى الشاحب. كان شعره أشعث، ولا يزال هناك القليل من التقيؤ الجاف على ذقنه. وكان صدره العاري مغطى بعشرات الآلات، وبدا مريضاً جداً وهرماً أكثر مما كان قبل ساعة. قال الطبيب لبيتر صراحة إن فرانك لم يخرج من الخطر بعد. لقد تعرض لنوبة قلبية كبيرة، وما زال هناك خطر أن يخضع قلبه للانقباض العضلي. لذا، تعتبر الأربع وعشرون الساعة التالية بالغة الأهمية. وعند النظر إليه، كان يسهل تصديق كل ذلك. وما كان يستحيل تصديقه هو أنه قبل ساعتين فقط كان يبدو شاباً ومعافى، حين تحدث إليه بيتر في مكتبه.

انتظر بيتر كاتي في الأسفل، وحاول تحذيرها قبل أن تصعد. كانت ترتدي سروال جينز وقميصاً قطنياً، وكان شعرها أشعث، وبدت ملامح الذعر عليها فيما صعدت في المصعد مع زوجها.

"كيف حاله؟" سألت للمرة الخامسة منذ أن وصلت. كانت ضائعة تماماً، ومشتتة الانتباه على نحو غير اعتيادي.

"سوف ترين. إهدأي. أظن أنه يبدو أسوأ حالاً مما هو حقيقة". فالآلات المتصلة بجسمه كانت مخيفة، وبدا مثل جثة تعمل عليها الآلات أكثر مما بدا إنساناً مريضاً. لكن كاتي لم تكن مستعدة أبداً لما رأته حين دخلت إلى غرفة العناية الفائقة وألقت نظرة سريعة على والدها. بدأت تتنهد لحظة رأته، وأجبرت نفسها على عدم البكاء حين وقفت قربه وأمسكت بيده. لكنه فتح عينيه وتعرّف إليها، ثم خلد إلى النوم المحفز بالعقاقير مجدداً. أرادوه أن يرتاح تماماً خلال الأيام القليلة المقبلة على أمل أن ينجو من ذلك.

"ياإلهي"، قالت وهي على وشك الانهيار بين ذراعيّ بيتر فيما غادرت الغرفة. توجب عليه وضعها على كرسي في أسرع ما يمكن، وأحضرت لها

ممرضة كوباً من الماء. "لا أستطيع أن أصدق ذلك". لم تتوقف عن البكاء طوال النصف ساعة التالية، وجلس بيتر معها. وحين عاد الطبيب أخيراً للتحدث إليهما، قال إن فرانك يملك أملاً بالنجاة بنسبة 50 في المئة.

جعلت كلماته كاتي هستيرية مجدداً، وأمضت بقية بعد الظهر وهي تبكي على كرسي خارج غرفة العناية الفائقة، وتدخل لزيارته لمدة خمس دقائق كل نصف ساعة، حين يسمحون لها. لكنه كان فاقد الوعي في معظم الأوقات التي دخلت فيها إليه. وفي نهاية اليوم، حاول بيتر إقناعها بالذهاب لإحضار شيء تتناوله، لكنها رفضت رفضاً قاطعاً. قالت إنها ستنام في غرفة الانتظار لقدر ما هو ضروري، لكنها لن تغادر ولو لبرهة.

"كايت، عليك ذلك"، قال بيتر بلطف. "لن يجدي أي نفع إذا أصبت بالمرض أنت أيضاً. سيكون على ما يرام خلال ساعة. يمكنك الذهاب إلى الشقة والاستلقاء، وسوف يتصلون بك إذا دعت الحاجة".

"لا تبدد أنفاسك"، قالت بعناد مع مظهر الولد العنيد الذي لا يريد التحرك. "سوف أبقى معه. سأنام هنا الليلة، ولقدر ما هو ضروري حتى يخرج من الخطر". في الحقيقة، لم يكن هذا أكثر مما توقعه بيتر.

"عليّ الذهاب إلى المنزل والتحقق من الأولاد"، قال بروية، وأومأت هي برأسها. كان أولادها آخر شيء فكرت فيه فيما جلست في القاعة الكبيرة. "سوف أذهب وأرتب أمورهم ثم أعود في وقت لاحق الليلة"، قال وقد أعدّ الخطة أثناء كلامه، وأومأت هي برأسها. "هل ستكونين على ما يرام حين أذهب؟" سألها برفق، لكنها بالكاد نظرت إليه. بدت معتوهة فيما حدقت خارج النافذة. لم تستطع أن تتصور العالم من دون والدها. فخلال العشرين سنة الأولى من حياتها، كان كل شيء تملكه في العالم. وخلال العشرين سنة التالية، كان أحد أهم الأشخاص في حياتها. رأى بيتر أن فرانك هو نوع من الحب بالنسبة إليها، نوع من الشغف، وبمثابة هوس تقريباً، ورغم أنه لم يقل ذلك أبداً، بدت انها تحبه أكثر مما تحب أولادها. "سيكون على ما يرام"، قال

بنعومة، لكنها اكتفت بالبكاء وهزّت رأسها فيما غادر، وعرف هو أنه ما من شيء آخر يستطيع فعله لأجلها. فكل ما تريده هو والدها.

توجه بيتر إلى المنزل بأسرع ما يمكن في خضم زحمة ليلة الجمعة، ولحسن الحظ أن الأولاد الثلاثة كانوا جميعاً في المنزل حين وصل، وأخبرهم بنعومة عن النوبة القلبية التي تعرض لها فرانك، وشعر الأولاد الثلاثة بالقلق الكبير. طمأنهم بقدر ما يستطيع. وحين سأل مايك، قال إنهما كانا يعقدان اجتماع عمل حين حصل ذلك. أراد مايك الذهاب إلى المدينة لرؤية جده، لكن بيتر قال إنه يفضل الانتظار. فحين يصبح فرانك قادراً على ذلك، يستطيع حفيده البكر المجيء لرؤيته من برينستون.

"ماذا عن الغد، أبي؟"، سأل مايك. كان يفترض أن يأخذاه إلى برينستون في اليوم التالي، وبقدر ما يعلم بيتر، كان كل شيء جاهزاً باستثناء السجادة وطقم الشراشف اللذين لم تتمكن كايت من شرائهما بعد الظهر، لكن مايك يستطيع تدبر أمره من دونهما.

"سوف أصطحبك في الصباح. أظن أن أمك ستبقى مع جدك".

اصطحبهم بيتر لتناول عشاء سريع، وفي التاسعة مساء، توجه إلى المدينة مجدداً، واتصل بكايت من السيارة. قالت إنه لم يحدث أي تغيير رغم أنه بدا أسوأ مما كان قبل بضعة ساعات. لكن الممرضة التي تعتني به قالت إن هذا متوقع.

وصل بيتر إلى المستشفى في العاشرة، وبقي معها حتى ما بعد منتصف الليل، ثم عاد إلى غرينتش للتواجد مع الأولاد. وأخذ مايك إلى الجامعة مع كل أشيائه وحقائبه ومعداته الرياضية في الثامنة من صباح اليوم التالي. تم إعطاؤه غرفة مع ولدين آخرين، وبحلول الظهر كان بيتر قد أنجز كل ما هو متوقع. عانق مايك، وتمنى لــه الخير، وتوجه مجدداً إلى نيويورك لرؤية كايت ووالدها. وصل إلى هناك قبل الثانية وذهل لما وجده هناك. كان فرانك جالساً في السرير، ويبدو ضعيفاً ومتعباً. كان لا يزال شاحباً، لكن شعره ممشط،

ويرتدي بيجاما نظيفة، وكانت كايت تطعمه الحساء مثل الطفل. هذا تحسن كبير.

"حسناً، حسناً"، قال فيما دخل. "أستطيع القول إنك تجاوزت الخطر"، قال بيتر وابتسم فرانك. لكن بيتر بقي حذراً معه. لا يستطيع أن ينسى الأشياء التي قالها لـــه، أو النبرة التي اعتمدها. لكن رغم ذلك، لم يحسده على نجاته. "من أين حصلت على هذه البيجاما؟" لا يبدو بلا شك الرجل نفسه الذي وقع على أرض مكتبه، مغطى بالتقيؤ قبل يوم واحد فقط، وابتسمت كاتي بإشراق، فهي لا تملك هذه الذكريات لمكافحتها، ولا ذكريات هجومه الخبيث على بيتر بشأن شرائه ودفع ثمنه.

"طلبت من محل بيرغدورف إحضارها إلى هنا"، قالت، وهي تبدو مسرورة. "قالت الممرضة إنهم قد ينقلون أبي إلى غرفة خاصة غداً إذا استمر في التحسن". بدت كايت هي أيضاً مرهقة، لكنها لم تترنح لبرهة. سوف تعطيه كل قوتها وكل دمها لو أن هذا يساعده.

"حسناً، هذه أخبار جيدة"، قال بيتر ثم أخبرهما عن وصول مايك إلى برينستون. بدا فرانك مسروراً جداً، وبعد وقت قليل، ساعدته كايت على الاستلقاء مجدداً لأخذ قيلولة، ثم خرجت هي وبيتر إلى القاعة. لكنها لم تبدو متحمسة مثلما كانت حين أطعمت الحساء لوالدها. وعرف بيتر فوراً أن شيئاً ما حصل.

"أخبرني أبي عن البارحة"، قالت مع نظرة ثاقبة فيما مشيا في القاعة.

"ماذا يعني ذلك؟". كان متعباً هو أيضاً، ولا ينوي أبداً اللعب معها. وجد أنه يصعب التصديق أن حماه اعترف كم كان خبيثاً، أو كرر ما قاله لبيتر. يعرف بيتر أنه لا يعتذر أبداً، أو يعترف بالخطأ، حتى لو كان هذا صارخاً.

"أنت تعرف ما يعني ذلك"، قالت، وتوقفت للنظر إليه، متسائلة ما إذا كانت تعرفه حتى. "قال إنك هددته بشأن الجلسة، إلى درجة العنف تقريباً".

"ماذا قال؟" لم يستطع بيتر أن يصدق ذلك.

"قال إنه لم يسمعك أبداً تتحدث إلى شخص بهذه الطريقة، وأنك رفضت الإصغاء إلى المنطق. قال إن هذا كان كثيراً عليه، و... وثم..." بدأت تبكي ولم تستطع متابعة الحديث لبرهة فيما نظرت إليه، وعيناها مليئتان بالاتهامات. "كدت تقتل والدي. كنت فعلت ذلك لو لم يكن قوياً... ولائقاً..." نظرت بعيداً عنه حينها، غير قادرة على مواجهته بعد الآن، لكن بيتر سمع ما قالته بوضوح. "لا أظن أني أستطيع مسامحتك يوماً".

"ينطبق هذا على كلينا إذاً"، قال وهو ينظر إليها بغضب. "أقترح عليك أن تسأليه ما قاله لي قبل أن يقع على الأرض. أعتقد أنه كان شيئاً عن شرائي قبل سنوات، وصقلي، وأنه سيراني ميتاً إذا لم أذهب إلى جلسته اللعينة". نظر إلى زوجته بعينيه الزرقاوين، وشاهدت فيهما شيئاً لم تشاهده قبلاً، ثم مشى بعيداً بأسرع ما يمكن ودخل إلى المصعد فيما راقبته. لم تقم بأية خطوة للحاق به، لكن الأمر لم يعد يهمه الآن. فلا مجال برأيه أبداً للإخلاص لها بعد الآن.

الفصل الحادي عشر

تعافى فرانك على نحو مفاجئ من نوبته القلبية، وتم إرساله إلى المنزل بعد أسبوعين، وذهبت كاتي للبقاء معه في منزله. رأى بيتر أن هذا جيد لأنهما يحتاجان إلى بعض الوقت للتفكير وتحديد شعورهما حيال بعضهما. لم تعتذر لــه أبداً عما قالته لــه في المستشفى، ولم يناقش هو الموضوع أبداً. لكنه لم ينسَ أبداً ما حصل. ولا شك في أن فرانك لم يذكر مجدداً مسألة "شراء بيتر ودفع ثمنه". حتى أن بيتر تساءل ما إذا كان يذكر.

كان يتصرف بودية مع حميه حين يزوره، الأمر الذي فعله بانتظام بسبب اللياقة ولرؤية كاتي، لكن العلاقات بين بيتر وفرانك كانت باردة بوضوح. وكانت كاتي تبقي مسافة بينها وبين بيتر. وهي مشغولة كثيراً بوالدها لتخصيص الكثير من الانتباه إلى باتريك. لذا، كان بيتر يعتني به، ويطهو لــه العشاء كل ليلة، علماً أنه لم يكن مزعجاً البتة. أما الولدان الكبيران فكانا في المدرسة، علماً أنهما سمعا أخبار مايك مرات عدة. كان مجنوناً بجامعة برينستون.

بعد أسبوعين تماماً من تعرضه للنوبة القلبية، أثار فرانك مجدداً مسألة الجلسة. عرف الرجلان، أنه على رغم كل شيء، ما زالا على جدول مواعيد دائرة الأغذية والعقاقير. وكانت الجلسة بعد أيام قليلة فقط. وإذا كانا لا يريدان طلب الموافقة المبكرة من دائرة الأغذية والعقاقير، يجب إلغاء مثولهما في الجلسة.

"حسناً؟"، سأل فرانك وهو ينحني على الوسادات التي رتبتها كاتي لــه للتو. كان وجهه نظيفاً ومحلوقاً، وجاء حلاّقه وقص لــه شعره. بدا كما لو أنه في إعلان للبيجاما والشراشف الباهظة، وليس كرجل خرج للتو من باب الموت. ورغم ذلك، حرص بيتر ألا يزعجه. "أين أصبحنا هذه الأيام؟ كيف

هي الأبحاث؟" عرف الرجلان طبيعة السؤال.

"لا أظن أنه يجدر بنا مناقشة ذلك". كانت كاتي في الأسفل تعد لـــه العشاء، ولم يكن بيتر ينوي الشروع في جدل معه، ومن ثم مواجهة آل دونوفان. ففيكوتيك هو موضوع محظور إلى أن يأمر الأطباء بغير ذلك.

"علينا مناقشة ذلك"، قال فرانك بقوة. "الجلسة بعد أيام قليلة فقط. لم أنسَ ذلك"، قال بهدوء. ولم ينسَ بيتر أيضاً ما قاله لـــه في مكتبه. لكن فرانك لم يأت على ذكر ذلك حين نظر إلى صهره. كان رجلاً ذا هدف. ويسهل الإدراك الآن من أين ورثت كاتي عنادها ومثابرتها. "تحدثت إلى المكتب البارحة، وحسب قسم الأبحاث، لقد سوّينا كل شيء".

"باستثناء أمر واحد"، أضاف بيتر.

"اختبار بسيط ينجز على الجرذان المخبرية في حالات استثنائية. أعرف كل شيء عن ذلك. لكن هذا الاختبار غير مهم على ما يبدو لأن الظروف القائمة في هذه الاختبارات لا يمكن أن تحصل أبداً عند البشر".

"هذا صحيح"، وافق بيتر معه، وهو يأمل ألا تأتي كاتي الآن وتسمعه في هذه المناقشة. "لكن من الناحية التقنية، يحرمنا ذلك الأهلية في قوانين دائرة الأغذية والعقاقير. وما زلت أظن أنه لا يجدر بنا الذهاب إلى الجلسة". بالإضافة إلى كل ذلك، لم يتمكنوا من إنجاز الاختبارات الفرنسية بعد، علماً أنها بالغة الأهمية. "علينا التحقق من مادة سوكارد مجدداً. فهنا يكمن العيب الحقيقي. أما الباقي فهو مجرد روتين. لكن علينا تكرار الخطوات نفسها التي قام بها".

"يمكننا فعل ذلك قبل استعمال فيكوتيك على الصعيد السريري، ولا تحتاج دائرة الأغذية والعقاقير أن تعرف أي شيء عن ذلك في الوقت الحاضر. فمن الناحية التقنية، لقد لبينا كل شروطها. وهي لا تريد منا شيئاً أكثر مما هو لدينا. يفترض أن يرضيك ذلك"، قال لبيتر.

"يفترض، لو لم يكتشف سوكارد المشكلة. وسوف نكذب إذا أخفينا هذه الحقيقة عن دائرة الأغذية والعقاقير".

"قلت لك رأيي"، قال فرانك متجاهلاً الملاحظة. "في حال وجود أي شيء... أي شيء على الإطلاق... في حال ظهور أدنى مشكلة في الاختبارات التالية، سوف أسحبه. لست مجنوناً. لا أريد خوض دعوى قضائية بقيمة مئة مليون دولار. لا أحاول قتل أحد. لكني لا أريد أن نُقتل أيضاً. لدينا ما نحتاج إليه. فلنمضِ قدماً في ذلك. إذا أقسمت لك بأني سأتابع الاختبارات إلى ما لا نهاية إذا حصلنا على الموافقة لإجراء التجارب البشرية المبكرة، بعد كل تحاليلنا المخبرية، هل ستمثل أمام الجلسة؟ بيتر، أي ضرر قد ينجم عن ذلك؟... أرجوك..". لكن هذا خطأ، وبيتر يعرف ذلك. إنه سابق لأوانه، وهو خطير. وعند الموافقة على التجارب السريرية المبكرة، يمكنهم وصف العقار للبشر على الفور، وهو ليس واثقاً من أن حماه لن يفعل ذلك. لا يهم بيتر ما إذا كانت التجارب السريرية ستنطوي على جرعات قليلة جداً من فيكوتيك وسوف يتم اعتمادها في عدد ضئيل جداً من الأشخاص. فالمهم، بالنسبة إليه، هو عدم المجازفة بمخاطر غير ضرورية وغير مسؤولة ولو مع شخص واحد. لقد جرى تحذيرهم من المخاطر المحتملة الناجمة عن استعمال فيكوتيك، كما هو الآن، ولا يرغب بيتر أبداً في تجاهل هذا الإنذار. فقد واجهت الشركات الأخرى قصصاً مرعبة حين فعلت ذلك، لا بل إن هناك قصصاً أسطورية عن منتجات جرى توضيبها بالكامل ووضعها في الشاحنات، في انتظار الحصول على موافقة دائرة الأغذية والعقاقير، بحيث يتم تسليم المنتجات بعد لحظات قليلة من نيل الموافقة. وكان بيتر يخشى أن يفعل حماه شيئاً مثل هذا مع فيكوتيك، على رغم مشاكله المحتملة. لو لم يكن فرانك مستعداً لأن يكون منطقياً، لكانت احتمالات إساءة الاستعمال لامتناهية فعلاً. ويمكن أن تفضي إساءة الاستعمال إلى خسارة حياة. لا يستطيع بيتر تحمل ذلك.

"لا أستطيع الذهاب إلى دائرة الأغذية والعقاقير"، قال بيتر بحزن. "أنت تعرف ذلك".

"أنت تفعل هذا انتقاماً... لما قلته... بحق الله، تعرف أني لم أكن أقصد

ذلك". إنه يتذكر إذاً. هل قاله فقط ليكون فظاً، أو لأنه يؤمن في ذلك؟ لن يعرف بيتر ذلك الآن، وعرف أيضاً أنه لن ينساه أبداً. لكنه لا يريد الانتقام.

"لا علاقة بذلك. إنها مسألة أخلاق".

"هذا هراء. ماذا تريد إذاً؟ رشوة؟ كفالة؟ أقسم لك إني لن أمضي قدماً إذا بقيت هناك مشكلة حتى ننجز كل الاختبارات. ماذا تريد أكثر؟"

"الوقت. إنها مسألة وقت فقط"، قال بيتر وهو يبدو متعباً. لقد أتعبه آل دونوفان خلال الأسبوعين الماضيين، لا بل قبل وقت طويل من ذلك إذا فكر ملياً في الأمر.

"إنها مسألة مال. وفخر وسمعة. هل يمكن أن تسحب الخسارة اللاحقة بنا إذا امتنعنا عن حضور الجلسة الآن؟ يمكن أن يؤذي ذلك بقية منتجاتنا". إنها حلقة مفرغة ولم يوافق أي منهما على موقف الآخر. بدا الرجلان متجهمين حين دخلت كاتي وهي تحمل غداء فرانك وشعرت أنهما يجريان محادثة محظورة.

"تتحدثان عن العمل، أليس كذلك؟"، سألت الرجلين، وهز الاثنان رأسيهما. لكن بيتر بدا مذنباً، ووضعته كاتي في موقف حرج بعد برهة. "أظن أنك لا تريد التصالح معه"، قالت بطريقة مرمّزة، فيما وقفا في مطبخ والدها.

"أتصالح معه على ماذا؟"

"على ما فعلته". لا تزال تظن أن بيتر كاد أن يقتله، وسبب لـــه النوبة القلبية بسبب إغاظته، وما من شيء آخر يمكن أن يغير رأيها حيال ذلك. "بطريقة ما، أنت تدين لـــه بالذهاب إلى تلك الجلسة. لن يحصل أي أذى. إنها مسألة حفظ ماء الوجه بقدر ما هو معني. لقد جازف لإجراء التجارب المبكرة، ولا يريد الآن الاعتراف بأنه ليس جاهزاً. لن يستعمل فيكوتيك على الأشخاص إذا كان خطيراً. أنت تعرف ذلك. ليس غبياً أو مجنوناً. لكنه مريض، وكبير في السن، ولديه الحق في عدم خسارة ماء الوجه أمام البلاد كلها. يمكنك منحه

ذلك إذا شئت، إذا اكترثت لـــه"، قالت بطريقة اتهامية. "لا يبدو هذا طلباً كبيراً نوعاً ما. إلا إذا كنت لا تهتم به أبداً. قال لي إنه وجه إليك بعض الكلمات البذيئة ذلك اليوم لأنه كان غاضباً. لكني واثقة من أنه لم يقصد ذلك. المسألة هي"، قالت بنبرة واضحة، "ما إذا كنت ناضجاً كفاية لتسامحه. أو هل ستجعله يدفع الثمن من خلال حرمانه من الشيء الوحيد الذي يريده منك؟. سوف تذهب إلى الكونغرس في الوقت نفسه في أية حال، ويمكنك المثول أمام دائرة الأغذية والعقاقير. أنت تدين لـــه بالكثير بعد ما فعلته. ولا يمكنه الذهاب بنفسه الآن. أنت الشخص الوحيد الذي يستطيع فعل ذلك". جعلته يشعر بأنه حقير إذا لم يفعل ذلك، وكانت مصممة على جعله يشعر بالمسؤولية عن النوبة القلبية التي تعرض لها والدها. بدت متشبثة، تماماً مثل والدها، بفكرة انتقامه من فرانك بسبب الأشياء التي قالها. بدا كل ذلك حقيراً وتافهاً.

"لا علاقة لهذا بذلك، كايت. الأمر أكثر تعقيداً. لـــه علاقة بالكرامة والأخلاق. عليه التطلع إلى أكثر من حفظ ماء الوجه. ماذا سيظن الناس، والحكومة مثلاً، إذا وجدوا أننا ذهبنا إلى الجلسة في وقت باكر؟ لن يثقوا فينا أبداً مجدداً. يمكن أن يدمر ذلك أعمالنا". والأسوأ من ذلك، انه سيدمره. سوف يسلبه كل معتقداته، وعرف أنه لا يستطيع فعل ذلك.

"قال لك إنه سيسحبه إذا اضطر لذلك. أنت تعطيه فقط مرحلة استدراك ومثولاً أمام دائرة الأغذية والعقاقير". جعلت الأمر يبدو تافهاً جداً، وكانت مقنعة أكثر من والدها. جعلت الأمر يبدو وكأنه ملزم بالقيام به، كما لو أنه طلب صغير جداً، كأنها لا تفهم لماذا لا يريد فعل ذلك. وقد نجحت نوعاً ما في إقحام نفسها في المسألة، كما لو أنه مدين لها بإثبات حبه المستمر تجاهها. "كل ما يطلبه منك هو إجراء تسوية. هذا كل شيء. هل أنت ضعيف بحيث لا يمكنك فعل ذلك؟ إمنحه ذلك فقط... هذه المرة. هذا كل شيء. كاد الرجل أن يموت. إنه يستحق ذلك". بدت مثل جاندارك فيما أعلنت لـــه رأيها. ولم يعرف بيتر أبداً لماذا شعر بأنه ينزلق كلما نظر إليها. شعر أن حياته كلها باتت على

المحك. لقد أوصلته إلى هنا. وقد فات الآوان الآن لمقاومتها. "بيتر؟". نظرت إليه، وبدت مغرية فجأة، فاتنة كما لم تكن أبداً، مليئة بقدرات وحكمة تفوق البشرية، ولم يملك حتى القوة للإجابة عليها، فما الحري عن مقاومتها. ومن دون أن يقصد ذلك، أومأ برأسه. وفهمت. لقد انتهى الأمر. ربحت هي. سوف يذهب إلى الجلسة.

الفصل الثاني عشر

كانت الليلة التي سبقت ذهابه إلى واشنطن بمثابة كابوس بالنسبة إلى بيتر. ما زال غير مصدق لما وافق على القيام به. لكن كايت كانت شاكرة لـه بوضوح منذ أن وافق، وقد تحسن والدها كثيراً، وأصبح يغدق العاطفة والمديح على بيتر. وشعر بيتر كأنه وضع على كوكب آخر حيث لا يوجد أي شيء حقيقي، وتحول قلبه إلى حجر، وأصبح دماغه فارغاً. بالكاد كان يصدق ما يفعله.

على الصعيد العقلاني، كان باستطاعته إقناع نفسه، تماماً مثلما فعل فرانك. فقد أصبح فيكوتيك جاهزاً تقريباً، وفي حال وجود عيوب إضافية فيه، سوف يسحبونه قبل نزوله إلى الأسواق. لكن من الناحية الأخلاقية والقانونية، ما يفعلونه خطأ، وهم يدركون ذلك جميعاً. ورغم ذلك، عرف بيتر أنه لم يعد لديه أي خيار الآن. لقد وعد كايت ووالدها بأن يفعل ذلك. لكن السؤال الوحيد بالنسبة إليه هو كيف سيعيش مع نفسه بعد ذلك، أم أنه ببساطة تخلٍ تدريجي عن أخلاقه؟ حين يفعل ذلك، هل ستحصل تنازلات أخرى، وانتهاكات أخرى للمبادئ التي آمن بها قبلاً؟ إنها مسألة فلسفية مثيرة، ولو لم يشعر أن حياته باتت على المحك، لكان اهتم بالمسألة بعمق. وفي هذه الظروف، لم يستطع الأكل ولا النوم. لقد خسر سبعة باوندات تقريباً خلال أيام، وبدا شكله مخيفاً. سألته سكرتيرته ما إذا كان مريضاً قبل يوم واحد من مغادرته إلى واشنطن، وبالكاد هزّ لها رأسه، وقال إنه مشغول فقط. مع رحيل فرانك، وتخطيطه للبقاء في المنزل لشهر إضافي، ألقيت على عاتقه مسؤوليات أكثر من قبل. سوف يمثل أمام الكونغرس بشأن مسألة التسعير في اليوم نفسه لجلسة دائرة الأغذية والعقاقير المقررة في الصباح.

بقي في مكتبه حتى وقت متأخر من بعد الظهر، وهو يدرس آخر الأبحاث. بدت الأبحاث جيدة فعلاً، باستثناء مشكلة صغيرة تتناسق تماماً مع بعض الأشياء التي قالها سوكارد في يونيو. لكن بيتر كان واثقاً تماماً من طبيعة المشكلة الصغيرة. فحسب الباحثين، إنها تتعلق بمسألة تافهة نسبياً، ولم يتصل بيتر بفرانك لإزعاجه. إنه يعرف رأيه في هذا المجال في أية حال. "لا تقلق بشأن ذلك. إذهب إلى الجلسة. سوف نحلّ ذلك لاحقاً". لكن بيتر أخذ معه التقارير إلى المنزل في أية حالة، وقرأها كلها مجدداً تلك الليلة. وكان لا يزال منهمكاً بها في الساعة الثانية فجراً. كانت كاتي نائمة على السرير بقربه. لم تعد تمكث في منزل والدها، وسوف تذهب معه إلى واشنطن وقد اشترت بذلة جديدة لذلك. كانت تشعر هي ووالدها بالسرور لأنه وافق على طلبهما وأصبحت معنوياتهما مرتفعة منذ أن وافق على الذهاب إلى واشنطن من أجلهما. ما زال يشعر أن الأمر بمثابة جحيم بالنسبة إليه، وقد وبخته كاتي على ردة فعله المفرطة. حاولت الادعاء بأنه عصبي بسبب المثول أمام الكونغرس.

وفيما جلس في مكتبه في غرينتش في الساعة الرابعة فجراً، كان لا يزال يفكر في آخر التقارير ويحدق في النافذة. تمنى لو أن هناك شخصاً مطلعاً يستطيع التحدث إليه. لا يعرف الرجال في فرق الأبحاث الألمانية والسويسرية، ولم تكن علاقته جيدة مع الرجل الجديد في باريس. من الواضح أن فرانك استخدمه لأنه يطيع أوامره، وكان أيضاً صعب الفهم وعلمياً جداً في طريقة تعاطيه مع أي شيء بحيث بدا الأمر لبيتر بمثابة الإصغاء إلى حوار ياباني. ثم فكر بيتر في أمر ما، وقلّب دليل الهاتف على مكتبه. تساءل ما إذا كان يملك الرقم في المنزل، ثم وجده. إنها العاشرة صباحاً في باريس، ويفترض أن يكون هناك. لفظ اسمه ما إن اجابت عاملة الهاتف. رنّ الهاتف مرتين، ثم جاء الصوت المألوف على الهاتف.

"آلو؟". إنه بول لويس. اتصل به بيتر في الشركة الجديدة التي يعمل فيها.

"مرحبا بول لويس"، قال بيتر وهو يبدو متعباً. إنها الساعة الرابعة صباحاً

بالنسبة إليه، وكانت ليلة طويلة جداً. تساءل ما إذا كان باستطاعة بول لويس مساعدته على اتخاذ قرار يشعر بالارتياح حياله. هذا هو السبب الوحيد لاتصاله. "أنا بينيديكت أرنولد".

"من؟ آلو؟ من هذا؟"، سأل مرتبكاً، وابتسم بيتر فيما أجابه.

"إنه خائن تم اغتياله قبل وقت طويل. مرحبا بول لويس"، قال لــه بالفرنسية. "أنا بيتر هاسكل".

"آه... حسناً." فهم على الفور. "سوف تفعل ذلك إذاً؟ لقد أجبروك؟" عرف الحقيقة لحظة سمعه. بدا بيتر شاحباً.

"أتمنى لو أستطيع القول إنهم أجبروني"، قال بلباقة، رغم أنهم فعلوا ذلك، لكنه كان نبيلاً جداً لقول ذلك. "تطوعت لذلك، نوعاً ما، لمجموعة من الأسباب. لقد تعرض فرانك لنوبة قلبية شبه مميتة قبل ثلاثة أسابيع. ولم تعد الأمور على حالها منذ ذلك الحين".

"فهمت"، قال بصوت عال. "ما الذي أستطيع فعله لك؟". كان يعمل في شركة منافسة، لكنه كان مولعاً فعلاً ببيتر. "هل من شيء تريده مني؟" سأل بقوة.

"الحل، حسب ما أظن، رغم أني لا أستحقه. تلقيت بعض التقارير الجديدة، وأظن أنها نظيفة تماماً إذا فهمتها كما يجب. لقد استبدلنا اثنتين من المواد ويرى الجميع أنه تم حل المشاكل. لكن ثمة سلسلة من النتائج الغريبة التي لست واثقاً من أني أفهمها، ورأيت أنه يمكنك شرحها لي. فما من أحد أستطيع التحدث إليه بصراحة هنا. وما أريد أن أعرفه هو ما إذا كنا سنقتل أحداً مع فيكوتيك. هذا هو الأساس. أريد أن أعرف ما إذا كنت لا تزال تظن أنه خطير، أو أننا اجتزنا الخطر الآن. هل تملك الوقت لفعل ذلك لي؟". لم يكن لديه الوقت، لكنه أراد تخصيص الوقت لبيتر. طلب من سكرتيرته أن تمنع عنه كل الاتصالات، وعاد للتكلم مع بيتر بعد برهة.

"أرسلها لي الآن بالفاكس". وهذا ما فعله بيتر. وكان هناك صمت طويل فيما قرأ بول لويس التقارير. وطوال الساعة التالية، راجعا التقارير فيما أجاب بيتر على أكبر عدد ممكن من الأسئلة، وبرز أخيراً صمت طويل مجدداً. شعر بيتر أن بول لويس حسم أمره. "الأمر شخصي جداً، انت تفهم. في هذه المرحلة، لا يوجد تفسير حاسم بالضرورة. إنه شيء عظيم بلا شك. إنه منتج رائع سوف يغير قدرتكم على التعاطي مع السرطان. لكن ثمة عناصر إضافية يجب تقييمها. وهذا هو التقييم الذي يصعب منحه لك. ما من شيء أكيد في الحياة. ما من دون شيء من دون مخاطر أو تكلفة. والسؤال هو ما إذا كنت ترغب في دفعه". بدا فرنسياً جداً في تفكيره، لكن بيتر فهمه.

"السؤال بالنسبة إلينا هو مدى حجم الخطر".

"أفهم ذلك". فهم الأمر تماماً. هذا ما سبب لـــه القلق في يونيو حين كان بيتر في باريس. "الأبحاث الجديدة جيدة بلا ريب. إنها على المسار الصحيح الآن..." اختفى صوته فيما قطب وجهه وأشعل سيجارة. جميع العلماء الذين التقاهم بيتر في أوروبا كانوا من المدخنين.

"لكن هل حسمنا الأمور؟" سأل بيتر بتردد، وهو يخشى تقريباً سماع الجواب.

"لا... ليس بعد..." قال سوكارد بحزن. "ربما في وقت قريب، إذا استمروا في العمل على هذا الاتجاه. لكنكم لم تحسموا المسألة بعد. وبرأيي، لا يزال فيكوتيك خطيراً ربما، خصوصاً في حال وضعه بين أيدي غير خبيرة"، وهذه هي بالضبط الأيدي التي سيتواجد بينها. إنه مخصص ليستعمله الأناس العاديون، في المنزل عند الضرورة. إنه يعني المكوث في المنزل والحصول على المعالجة الكيميائية، وليس الذهاب إلى المستشفيات أو حتى الأطباء".

"هل لا يزال قاتلاً، بول لويس؟" هذا ما وصفه به في يونيو. ما زال باستطاعة بيتر سماعه.

"أظن ذلك". بدا الصوت في الطرف الآخر معتذراً وإنما واضحاً. "لم

تحسموا المسألة بعد، بيتر. إمنحوه الوقت. سوف تصلون إلى نتيجة".

"والجلسة؟"

"متى موعدها؟"

نظر بيتر إلى ساعته. إنها الخامسة صباحاً. "بعد تسع ساعات. في الثانية بعد الظهر. سوف أغادر المنزل بعد ساعتين". سوف يستقل طائرة الساعة الثامنة، وينوي المثول أمام الكونغرس في الحادية عشرة.

"لا أحسدك، صديقي. هناك القليل الذي أستطيع قوله. إذا أردت أن تكون صادقاً، عليك إخبارهم بأنه سيكون عقاراً مذهلاً، لكنه ليس جاهزاً بعد. ما زال قيد التطوير".

"لا تذهب أمام دائرة الأغذية والعقاقير لقول ذلك. نحن نطلب الإذن لإجراء التجارب السريرية المبكرة، استناداً إلى تحاليلنا المخبرية. يريد فرانك إنزاله إلى الأسواق ما إن ننجز كل مراحل التجارب البشرية ونحصل على موافقة دائرة الأغذية والعقاقير".

صفر سوكارد في الطرف الآخر. "هذا مخيف. لمَ هو مستعجل هكذا؟"

"يريد التقاعد في يناير. ويريد أن يعرف ما إذا كانت الأمور على ما يرام قبل ذلك. ستكون هذه هديته الأخيرة للجنس البشري. وهديتي. لكن يبدو أنها مثل قنبلة موقوتة".

"إنها كذلك، بيتر. عليك أن تعرف ذلك".

"أنا أفهم. لكن لا يريد أحد غيري سماع ذلك. يقول إنه سيسحب المنتج قبل نهاية السنة إذا لم نكن مستعدين لاستعماله على البشر. لكنه ما زال مصراً على أن نذهب إلى واشنطن. ولأقول لك الحقيقة، إنها قصة طويلة". لها علاقة بكرامة رجل عجوز حسب المخاطر المحتملة في عمله القائم على مليار دولار. لكن حسابات فرانك في هذه الحالة ليست جيدة، وترتكز على أنانيته. إنها حركة خطيرة يمكن أن تدمر كل أعماله، لكنه يرفض فهم ذلك. والشيء

الغريب أن بيتر فهم الموضوع بوضوح. كان فرانك عنيداً لدرجة الجنون. لقد أصيب بالخرف ربما، أو أنه مجنون بقوته. كان يستحيل معرفة ذلك.

شكر بول لويس على مساعدته، وتمنى لــه الرجل الفرنسي الحظ. وحين أقفل بيتر السماعة، ذهب لإعداد فنجان قهوة. ما زال لديه خيار التراجع، لكنه لم يعرف كيفية فعل ذلك. يستطيع أيضاً الذهاب إلى الجلسة، ومن ثم الاستقالة من شركة ويلسون - دونوفان، لكن هذا لن يحمي الأشخاص الذين حاول مساعدتهم وهو مجبر الآن على تعريضهم للخطر. والمشكلة هي أنه لا يثق في إلغاء فرانك للتجارب البشرية إذا لم تتحسن التقارير المخبرية بصورة جذرية في المستقبل القريب. ثمة شيء قال لبيتر إنه يريد المقامرة. هناك الكثير من المال الممكن جنيه، مهما فرض ذلك خطراً على الحياة البشرية. أصبح الإغراء كبيراً الآن.

سمعته كاتي يحرك القهوة بعد برهة، ودخلت إلى المطبخ قبل أن يرنّ المنبه. وجدت بيتر أمام طاولة المطبخ، يضع رأسه بين يديه، ويشرب فنجانه الثاني من القهوة. لم تشاهده أبداً على هذه الحال قبلاً، وكان يبدو أسوأ من والدها مباشرة بعد تعرضه للنوبة القلبية.

"لماذا أنت قلق هكذا؟"، قالت وهي تضع يدها على كتفه. لكن كان يصعب شرح الأمر لها لأنها لا تفهم ذلك، أو لا تريد فهم ذلك. "سوف ينتهي الأمر قبل أن تدرك ذلك". جعلت الأمر يبدو شيئاً تافهاً وليس خرقاً لكل شيء آمن به. أصبحت أخلاقه، وكرامته، ومبادئه في مهب الريح وهي لم تلاحظ ذلك. نظر إليها بحزن فيما جلست على الطرف المقابل للطاولة، وهي تبدو باردة جداً في ثوب نومها الوردي.

"أنا أفعل ذلك لكل الأسباب الخاطئة، كايت. ليس لأنه صحيح، أو لأننا مستعدون لــه. لكنني أفعل هذا لك ولوالدك. أشعر كأني رجل من المافيا".

"هذا شيء مقرف"، قالت وهي تبدو منزعجة منه. "كيف يمكنك إجراء مثل هذه المقارنة؟ أنت تفعل ذلك لأنك تعرف أنه صحيح، وتدين بذلك لوالدي".

جلس في كرسي المطبخ ونظر إليها، متسائلاً عما يخبئه المستقبل لهما، وفق الوتيرة التي يعتمدانها. ليس كثيراً، حسب ما لاحظ في الآونة الأخيرة. وهو يعرف الآن كيف كان شعور أوليفيا حين قالت إنها تريد التخلي عن آندي. إنها حياة قائمة على الأكاذيب والادعاءات. وفي هذه الحالة، على الابتزاز التهديدي.

"ما الذي تظنان أني أدين به لكما؟" سألها بهدوء. "يظن والدك على ما يبدو إني أدين لـــه بالكثير. وحسب ما تبين لي طوال هذه السنوات، أرى أنها مقايضة عادلة. أنا أعمل بكدّ للشركة وأحصل على مال مقابل ذلك. وأقمنا أنا وأنت زواجاً حقيقياً، أو أظن ذلك. لكن يبدو أن فكرة "الدين" هذه بدأت تهيمن في الآونة الأخيرة. ما الذي تظنان تماماً أني أدين به لكما حتى أذهب إلى هذه الجلسة؟"

"لأن"، داست بحذر على الأرض لأنها عرفت أنها مزروعة بالألغام، "الشركة كانت جيدة معك خلال العشرين سنة وهذه هي طريقتك لردّ العرفان، بالدفاع عن منتج يمكن أن يجني لنا المليارات".

"هل هذه هي كل القصة إذاً؟ المال؟" بدا وكأنه يشعر بالغثيان حين نظر إليها. هل تمت مقايضته بذلك؟ مليارات. لم تتم مقايضته على الأقل بشيء زهيد، قال لنفسه.

"جزئياً. لا يمكن أن تكون بريئاً جداً، بيتر. أنت تشاركنا الأرباح. أنت تعرف سبب وجودنا جميعاً. وفكر في الأولاد. ماذا سيحدث لهم؟ سوف تدمر حياتهم أيضاً". بدت باردة جداً وقاسية جداً. وعلى رغم دفاعها عن والدها، لا تزال تهتم بالمال.

"هذا مضحك. ظننت أن هذا لخير البشرية، أو على الأقل لإنقاذ الحياة. أظن أني لهذا السبب فعلت ذلك، ولهذا السبب ناضلت خلال الأعوام الأربعة الماضية. لكني لم أشأ الكذب بسببه. حتى أنني أصبحت أقل اقتناعاً به الآن، "بسبب المال"".

"هل نتراجع الآن؟" سألت وهي تبدو مذعورة. سوف تذهب إلى الجلسة بنفسها، لو كان باستطاعتها. لكنها لم تكن موظفة في الشركة، ولا يزال والدها مريضاً جداً للذهاب، ولذلك تتعلق المسألة ببيتر. "تعلم أني كنت لأفكر ملياً في الأمر قبل أن أنسحب"، قالت وهي تقف وتنظر إليه. "أظن أنه سيكون من العدل القول إنه إذا خذلتنا الآن، سوف ينتهي مستقبلك الباهر في شركة ويسلون - دونوفان".

"وزواجنا؟" سألها، وهو يلعب بالنار الآن، ويدرك ذلك تماماً.

"يجب درس ذلك"، قالت بهدوء. "لكني أعتبر ذلك بمثابة الخيانة العظمى". ولاحظ أنها تعني ذلك فعلاً. لكنه شعر فجأة بالتحسن بمجرد النظر إليها. كانت هشة جداً وواضحة جداً، مثلما كانت على الدوام، رغم أنه لم يلاحظ ذلك دوماً.

"من الجيد معرفة موقفك حيال هذا، كايت"، قال بيتر بهدوء. التقت عيناهما عبر طاولة المطبخ فيما وقفا قبالة بعضهما. وقبل أن تتمكن من الإجابة، دخل باتريك لتناول الفطور.

"ماذا تفعلان هنا باكراً؟" سأل وهو يبدو نعساناً جداً.

"سوف نذهب أنا وأمك إلى واشنطن اليوم"، قال بيتر بحزم.

"أوه، نسيت. هل سيذهب جدي أيضاً؟" تثاءب باتريك وصب لنفسه كوباً من الحليب فيما تابع الثرثرة.

"لا، قال الطبيب إن الوقت لا يزال مبكراً"، شرح بيتر، ثم اتصل فرانك بعد دقائق قليلة. أراد التحدث مع بيتر قبل أن يغادر وذكّره بما يريده أن يقوله أمام الكونغرس بشأن التسعير. لقد ناقشا ذلك عشرات المرات خلال الأيام القليلة الماضية، لكن فرانك أراد التأكد من أن يكون بيتر مستعداً أمام الكونغرس.

"لن نتخلى عن أي شيء، وليس حتماً فيكوتيك. لا تنسَ ذلك"، ذكّر بيتر

بصرامة. حتى أفكاره بشأن تسعير فيكوتيك كانت معارضة لكل شيء يؤمن به بيتر. كانت كاتي تراقبه حين عاد إلى الطاولة.

"هل كل شيء على ما يرام؟". ابتسمت لـــه فيما أومأ برأسه. ثم توجها لارتداء ملابسهما، وغادرا إلى المطار بعد نصف ساعة.

بدا بيتر هادئاً على نحو غريب في طريقه إلى المطار، وتحدث قليلاً جداً إلى كايت. أخافها ذلك لبرهة، لكنها أدركت أنه متوتر بلا شك. خشيت أن يتراجع الآن، لكنها أكيدة الآن من أنه لن يفعل ذلك. فبيتر ينهي دوماً ما يبدأ به.

كانت رحلة قصيرة من لاغارديا إلى المطار الوطني، وأمضى بيتر معظم هذه الرحلة وهو يراجع أوراقه. يملك أمامه ملفات عدّة بشأن التسعير، فضلاً عن كل التقارير الجديدة الخاصة بأبحاث فيكوتيك. وراجع خصوصاً الأجزاء التي لفته إليها سوكارد في وقت باكر من هذا الصباح حين اتصل به بيتر. كانت مسألة فيكوتيك تقلقه أكثر من مثوله أمام الكونغرس.

اتصلت كايت بوالدها من الطائرة وطمأنته بأن كل شيء يجري وفق ما هو محدد. وفي واشنطن، استقبلتهما سيارة ليموزين أقلّتهما إلى الكونغرس. وما إن وصلا إلى هناك، شعر بيتر بهدوء أكبر. عرف ما سيقوله نوعاً ما، ولم يكن قلقاً فعلاً.

كان موظفان في الكونغرس في انتظاره في غرفة العمل، وتم إيصاله إلى غرفة المؤتمرات حيث تلقى فنجاناً من القهوة. كانت لا تزال كايت معه حينها، لكن وصيفة حضرت إليها بعد فترة وجيزة من ذلك ورافقتها إلى مقعد في الصالة حيث تستطيع مشاهدته. تمنت لـــه التوفيق ولامست يده فيما غادرت، لكنها لم تتوقف لتقبيله. وبعد دقائق قليلة، تم أخذه إلى الغرفة هو أيضاً وبدا مذهولاً لبرهة. فمهما كان حسن الاستعداد لذلك، تبقى هذه تجربة فريدة قائمة على مواجهة الرجال والنساء الذين يحكمون البلاد، وطرح أفكاره عليهم. إنها المرة الثانية التي يأتي فيها إلى هنا، علماً أن فرانك تولى كل الحديث في المرة الأولى. الأمر مختلف تماماً هذه المرة.

جرت مرافقة بيتر إلى طاولة الشهادة حيث أقسم اليمين. جلس أعضاء اللجنة الفرعية أمامه، ومعهم ميكروفونات. وبعد أن أدلى باسمه واسم شركته، بدأت الأسئلة من دون ضجة إضافية، وأصغى أعضاء الكونغرس باهتمام.

تم سؤاله تحديداً عن بعض العقاقير وعن آرائه في أسعارها المرتفعة على نحو استثنائي. حاول إعطاء أعذار مفهومة لذلك، لكن الشروحات بدت تافهة وغير مجدية نوعاً ما، حتى بالنسبة إليه. فالحقيقة هي أن الشركات التي تصنع هذه العقاقير تحقق ثروات طائلة نتيجة الإفراط في التسعير، ويعرف أعضاء الكونغرس ذلك. والواقع أن شركة ويسلون - دونوفان مسؤولة عن بعض ذلك، رغم أن ممارساتها وأرباحها ليست فاضحة جداً مثل بقية الشركات.

أثار أفراد اللجنة الفرعية بعض مسائل التأمين بعد ذلك، وفي النهاية، قالت عضوة كونغرس من إيداهو إنها عرفت أنه سيمثل أمام دائرة الأغذية والعقاقير في وقت لاحق من هذا اليوم لطلب إجراء اختبارات بشرية باكرة لمنتج جديد. وطلبت منه أن يخبرهم شيئاً عن ذلك لمجرد إعلامهم بالتطورات الجديدة في المجال.

شرح بيتر الأمر بأكبر بساطة ممكنة، من دون الدخول في التفاصيل التقنية، أو كشف أية أسرار، وقال لأعضاء الكونغرس إن العقار سيغير طبيعة العلاج الكيميائي، ويجعله في متناول الأشخاص العاديين من دون الحاجة إلى مساعدة محترفة. تستطيع الأمهات إعطاءه للأولاد، والأزواج للزوجات، أو يستطيع الشخص أيضاً وصفه لنفسه. سوف يحدث ثورة في العناية بكل المرضى المصابين بالسرطان. سوف يجعل الإنسان العادي قادراً على معالجة نفسه أو عائلته، في المناطق الريفية أو المدينية، وفي أي مكان ضروري.

وهل سيكون "الإنسان العادي" مثلما تقول قادراً على شرائه؟ أظن أن هذا هو المهم". سألت عضوة كونغرس أخرى فيما أومأ بيتر برأسه.

"تأمل ذلك طبعاً. إنه أحد أهدافنا في فيكوتيك، إبقاء السعر متدنياً قدر

الإمكان وجعله في متناول أي شخص يحتاج إليه". بدا هادئاً وقوياً فيما لفظ الكلمات، وأومأ أشخاص عدة برؤوسهم علامة الموافقة فيما أصغوا. لقد كان شاهداً مطلعاً، وصريحاً، ومؤثراً. وبعد وقت قصير، شكروه بعدما أنهى كلامه وصافحه جميع أفراد اللجنة الفرعية، وتمنوا لـــه الحظ مع منتجه المميز بوضوح في جلسة دائرة الأغذية والعقاقير بعد الظهر. كان بيتر مسروراً فيما غادر الغرفة، وعاد إلى غرفة المؤتمرات بمرافقة وصيفة. وبعد برهة، انضمت إليه كاتي.

"لماذا قلت هذا؟"، سألته بامتعاض فيما كان يجمع أوراقه. لم تهنئه أو تمدحه على الشيء الحسن الذي قام به. حتى الغرباء فعلوا ذلك. لكن زوجته كانت تنظر إليه باستنكار شبه واضح. بدا وكأنه يشاهد فرانك حين نظر بيتر إليها. "جعلت الأمر يبدو وكأننا سنهب فيكوتيك مجاناً. أنت تعرف أن ليس هذا هو الانطباع الذي أرادك والدي أن تتركه هنا. سوف يكون عقاراً باهظاً. لا بد أن يكون كذلك إذا أردنا استرجاع مالنا وتحقيق الربح الذي نستحقه". بدت عيناها تحسبان المال فيما راقبها هو.

"دعينا لا نتحدث عن الموضوع"، قال بيتر فيما حمل حقيبته، وشكر الوصيفات وخرج من المبنى فيما كايت خلفه مباشرة. لم يعد لديه أي شيء ليقوله لها. هي لا تفهم أي شيء. إنها تفهم الربح في العقاقير التي يبيعونها، وليس القلب. إنها تفهم الكلمات، وليس المعنى. إلا أنها لا تجرؤ الآن على إغاظته. لقد اجتاز عقبة واحدة بنجاح، لكن عليه التغلب الآن على أكبر صعوبة في جلسة دائرة الأغذية والعقاقير. ما زال لديهما نحو ساعة قبل المثول، ودخلا إلى سيارة الليموزين.

اقترحت كايت أن يذهبا إلى مكان ما لتناول الغداء، لكن بيتر هزّ رأسه. كان يفكر في ما قالته لـــه للتو بعد جلسة الكونغرس. لقد خان الوعد برأيها. لقد أخفق ولم يتمسك بموقف الصناعة ويعد بإبقاء فيكوتيك، وكل عقاقيرهم الأخرى، باهظة قدر الإمكان لكي يتمكنوا من جني أرباح طائلة منها وإرضاء

والدها. إنه مسرور لما قاله، وسوف يحارب بشراسة خلال الأشهر التالية لإبقاء سعر فيكوتيك منخفضاً. لا يملك فرانك أية فكرة عن القسوة التي خطط لها بيتر.

في النهاية، تناولا شطائر اللحم المشوي في الليموزين، مع القهوة في أكواب ورقية. وبدا بيتر عصبياً بالنسبة إلى كايت حين توقفت السيارة أمام دائرة الأغذية والعقاقير في 5600 فيشرز لاين في روكفيل في ماريلاند. احتاجا إلى نصف ساعة للوصول إلى هنا من الكابيتول هيل، وحين وصلا، لاحظ بيتر بسهولة أن المبنى ليس جميلاً. لكن أشياء مهمة حصلت هنا، وهذا كل ما استطاع بيتر التفكير به. استمر يفكر في ما سيحصل هنا اليوم. ما جاء لأجله. ما وعد به فرانك وكاتي. الوعد الذي قطعه لهما لم يأتِ بسهولة، لكن التواجد هنا أسوأ كثيراً، خصوصاً وأنه يعرف أنه سيخفي عيباً خطيراً عن دائرة الأغذية والعقاقير ويقول إن العقار جاهز لاستعماله على الأشخاص الأبرياء. لقد صلّى أن يوقف فرانك تدخله في المسألة ويسحب المنتج إذا اضطروا لذلك.

كانت يدا بيتر رطبتين حين دخل إلى غرفة الجلسة، وكان عصبياً جداً لملاحظة الأشخاص الحاضرين. لم يوجه أية كلمة إلى كاتي فيما تركته وأخذت مقعدها. في الواقع، لقد نسيها تماماً. لديه عمل مهم للقيام به، لديه مثل للتضحية بها، ومبادئ للتنازل عنها. لكن إذا نجح المنتج، سوف ينقذون حياة الأشخاص، أو على الأقل يطيلون عمرها. إنها ورطة كبيرة بالنسبة إليه، لأنه يعرف ما فعله ويدرك أيضاً مدى الحاجة إلى العقار.

في دائرة الأغذية والعقاقير، لم يطلب من بيتر حلف اليمين، لكن الحقيقة هنا أكثر أهمية. وفيما نظر من حوله، شعر بدوار في رأسه. لكنه يعرف على الأقل ما يجدر به فعله الآن. وسوف ينتهي الأمر سريعاً. أمل في أن تستغرق خيانته للأشخاص الذين تمنى مساعدتهم دقائق قليلة فقط، رغم أنه خشي أن تحتاج المسألة إلى وقت أطول.

شعر أن يديه ترتجفان فيما انتظر اللجنة الاستشارية للشروع في طرح أسئلتها عليه. كانت هذه أكثر تجربة مروعة في حياته، ولا تشبه أبداً مثوله أمام الكونغرس قبل الظهر. لقد كان ذلك بريئاً وبسيطاً جداً مقارنة مع هذا. فمثوله أمام دائرة الأغذية والعقاقير كانت تنذر بالسوء. هناك الكثير في يد القدر، والكثير من المسؤوليات الملقاة على عاتقه. استمر في القول لنفسه إنه ما عليه فقط سوى الخروج من هذا. لم يسمح لنفسه بالتفكير في أي كان، ولا كاتي، ولا فرانك، ولا سوكارد، ولا حتى التقارير التي قرأها. عليه الوقوف والتحدث عن فيكوتيك، وهو يعرف كل شيء عن ذلك، فيما جلس وانتظر بعصبية أمام الطاولة الطويلة والضيقة.

فكر حينها فجأة بكاتي، وبكل ما ضحى به من أجلها ومن أجل والدها. لقد أهداهما كرامته وشجاعته. وهذا أكثر مما "يدين" به لأي كان، أو لها أو لوالدها.

لكنه أجبر نفسه مرة جديدة على إخراجها من عقله، وحاول استجماع أفكاره فيما بدأ رئيس اللجنة التحدث. شعر بيتر أن رأسه يدور فيما طرحوا عليه سلسلة من الأسئلة المحددة والتقنية جداً وسألوه عن سبب وجوده هنا. شرح بوضوح واقتضاب، وبصوت قوي، أنه جاء للمثول أمامهم للحصول على الموافقة لإجراء تجارب بشرية لمنتج يعتقد أنه سيغير حياة الأشخاص الأميركيين المصابين بالسرطان. حدثت جلبة قليلة بين أفراد اللجنة، وبعثرة لأوراق، وظهرت نظرات الاهتمام فيما بدأ يصف فيكوتيك وكيفية استعماله من قبل مرضى السرطان في أي مكان. أخبرهم مبدئياً الشيء نفسه الذي قاله في الكونغرس هذا الصباح. لكن الفرق هنا أن هؤلاء الأشخاص لن يتأثروا باستعراض وامض للأدوية. إنهم يريدون، ويستطيعون، أن يفهموا كل التفاصيل المعقدة. وأصيب بيتر بالذهول حين أدرك بعد برهة، فيما ألقى نظرة سريعة على الساعة المعلقة على الجدار، أنه يتحدث منذ ساعة، حين طرحوا عليه السؤال الأخير.

"وهل تعتقد فعلياً يا سيد هاسكل أن فيكوتيك جاهز لاختباره على البشر، حتى بجرعات ضئيلة على عدد محدود من الأشخاص الذين يفهمون مخاطر ما يقومون به؟ هل تشعر فعلاً أنكم قيّمتم طبيعة كل خصائصه، وكل المخاطر المحتملة؟ هل تقسم لنا، سيدي، أنك تشعر من دون أي تردد أن هذا المنتج جاهز للتجارب المخبرية في هذه اللحظة؟"

سمع بيتر السؤال بوضوح في رأسه وشاهد وجه الرجل وعرف ما يفترض به الإجابة. لقد جاء إلى هنا لفعل ذلك. إنها مسألة كلمة واحدة تؤكد لهم أن فيكوتيك يتطابق في الواقع مع كل ما قاله، وكل شيء يرون أنه يجدر به أن يكونه. كل ما عليه فعله هو وعدهم، بصفتهم المسؤولين عن سلامة الشعب الأميركي، أن فيكوتيك لن يؤذيهم. وفيما نظر إليهم حول الغرفة، وفكر في الأشخاص الموجودين هناك، في أزواجهم وزوجاتهم، في أمهاتهم وأولادهم، وفي العدد اللامتناهي من الأشخاص الذين سيصل إليهم فيكوتيك، عرف أنه لا يستطيع فعل ذلك. ليس من أجل فرانك، ولا كاتي، ولا أي شخص كان. والأهم، ليس من أجله. وعرف بلا ريب أنه لم يكن يجدر به المجيء إلى هنا. فمهما كلفه ذلك، ومهما قالوا، ومهما فعل به آل دونوفان الآن، عرف أنه لا يستطيع فعل ذلك. لا يستطيع الكذب على هؤلاء الأشخاص بشأن فيكوتيك، ولا بشأن أي شيء آخر. ليست هذه طبيعته. وكان واضحاً تماماً لـــه ما يفعله حين فعل ذلك. عرف تماماً أن حياته كلها انتهت في تلك اللحظة، وظيفته، زوجته، وربما حتى أولاده، أو لا، إذا كان محظوظاً. لقد نضجوا تقريباً، وعليهم أن يفهموا ما ناضل لأجله والدهم. وإذا كانوا لا يستطيعون قبول ذلك، أو الفهم أن الكرامة تستحق الثمن الذي يدفع لأجلها، يكون إذاً أنجز مهمة خاطئة معهم. لكن في أية حال، إنه يرغب في دفع الثمن الضروري، ليكون عادلاً مع الشعب الأميركي.

"لا، سيدي، لا أستطيع"، قال بيتر بصرامة. "لا أستطيع وعدك الآن. أتمنى أن أفعل ذلك يوماً ما قريباً. أظن أننا طورنا أحد أهم المنتجات

الصيدلانية التي سيشهدها العالم، وواحداً سيحتاج إليه بشدة مرضى السرطان في كل العالم. لكني لا أعتقد أننا تحررنا من كل المخاطر بعد".

"لا يمكن أن تتوقع إذاً أن نمنحك الإذن للشروع في المرحلة الأولى من التجارب البشرية في هذا الوقت، أليس كذلك، سيد هاسكل؟" سأله كبير اللجنة الاستشارية، وهو يبدو مرتبكاً، فيما انتشر غضب قليل بين بقية أفراد اللجنة وهم يسألون بعضهم البعض عن سبب مجيء بيتر إلى هنا. فجلسات دائرة الأغذية والعقاقير لا تستعمل عادة بمثابة منبر لإعطاء معلومات عن المنتجات غير الجاهزة. لكنهم أعجبوا بصدقه على الأقل، رغم أنهم يعرفون جميعاً ضرورة ذلك. ثمة وجه واحد فقط في الغرفة كان يشتعل غضباً. وسيكون هناك وجه آخر في المنزل حين تقول لـــه إنه خانهما.

"هل تحب الحصول على موعد آخر للمثول أمامنا مجدداً، سيد هاسكل؟ قد يكون من الأفضل أن تأخذوا المزيد من الوقت الآن". لديهم جدول مواعيد ممتلئ أمامهم. كان بيتر أول الأشخاص بعد الظهر، وهناك العديد من الأشخاص خلفه.

"أود الحصول على موعد آخر سيدي. وأعتقد أن ستة أشهر سيكون رقماً واقعياً". رغم أن هذا سيكون صعباً، لكن حسب ما قاله بول لويس، رأى بيتر أنهم يستطيعون الانتهاء.

"شكراً على حضورك". ومع هذا، أذنوا لـــه بالانصراف وانتهى الأمر. خرج من الغرفة فيما ارتجفت ساقاه، لكن ظهره كان مستقيماً ورأسه عالياً وشعر أنه إنسان محترم. إنه الشيء الوحيد الذي بقي لـــه الآن، وهو يعرف ذلك. شاهد كايت تنتظره في البعيد، وتوجه نحوها. لم يتصور أنها ستسامحه. كانت الدموع تنهمر على وجنتيها حين وصل إليها، لكنه لم يكن واثقاً ما إذا كانت هذه دموع الغضب أو الخيبة، أو ربما الاثنين معاً، لكنه لم يقدم لها أي عزاء.

"أنا آسف كايت. لم أكن أخطط لفعل ذلك. لم أدرك ما سيكون عليه

الأمر، الوقوف أمامهم والكذب عليهم. إنهم مجموعة مؤثرة هناك. لم أستطع فعل ذلك".

"لم أطلب منك ذلك أبداً"، كذبت. "أردتك فقط ألا تخون والدي". ثم نظرت إليه بحزن. انتهى الأمر وعرفت ذلك. بالنسبة إليهما معاً. لا يريد التنازل عن أي شيء من أجلها بعد الآن، والتخلي عما يؤمن به. لم يدرك أبداً مدى تفاقم الأمور، حتى هذه اللحظة. "هل تدرك ما فعلته هناك للتو؟"، قالت وهي تستعد للدفاع عن والدها حتى الموت، ولكن ليس عن زوجها.

"أستطيع تصور ذلك". لكنها كانت قد أوضحت المسألة هذا الصباح في المطبخ في غرينتش. وهو لم يجفل الآن. فهذا هو ما يريده. الحرية.

"أنت رجل صادق"، قالت وهي تنظر إليه. لكن الأمر بدا مثل اتهاماً على شفتيها. "ولكن لست رجلاً ذكياً".

أومأ برأسه، فيما التفتت وتوجهت بعيداً، من دون أن تنظر حتى إليه، ولم يتبعها. لقد انتهى الأمر منذ وقت طويل، وقد عرف كلاهما ذلك. تساءل حتى ما إذا كانت متزوجة أصلاً به، أو ربما فقط بوالدها.

لديه الكثير من الأمور للتفكير فيها فيما خرج من مبنى دائرة الأغذية والعقاقير في روكفيل. اختفت كايت للتو في سيارة الليموزين، وتركته وحيداً في ماريلاند التي تبعد نصف ساعة عن واشنطن. لكنه لم يهتم. ليس بعد الآن. أنه أحد الأيام في حياته، وشعر أنه باستطاعته الطيران الآن. لقد وجد نفسه أمام اختبار، وقد نجح بتفوق برأيه... هل تعطينا ياسيدي كلمتك... لا، لست أفعل. ما زال غير مصدق أنه فعل ذلك، ولم يعرف لماذا لم يشعر بالسوء حيال كاتي، لكنه لم يفعل. لقد خسر للتو زوجته، ووظيفته، ومنزله. لقد مثل أمام الكونغرس هذا الصباح، وأمام دائرة الأغذية والعقاقير بعد الظهر، بصفته رئيس شركة عالمية، وقد خرج فارغ اليدين، عاطلاً عن العمل، ووحيداً. لم يبق لديه أي شيء سوى كرامته، والمعرفة التي لم يتخل عنها. لقد نجح!

وفيما وقف يبتسم لنفسه، وينظر إلى الأعلى إلى سماء سبتمبر، سمع

صوتاً مباشرة خلفه. إنه صوت مألوف وإنما غريب، وفيه ميزة توحي بأنه قادم من زمن آخر، مكان آخر، وفيما التفت مع نظرة ذهول، شاهد أوليفيا تقف مباشرة خلفه.

"ماذا تفعلين هنا؟"، سألها وهو يتوق إلى وضع ذراعيه حولها، لكنه يخشى فعل ذلك. "ظننت أنك في فرنسا، تكتبين". غمرتها عيناه، ونظرت هي إليه بابتسامة صغيرة. كانت ترتدي سروالاً أسود وكنزة سوداء، وتحمل سترة حمراء على كتفها. بدت مثل فتاة إعلان لشيء فرنسي جداً، وكل ما استطاع التفكير به هو الليلة التي تبعها فيها إلى ساحة الفاندوم، وكل ما حدث في الأيام الخمسة التي أمضاها في باريس، الأيام الخمسة التي غيرت حياتهما إلى الأبد. أصبحت أكثر جمالاً الآن، وأدرك حين نظر إليها، كم اشتاق إليها بشدة.

"كان الأمر جيداً هناك"، قالت وهي تبتسم لـــه ابتسامة عريضة. كانت فخورة به بوضوح، لكنها لم تجب على سؤاله. لقد جاءت لدعمه، ولو بطريقة غير منظورة، في الجلسة. قرأت عن الجلسة في صحيفة الهيرالد تريبيون في أوروبا. وعرفت أنه يجدر بها التواجد هناك، من دون أن تتأكد من سبب ذلك. عرفت كم يعني لـــه فيكوتيك، والمشكلة التي كان يواجهها معه حين شاهدته للمرة الأخيرة. وأرادت أن تكون هناك. أخبرها شقيقها عن مكان الجلسة، ورتّب لها كل شيء للحضور. وهي شاكرة الآن لأنها تبعت حدسها. أخبرها إدوين عن جلسة الكونغرس أيضاً، وشاهدت بيتر في الكونغرس هذا الصباح. كانت تجلس بهدوء بالقرب من إدوين. ورغم أنه تساءل عن اهتمامها المفاجئ في الصناعة الصيدلانية، لم يطرح عليها أي سؤال.

"أنت أكثر شجاعة مما تظن"، ذكّرت أوليفيا بيتر فيما نظرت إليه، وشدها إلى قربه، متسائلاً كيف عاش الأشهر الثلاثة والنصف الماضية من دونها. لم يستطع تخيل تركها مجدداً، ليس للحظة واحدة.

"لا، أنت شجاعة"، قال بنعومة وامتلأت عيناه بالإعجاب. لقد تخلت عن كل شيء، وابتعدت عن كل شيء، ولم تتنازل عن أي شيء. ثم أدرك فجأة أنه

فعل الشيء نفسه. لقد تخلى عن زوجته ووظيفته وكل شيء من أجل ما يؤمن به. لقد أصبحا حرين الآن. بثمن باهظ، بلا شك، لكن الأمر يستحق ذلك بالنسبة إليهما معاً. "ماذا ستفعلين بعد الظهر؟"، قال مع ابتسامة. استطاع التفكير في آلاف الأشياء، نصب واشنطن التذكاري... تمثال لينكولن... نزهة بمحاذاة البوتوماك.. غرفة في فندق في مكان ما، أو مجرد الوقوف هناك، والنظر إليها إلى الأبد... أو طائرة إلى باريس.

"لا شيء"، ابتسمت. "جئت إلى هنا لأراك"، قالت بنعومة. لم تتوقع ان تتحدث إليه، بل جاءت فقط لرؤيته من بعيد. "سوف أعود غداً صباحاً". لم تخبر حتى أهلها بقدومها، بل أخبرت إدوين فقط ووعدها بألا يخبرهم. وكل ما أملت به هو إلقاء نظرة على بيتر، ورؤيته مجدداً لدقيقة أو اثنتين، حتى لو لم يعرف أبداً بذلك.

"هل أستطيع أن أشتري لك فنجاناً من القهوة؟"، سألها وابتسما كلاهما على ذكرى ساحة الكونكورد، وتلك الليلة في مونتمارتر، فيما أخذ يدها، وسارا معها نحو الحرية.